

المختار إلى الصراط المستقيم

تأليف

حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ

احمد زمانى بك

المفتش بوزارة المعارف العمومية

قررت وزارة المعارف العمومية تدريس هذا الكتاب بمدارسها الأولية الراقية

١٣٣٥ - ١٩١٧

obeikandi.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين (وبعد) فلما كان كتاب (الصراط المستقيم) في الاعتقادات والعبادات والآداب والأخلاق به من التطويل ما يصعب تناوله ويعسر تحصيله على المبتدئ لوفرة مادته وكثرة مشتملاته — روى اختصاره بما لا يخل بأصله في النظم والتنسيق وهو مقسم حسب أصله إلى ثلاثة أقسام

(الأول) في بيان ما يرشد الخلق إلى معرفة الله تعالى باعتقاد وجوده واتصافه بصفات الكمال وتنزهه عن صفات النقصان ومعرفة رساله الكرام عليهم الصلاة والسلام

(الثاني) في بيان العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج مع ما اشتملت عليه هذه العبادات من الأسرار والحكم والفوائد والمنافع (الثالث) في بيان ما يجب على الشخص نحو نفسه من الآداب الفاضلة والأخلاق السامية

سورة آية

الله

ابراهيم ٣٢

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ
الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْيَوْمَ وَاللَّيْلَ
وَالنَّهَارَ^{٣٢} وَأَنَا كُنتُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ
لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ

الروم ٤٨

اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي
السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَيَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ
خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ
يَسْتَبْشِرُونَ^{٤٨} وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ
لُمُبْسِينَ^{٥٠} فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُخَيِّ الْأَرْضَ
بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

السجدة ٩

ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ^٩ الَّذِي
أَحْمَدُنَ كُلُّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ^{١٠} ثُمَّ
جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ^{١١} ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ

سورة السجدة
آية ٩
٦٢ غافر
مِنْ رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ
ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ

الدين الاسلامي

هو ذلك الدين الذي بعث الله به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم للناس لينقذهم من الضلالة ويبعدهم عن الغواية ويرشدهم الى اعتقاد العقائد الصحيحة الحقبة ويهديهم الى ما فيه صلاح حالهم واستقامة أحوالهم وتقويم أخلاقهم وتهذيب نفوسهم وقد حث جل شأنه على اقامته والعمل بما فيه والاستمسك بعروته التي لا انفصام لها ووصى رسله بذلك وبالغ في الانكار على من عمل بخلافه وسعى في تفرقة واجتهد في عدم اقامته حتى جعل نبيه صلى الله عليه وسلم بريئا منه وكان عقابه في الآخرة أشد وأنكى قال الله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) وقال جل شأنه (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء انما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون)

ولما في هذا الدين من الخير الجسيم والفضل العميم كان هو الدين المرضي عند الله دون غيره ولذا قد حذر جل شأنه من طلب دين غيره ونادى على من فعل ذلك بالويل والخسران في الآخرة فقال (ان الدين عند الله الاسلام) أى ان الدين المرضي عند الله هو دين الاسلام لا غيره وقال تبارك اسمه (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان

أرسله الله تعالى بهذا الدين القويم والصراط المستقيم لينذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون فتلا عليهم آياته وحملهم على أن يصيروا أذكىاء طاهرين من خبائث العقائد والأعمال وعلّمهم الكتاب والحكمة ليمسيبوا في القول والعمل فمنهم من هدى الله وأسعده بمتابعته ومنهم من حقت عليه الضلالة وشقى بمخالفته فاما الذين شقوا في النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد وأما الذين سعدوا في الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ ولا جرم اذ كان اتباعه صلى الله عليه وسلم عنوان السعادة ومخالفته عنوان الشقاوة ان يكون اتباعه صلى الله عليه وسلم دليلا على محبته تعالى للعبد ورضاء عليه قال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) ولقد قرن محبته جل شأنه بمحبته صلى الله عليه وسلم وآثر محبته حتى على الآباء والابناء والاقارب والازواج والافارب والاموال والتجارة والمساكن التي محبتها أمر فطري لا يخلو منه قلب أحد وذكر ان من لم تكن محبته لهذه الاشياء دون محبته له صلى الله عليه وسلم كان جزاؤه النكال الشديد والعذاب الاليم وذلك في قوله (قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتي يأتي الله بأمره)

فهو صلى الله عليه وسلم المنّة الكبرى والنعمة العظمى التي أنعم الله بها على عباده فضلاً منه ورحمة ودل عليها بقوله (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين) صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

القرآن

هو كلام الله تعالى المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وقد اشتمل على ما لم يشتمل عليه كتاب منزل فضلا عن كتاب موضوع فقد اشتمل على مواعظ وآداب وأخلاق وأحكام وأمثال وترغيب وتزهيد وغير ذلك من كل ما في السموات والأرض حتى يصح أن يقال انه لم يبق علما من علوم الأوائل والآخر الا صرح به أو أشار اليه على أساليب متنوعة وطرائق مبتدعة لم يقع فيه تناقض ولم يتخلله تضارب خالياً عن جميع العيوب خارجا بحسب نظمه عن مشابهة كل أسلوب الى غير ذلك من الصفات التي لا يحدها عدد ولا يحصرها أحد ولا شمله على تلك الصفات التي لا يمكن لاحد من البشر أن يأتي بمثلها ولو كان من أجل العلماء والكبر السياسيين وأعظم القنتين نادى الله سبحانه وتعالى باعجازه فقال (قل لن اجتمع الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) ولما كان هذا القرآن الكريم عند الله وعظم شأنه وكرامته لديه أمراً أن لا يمسه الا من كان طاهراً من الحدثين الاكبر والاصغر فقال (انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون) وجعله هدى ورحمة وشفاء لمن آمن به ونعمة وشفاء لمن كذب به ونأى بجانبه عنه فقال جل شأنه (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى اولئك ينادون من مكان بعيد)

وردة آية
ثم اعلم أن القرآن لا يكون كذلك هدى ورحمة وشفاء لمن آمن به
إلا إذا تدبره وفهم معانيه واعتبر بما فيه العبرة منه وعمل بما فيه من
من الأحكام والأحكام وبالإعانة وكانت قراءته بدون ذلك عملاً بلا
فائدة تعود إليه فكن على ذكر من ذلك ولا تغفل عنه

كيفية إنزال القرآن

المراد من إنزال القرآن أن جبريل عليه السلام تلقى كلام الله تعالى
في علو شأنه فهبط به على الرسول صلى الله عليه وسلم عن تلك الحضرة
فصح أن يقال نزل به وفي الحقيقة لا نزول ولا صعود وإنما هي أسماء
المراتب والقاب المقامات

وكان ينزل به جبريل عليه السلام على الرسول صلى الله عليه وسلم
بكيفيات مختلفة فتارة كان يأتيه في صورة رجل فيكلمه ونارة كان يأتيه
في مثل صلصلة الجرس فيفصم عنه وقد وعى ما قال وقد حكى صلى الله
عليه وسلم هذه الحالة عن نفسه عند ما سئل كيف يأتيك الوحي فقال
أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد
وعيت ما قال وأحياناً يأتيني الملك رجلاً فيكلمني فأعني ما يقول
وقد ابتدئ انزاله في ليلة القدر من شهر رمضان كما أخبر عن
ذلك جل شأنه بقوله (إنا أنزلناه في ليلة القدر) أي ابتدأنا انزال
القرآن وقوله (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس)
فأول نزوله كان تلك الليلة في ذلك الشهر ثم أنزل بعد ذلك مفزقاً في
ثلاث وعشرين سنة على حسب الوقائع ومقتضيات الأحوال كما قال
تعالى (ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً)

أول ما أنزل من القرآن وآخر ما أنزل منه

أول ما أنزل من القرآن قوله تعالى (اقرأ باسم ربك الذي
خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم

علم الانسان ما لم يعلم) وآخر ما أنزل منه قوله تعالى (أاليوم أكملت
لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً) على
أصح الاقوال فى ذلك

ما يشتمل عليه القرآن

يشتمل القرآن الكريم بطريق الاجمال على ثلاثة أشياء توحيد
وتذكير وأحكام فالتوحيد يدخل فيه كل ما يتعلق بذهاته تعالى
وأسمائه وصفاته ورسوله الكرام والتذكير يدخل فيه كل ما به
التذكرة والوعظ كالوعيد والجنة والنار والبعث والحشر
وغيرها من أحوال المعاد والأحكام يدخل فيها جميع الأحكام المتعلقة
بالمعاملات والمعاملات والعقوبات والزواج وغيرها

فائدة

(فيما يشتمل عليه القرآن من السور والآيات والكلمات
والحروف وما أنزل من السور بالمدينة وما أنزل منها بمكة)
نزل فى المدينة من القرآن البقرة وآل عمران والنساء والمائدة
وبراءة والرعد والنحل والحج والنور والاحزاب ومحمد والفتح
والحجرات والرحمن والحديد والمجادلة والحشر والممتحنة والصف
والجمعة والمنافقون والتغابن والنطلاق والتحريم وإذا زلزلت وإذا
جاء نصر الله وكل ما عدا هذه السور نزل بمكة فأما عدد سور القرآن
المعظم فمائة وأربع عشرة سورة وأما عدد آياته فستة آلاف آية وأما
عدد كلماته فسبع وسبعون ألفاً وأربع مائة وتسع وثلاثون كلمة وأما
عدد حروفه فثلاثمائة وأربعون ألفاً وسبع مائة وأربعون حرفاً

اعجاز القرآن

اعجاز القرآن بما اشتمل عليه مما لا يمكن لاحد من البشر أن
يأتى بمثله ولو كان من أكبر العلماء وأعظم السياسيين وبما احتوى عليه

سورة آية

من الاخبار بالمعنيات وما أنبأ به من أخبار القرون الماضية والامم
القديمة والشرائع الدائرة فضلا عما وضع عليه من الاسلوب الغريب
والترتيب العجيب ومكانته من الفصاحة والبلاغة حتى بلغ من اعجازه
أنه صلى الله عليه وسلم كان يعرض على من بلغ من معارضيه في
الفصاحة والبلاغة أعلى منزلة وأسمى مرتبة أن يأتي بأقصر سورة
منه فلا يقدر كما قال تعالى (فلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلَهُ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ)
وقال تبارك اسمه (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِمِثْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ
مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ
يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ)
فلما عجزوا عن معارضته على كثرة خطبائهم ووفرة فصاحتهم
وقوة بلاغتهم نادى الله تعالى عليهم بالعجز واعجاز القرآن فقال
(قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ
بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا)

تمهيد

اعلم ان هذا المختصر قد وقع الاختيار على تقسيمه حسب أصله
الى ثلاثة أقسام

القسم الاول — فيما يجب لله تعالى وما يستحيل وما يجوز وفيما
يجب في حق الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام وما يستحيل وما يجوز
القسم الثاني — في العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج مع
بيان ما اشتملت عليه من الحكم والاسرار والفوائد والمنافع والآداب
والشروط والاركان

القسم الثالث — فيما يجب التخلق به من الآداب الشرعية
والاخلاق المرضية

وهذا أو ان الشروع في المقصود وعلى الله أتوكل وعلى جنابه
الرفيع أغوّل في طلب المعونة على انعامه وأسأله كما وفق لجمعه أن يوفق
للاستغناء به انه سميع الدعاء واسع العطاء

سورة آية

القسم الأول علم التوحيد

هو علم يبحث فيه عن إثبات العقائد الدينية بالأدلة اليقينية وثمرته معرفة الله تعالى ورسله بالبراهين القطعية والفوز بالسعادة الأبدية وهو أصل العلوم وأفضلها ولا غرو فهو متعلق بذات الله تعالى وذات رسله الكرام عليهم الصلاة والسلام وشرف العلوم بشرف المعلوم وقد جاءت به الرسل الكرام من لدن آدم الى سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام لان الكل أرسلوا للنرض واحد وهو توحيد الله تعالى واعتقاد اتصافه بسائر صفات الكمال وتنزهه عن سائر صفات النقصان واختصاصه جل شأنه بأن يعبد وحده لا شريك له كما قال تعالى مخاطباً نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا إله الا أنا فاعبدون) ووجه تسمية هذا العلم بعلم التوحيد ان أشهر مباحثه وأهم أغراضه التي يرمى الى تحقيقها البحث عن توحيد الله تعالى الذي هو أساس الدين وأعظم أركانه وذلك لانه يتوقف عليه الاخبات لرب العالمين الذي هو أعظم الاخلاق الكاسبة للسعادة

وقد نبه الكتاب العزيز والنبي صلى الله عليه وسلم على عظم أمره وكونه من أنواع البر والخير بمنزلة القلب اذا صلح صلح الجميع واذا فسد فسد الجميع قال الله تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً) وقال صلى الله عليه وسلم (من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة)

هذا ولما كان القرآن حاوياً لأصول هذا العلم ومنه تنفرع أغصانه سار المرجع في بيان ما يجب لله تعالى من الصفات الكمالية اليه والممول في تحقيقها عليه واليك بيانها مع ذكر أدلتها من القرآن وشرح كل آية بما يفصل مجملها ويكشف عن وجه العبرة فيها والله المستعان

الصفة الأولى الوجود

اعلم أن من أجال فكره في هذه الموجودات وأدار نظره على عجائب خلق الله في الأرض والسموات وبدائع فطرة الحيوان والنبات رأى أن هذا الامر العجيب والترتيب الغريب لا يستغنى عن وجود صانع يدبره وفاعل يحكمه ويقدره

لذلك أمر الله جل شأنه بالتفكير في هذه المخلوقات والبحث فيما يقع تحت النظر من المشاهدات من نحو السموات وما فيها من النجوم والكواكب والافلاك والارض وما اشتملت عليه من البحار والأنهار والجبال والاولدية والسهول والمعادن والنباتات والحيوانات والجو وما اشتمل عليه كل ذلك من المعجائب والغرائب الى غير ذلك من سائر مخلوقاته فقال (أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء) أى ليستدلوا بها على أن لها صانعا حكيمًا ومدبراً عليا أوجدها من العدم وأبرزها الى الوجود

وقد ذكر الله تعالى من الآيات الدالة على وجوده وعظم قدرته وعجائب حكمته ما فيه عبرة لمعتبر وحجة قاطعة لمن اراد التقرب الى الله تعالى بمعرفة وجوده فقال ﴿

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ^{٢١} وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ^{٢٢} وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ^{٢٣} وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ

الروم | ٢٠

وَالنَّهَارِ وَابْتَغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
يَسْمَعُونَ^{٢٤} وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْجِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ^{٢٥} وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ
وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا
أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ

ما ترشد اليه هذه الآيات الكريمة

ترشد هذه الآيات الكريمة الى بيان الآيات والدلائل والعلامات
التي أقامها الله تعالى أدلة قاطعة وبراهين ساطعة على وجوده تعالى
وكمال قدرته وبديع صنعته فذكر ان من هذه الآيات انه خلق
الانسان وهو ذاك الحيوان الحساس النامي المتحرك العاقل المدبر
الحكيم المفكر السميع البصير الذي قد اشتمل جسمه على العجائب
والغرائب (من التراب) وذلك لانه كوّن من النطفة وهى من الدم
والدم من الغذاء والغذاء من النبات والنبات من التراب ولعمر الحق
ان من تأمل بفكره كيف خلق هذا الانسان من التراب تحقق لديه
ان خالقه وموجده منه لا بد ان يكون موجوداً مستمر الوجود
قادراً اتم القدرة عالماً اتم العلم ضرورة ان ذلك لا يصدر عن معدوم
ولا عاجز ولا جاهل البتة

ومنها انه خلق له زوجة يسكن اليها ويانس بها وجعلها من
جنسه لامن جنس الحيوانات الاخرى واتقى بينه وبينها من المودة
والرحمة ما يظن معه بمجرد دخولها عليه كأنهما تعاشرتا العشرات
من السنين مع عدم سابقة معرفة ولا لقاء ليقع بينهما التناسل ويتم
بقاء السكون ويحفظ نظامه وعمرانه

(ومنها) أنه خلق السموات والأرض وهما هذان الجرمان العظيمان الكبيران اللذان يدلان بأوضح برهان وأعظم دليل على أن خالقهما موجود بالغ حد النهاية في القدرة لا يعجزه شيء
(ومنها) أنه خلق أفراد الانسان ومع اختلافهم في الجنسية وتباينهم في اللغات وكثرة عددهم البالغ حد النهاية تراهم مختلفين في كيفية النطق ومتغايرين في الالوان فلا تجد منطقتين متساويتين في الكيفية من كل وجه ولا ترى لون شخص يشبه لون آخر فتبارك الله أحسن الخالقين

(ومنها) انه اذا أراد أن يصيب بالمطر من يشاء من عباده أبرقت السماء علامة على ذلك ثم ينزل المطر على الارض فتراها اخضرت واكتست من أنواع الزينة ما يبهج الخاطر ويسر الناظر بعد ان كانت يابسة قحلة لانبات فيها ولا يعقل ان ذلك صادر عن ممدوم
(ومنها) ان هذه السموات والأرض مع عظم جرمها وكبر حجمها تراهما قائمتين مستمسكتين من غير شيء يرتكزان ويعتمدان عليه وانما ذلك بقدرة الله تعالى وحده وهذا ما أشار له الله تعالى هنا من الآيات والدلالات وفي ذلك لمن ينظر في الامور بتدبر وتعقل وتفكر اكبر الادلة واعظم البراهين على وجوده تعالى وكمال قدرته اذ لا يعقل أن الموجد لذلك كله والحافظ له على نظامه مع هذا الاحكام الغريب والاتقان المجيب يكون معدوما أو عاجزا اذ الممدوم أو العاجز لا يصدر عنه شيء البتة والله أعلم

﴿ومن العلامات الدالة على وجوده تعالى أيضاً ما أشار له بقوله﴾

٢٠ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ^{٢١} وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصَرُونَ

الناربان

ما تشير اليه هاتان الآيتان السكريمتان

تشير هاتان الآيتان السكريمتان الى بيان نوعين من أنواع الدلالات والعلامات الدالة على وجوده تعالى

سورة آية

(الاول) الارض وما اشتملت عليه من البحار والجبال واللاودية والكهوف والسهول والصادن وخواصها ومنافعها والحيوانات وما فيها من المعجائب والغرائب والنباتات وغرائبها وتباينها في الاشكال والازهار والثمار والاوراق والطموم والالوان والروائح وغير ذلك مما هو على وجه الارض من بدائع صنعه وصنائع قدرته وحكمته وتديره فان من تأمل في ذلك حق التأمل وتفكر فيه حق التفكير علم حق العلم ان موجوده ومحدثه بعد العدم لا بد ان يكون موجودا مستمر الوجود قادراً اتم القدرة والى ذلك الاشارة بقوله تعالى (وفي الارض آيات للموقنين) أى وفي الارض وما اشتملت عليه مما سبق ذكره دلائل واضحة على وجوده تعالى وتوحيده للموقنين أى الموحدين الذين كلما رأوا آية عرفوا وجه تأويلها فازدادوا ايقاناً على ايقانهم وایماناً على ایمانهم

(الثانى) نفس الانسان وما اشتمل عليه جسمه من الاعضاء الظاهرة والباطنة وما أودع في كل عضو منها من الفوائد والمنافع وما في أصل تكوينه من خلقه نطفة ثم علقه ثم مضغة ثم عظام الى أن ينفخ فيه الروح ثم يختلف بعد ذلك صور أفرادهم وطبائعهم وألوانهم والسننهم ثم نفس خلقه على هذه الصفة الغريبة العجيبة من اللحم ودم وعظم وأعضاء وحواس وشجاري ومنافس وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول وبالألسن والنطق ومخارج الحروف وما في تركيبها وترتيبها واطنائها من الآيات الساطعة والبيّنات القاطعة على حكمة مدبرها وصانعها الى غير ذلك من الأسماع والأبصار والأطراف وسائر الجوارح والى ذلك كله الاشارة بقوله تعالى (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) أى وفي أنفسكم من مبدأ خلقكم الى منتهاه وما في تركيب خلقكم من المعجائب آيات وعلامات على وجوده تعالى أفلا تبصرون وتفكرون فيها فاستدلوا بها على انه الخالق والآيات الحاتمة على التفكير في مصنوعات الله تعالى ومخلوقاته غير ما ذكر الاستدلال بها على انه تعالى موجود كثيرة منها قوله تعالى (أولم يتفكروا في

سورة آية

أنفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى وان كثير من الناس ببقاء ربهم لكافرون (ومنها قوله تعالى (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون) ومنها قوله تعالى (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت) ومنها غير ذلك وفيما ذكر كفاية للمسترشد ومن أراد استيفاءها فعليه بالاصل والله ولى التوفيق

الصفة الثمانية القدم

وهو عدم الأولية أى انه تعالى لا أول لوجوده لأنه جل شأنه مصدر هذه الكائنات وموجد هذه الموجودات فلا بد أن يكون سابقا عليها لا يتقدمه تعالى شيء والا لزم ان تكون وجدت قبل وجود موجدها وذلك باطل لانه يلزم عليه أن يكون وجودها تقدم على نفسه وهو ظاهر البطلان ولا بد مع ذلك أن يكون وجوده جل شأنه غير مسبوق بعدم والا كان حادثا شأنه شأن هذه الموجودات وهو باطل

﴿ وقد أثبت الله تعالى لنفسه هذه الصفة بقوله ﴾

هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ

شَيْءٍ عَلِيمٌ

الحديد ٣

ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة

ترشد هذه الآية الكريمة الى بيان أنه تعالى هو الأول قبل كل شيء والقديم الذى لم يسبقه أحد والازلى الذى لا بداية له والآخر الذى لا انقضاء له ولا فناء والدائم الذى لا يلحقه العدم ولا يعثره

الزوال والظاهر الذى ظهر للخلق بما أودعه فيهم من عجائب الخلقة "سورة آية
وبديع الحكمة والباطن الذى خفي على العقول ادراك حقيقته فلا
مجال لها في درك هذه الغاية لان عظمته تعالى غير متناهية ومدارك
العقول البشرية حقيرة بالنسبة الى عظمته تعالى وحقير الادراك
لا يصل بالمعرفة الى الحقيقة العظيمة العالية والى ذلك الاشارة بقوله
تعالى (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير)
وقوله صلى الله عليه وسلم (تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في
ذاته قتهلكوا) أى فانه لا تصل عقولكم الى ادراك كنه حقيقته
ولا تنتهى أفهامكم الى الاحاطة بصفاته لانه جل شأنه المحيط بكل
شئ والعليم بكل شئ

الصفة الثالثة البقاء

وهو عدم الآخرة أى انه تعالى لا آخر لوجوده فلا يلحقه
العدم والفناء ولا يقضى عليه بالانقضاء والانقضاء فهو باق الى غير
نهاية دائم الوجود من غير غاية اليه مرجع جميع الكائنات ومنتهى
مصير هذه المخلوقات فالكل بالاضافة اليه عدم لان الكل وجوده
منه وما كان وجوده من غيره فالعدم من لوازمه والفناء والزوال من
أخص أوصافه

وقد أثبت الله تعالى لنفسه هذه الصفة بقوله ﴿

كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝

٨٨

ما تشير اليه هذه الآية الكريمة

تشير هذه الآية الكريمة الى انه تعالى باق لا فناء له مستمر
الوجود لا آخر له قيوم لا انقطاع له دائم لا انصرام له وان كل شئ
موجود مآله ومصيره الى الهلاك والزوال والعدم الا ذاته تعالى فانه
لا يلحقها عدم ولا يتطرق اليها الزوال بل هو الباقي بعد فناء خلقه وله

ورة آية

القضاء والحكم النافذ فيهم يقضي بما يشاء ويحكم بما يريد واليه مرجع جميع الخلائق يحكم فيهم بفصل قضائه ليجزي المحسن بإحسانه والسيء بأساءته لا رب غيره ولا معبود سواه وقال جل شأنه أيضاً في إثبات هذه الصفة له (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) أي كل من على وجه الأرض فان وهالك وزائل إلا وجه الله تعالى وذاته قائمها باقية لا يلحقها الفناء ولا يقضى عليها بالانقضاء والانقضاء

الصفة الرابعة مخالفته تعالى للحوادث

أى انه تعالى لا يماثل موجوداً ولا يماثل موجود ليس كمثله شيء ولا هو مثل شيء وقد صرح جل شأنه بنفي هذه المماثلة في غير ما آية من القرآن الكريم وأبينها في ذلك وأتمها قوله تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) وتوافق الخالق والمخلوق في الوصف ببعض الصفات كالعلم والحياة والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام فيقال الله عالم كما يقال فلان عالم وهكذا لا يضر لان هذا التوافق في مجرد التسمية فقط ولا يخفى ان مجرد التوافق في الاسم لا يستلزم التوافق في الحقيقة وانما المضر اتصافه تعالى بشيء من صفات مخلوقاته مما هو ظاهر من أمره انه من صفات النقصان كالوت والنوم والخطأ والنسيان والغفلة وغيرها من النقائص التي صرح بنفيها القرآن الكريم وقامت الموجودات من أرض وسموات أدلة قاطعة وبراهين ساطعة على نفيها عنه تعالى لان وجودها بهذا النظام المعجيب والترتيب المحكم الغريب لا يتخللها اختلال ولا يدركها فساد من اكبر الأدلة على نفي هذه النقائص عنه تعالى اذ لو كان شيء من الموت والخطأ والنسيان أو الغفلة يدركه جل شأنه لاختل نظام هذه الموجودات وفسد حالها وقد نبه الله تعالى على هذا المعنى في غير ما آية من كتابه العزيز فقال تعالى (ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده) الآية

وقد تبي جل شأنه هذه المائلة عن نفسه وبين أنه لا يكافئه شيء سورة آية
من الحوادث ولا هو يكفي شيئا منها فقال

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ١ اللَّهُ الصَّمَدُ ٢ أَلَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ٣
وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ

الغرض من هذه السورة الشريفة

الغرض منها اثبات جميع صفات الكمال لله عز وجل من وجوده
تعالى وقدمه وبقائه ومخالفته تعالى للحوادث وقدرته وإرادته وعلمه
وحياته وسمعه وبصره وكلامه ووحدانيته وذلك لأن (الله) علم على
الذات الواجب الوجود الجامع لصفات الألوهية ويلزم ذلك أنه خالق
الاشياء وموجدوها من العدم الى الوجود وفي طي ذلك وصفه تعالى
بأنه قادر عالم لأن الخلق يستدعي العلم والقدرة لكونه واقعا على أتم
نظام وأبداع أحكام وفي ذلك وصفه تعالى بأنه حي سميع بصير وقوله
(أحد) وصف بالوحدانية ونفى للشريك له تعالى في ذاته وصفاته
وأفعاله وقوله (الصمد) أي الذي يصمد اليه ويقصد في الحوائج
وصف بأنه غني عن كل ماسواه وكل ماسواه محتاج اليه وذلك يقتضي
المغايرة والمباينة وعدم المائلة له تعالى لأن الاحتياج من لوازم غيره
وقوله (لم يلد) وصف بالقدم لأن الولادة تستلزم المائلة والمجانسة
للمولود وذلك يستلزم الحدوث وهو مستحيل عليه تعالى وكذا قوله
(ولم يولد) لأن كونه مولودا يستلزم سبق العدم وقد علمت انه قديم
لا أول له ووصفه تعالى بالقدم يستلزم وصفه بالبقاء لأن القديم لا يفنى
وانما يفنى الحادث المتجدد وقوله (ولم يكن له كفوا أحد) وصف
بمخالفته تعالى للحوادث ومغايرته لها في جميع الشؤون والاحوال وهو
كالخلاصة والنتيجة لما تقدم من الاوصاف لأن من كان متصفا
بالصفات المتقدمة من الاحدية والصمدية وعدم صدور ولد عنه وعدم
صدوره هو عن والد كان ولا شك مخالفا لكل الحوادث مغايرا لها

سورة آية على خط مستقيم لا يكفى شيئا منها ولا يماثله ولا يكافئه شيء منها تعالى الله عن مماثلة الحوادث علوا كبيرا

وفى نقي المثلية وتنزيهه تعالى عن الشبهة والمماثل يقول الله تعالى أيضا

لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ

شورى ١١

ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة

ترشد هذه الآية الكريمة الى نقي مشابهة ذاته تعالى لشيء من الحوادث كائنا ما كان لان الكل عبد لله سبحانه وتعالى ومملوك له فلا يخرج أحد منهم عن علمه ولا قبضة قدرته ولا يعزب عن سمعه شيء من السموعات ولا يغيب عن بصره شيء من البصيرات فكيف مع ذلك يناسبه أو يجانسه أو يماثله تعالى الله عن مشابهة الحوادث علوا كبيرا

وقال تبارك اسمه فى نقي صفات الحوادث عنه مما هو ظاهر من أمره أنه من صفات النقصان

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ

البقرة ٢٥٤

مضمون هذه الآية الكريمة والغرض منها

الغرض منها نفي الشريك عنه تعالى وأنه القائم بتدبير خلقه الحافظ لهم النزه عن صفات الحوادث من الغفلة والذهول وعدم الاحساس والشعور الناشئة عن السخة التى هي فتور يتقدم النوم وعن

لنوم الذي هو بديهي التصور يعرض للحيوان من استرخاء أعصاب
لدماغ ومن رطوبات الانخوة المتصاعدة من المعدة بحيث تقف الحواس
أظاهرة عن الاحساس بالمرة . وانه تعالى له ملك السموات والأرض
تصرف فيهما كيف شاء حسب مقتضيه مشيئته وإرادته لا يشاركه في
ذلك أحد ولا يملك معه شيئاً حتى الشفاعة لا يملكها إلا بإذنه وإذا
ذن في الشفاعة لم يكن الشفيع شفيعاً على الحقيقة . وأنه تعالى المنفرد
العلم الذاتي الذي هو من صفات الكمال التي يجب أن يتصف الله تعالى
بها فلا يعلم أحد من مخلوقاته شيئاً من مـلـومـاته إلا ما شاء أن يعلمه
ياه . وانه تعالى المنفرد بالقدرة الكاملة والعظمة والسيادة والملك
لا يشق عليه شاق ولا يثقل عليه ثقل حتى انه لفرط عظمته وعظم
قدرته لا يثقله حفظ السموات والأرض ومن فيهما وما بينهما بل
لك سهل عليه يسير لديه لانه جل شأنه القاهر فوق عباده المتعالي
عن الاشياء والانداد والأمثال والأضداد وعن أمارات النقص
علامات الحدوث

ومن تتبع القرآن الكريم وجد فيه غير ما ذكر كثير من الآيات
دالة على تنزيهه تعالى ونفي مشابهته لشيء من الحوادث أو مشابهة
شيء من الحوادث له ونفي اتصافه تعالى بصفات الحوادث مما هو ظاهر
من أمره أنه من صفات النقصان فمن ذلك في نفي الموت عنه
نبي هو من أخص صفات الحوادث قوله تعالى (وتوكل على الحي
نبي لا يموت) ومنها في نفي النسيان والخطأ قوله تعالى (قال علمها
بديني في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى) ومنها في نفي المائل والتغيب
من الصاحبة والولد قوله تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم
بثأراً تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً
، دعوا للرحمن ولداً وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً إن كل من في
سموات والأرض الا آتى الرحمن عبداً لقد أحصاهم وعدهم عدداً
لهم آتية يوم القيامة فرداً) ومنها في إثبات الغني المطلق له تعالى

سورة آية واحتياج كل ما سواه اليه مما هو بين الدلالة على مخالفته تعالى لكل ما عداه قوله تعالى (يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد) ومنها غير ذلك فعليك باستقصائه ان شئت والله تعالى ولى التوفيق

الصفة الخامسة الحياة

هي صفة قديمة ذاتية لله عز وجل لا يكتنه كنهها ولا تعلم حقيقتها كسائر صفاته جل شأنه تصحح لمن اتصف بها أن يكون عالماً قادراً مريداً لأن من لا حياة له لا يصح أن يتصف بعلم ولا قدرة ولا ارادة وذلك انه قد ثبت انه جل شأنه موجد هذا الخلق وحافظه على نظامه الغريب وترتيبه العجيب وحافظ مثل هذا النظام لا يكون الا حياً ولا تكون حياته الا أزلية أبدية وقد أثبت الله لنفسه هذه الصفة بقوله

غافر ٦٥ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

ما يؤخذ من هذه الآية الكريمة

يؤخذ من هذه الآية الكريمة أنه جل شأنه المنفرد بالحياة الذاتية الحقيقية التي لا يلحقها العدم بحال ولا يقضى عليها بالانقضاء والانفصال وانه لا معبود بحق الا هو فلا موجود يدانيه ولا ند يساويه فهو أحق من أخلص له في العبادة وأولى من أفرغ الجهد في الحمد له والثناء عليه لانه هو المستحق لذلك دون غيره ولذا يقول جل شأنه (فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين) أى فاعبدوه مخلصين له في العبادة واثنوا عليه بما هو أهله وقال جل شأنه في اثبات هذه الصفة له

وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ
ظُلْمًا وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا
وَلَا هَضْمًا

ما يستفاد من هذه الآية الكريمة

يستفاد من هذه الآية الكريمة اثبات صفة الحياة لله جل شأنه
الذى تذلل الخلائق لعظمته وتخضع لسلطانه وتستسلم لمشيئته القائم
بتدبير خلقه الحافظ لنظامهم العادل الذى يجازى على الاحسان
احسانا وعلى الاساءة اساءة فمن يظلم من عباده غيره ويتعد عليه
اقتص منه وأحل به من النكال والحيلة والخسران ما يستحق ومن
يعمل من الصالحات وهو مؤمن أعطاه الجزاء الاوفى والثواب الوفى
الذى لا يخاف منه أن يظلم فيزاد فى سيئاته ولا أن يهضم فينقص من
حسناته

الصفة السادسة العلم

هو ما به تنكشف المعلومات سواء فى ذلك ماضيها وحاضرها
ومستقبلها لان السكل لديه سبحانه وتعالى سواء فهو سبحانه وتعالى
يعلم بعلمه كل شيء كأننا ما كان فى السموات أو فى الارض فى البر
أو فى البحر خفى أو ظهر

وقد أثبت الله لنفسه هذه الصفة مبينا احاطة علمه تعالى بكل
شيء حتى بالورقة تسقط من شجرتها والحبة فى ظلمات الارض فقال

وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي
الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي
ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ

ترشد هذه الآية الكريمة الى اختصاصه تعالى بعلم مفتح الغيب وهي خمس بلها صلى الله عليه وسلم في قوله (مفتاح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس باى ارض تموت ان الله عليم خبير) مع احاطة علمه تعالى بالمغيبات غير هذه الخمسة وجميع المشاهدات والمحسوسات من كل ما في البر والبحر من الموجودات لا يخفى عليه من ذلك شئ ولا مثقال ذرة في الارض ولا في السموات فهو جل شأنه يعلم الأشياء مجمة ومفصلة على اختلاف انواعها واجناسها وكثرة افرادها بل لا تسقط ورقة من اى شجرة كانت ولا توجد حبة صغيرة في ظلمات الارض وبطونها التي يخفى فيها أكبر الاجسام لاتساعها وعظمتها بل ولا اى شئ رطب ولا اى شئ يابس الا وعلم الله محيط به وشامل له لا يخرج عن دائرته فسبحانه من الله عليم حكيم خبير

وقال جل ثناؤه في بيان انه عالم بكل شئ في السماء والارض حتى الحديث يسره المرء لآخيه

لمجادلة ٧

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَافِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا
هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ
أَيْنَمَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

ما تشير اليه هذه الآية الكريمة

تشير هذه الآية الكريمة الى انه تعالى يعلم ما في السموات وما في

الأرض من الموجودات وأنه تعالى واسع العلم كثير الاطلاع حتى سورة آية
بلغ من سعة علمه واحاطته انه لا يتناجى ثلاثة أشخاص ولا يتسارون
بأى كلام كان الا وهو سبحانه وتعالى مطلع عليهم وعالم بما يقولونه
وكذا لو كانوا خمسة فانه تعالى يعلم ما يسرون به وما يخفونه وليس
هذا العدد بشرط بل لو كان المتسارون أقل من هذا العدد أو أكثر
منه فان الله سبحانه وتعالى معهم بعلمه يعلم ما يجري بينهم مهما
اجهدوا انفسهم في اخفاء المكان الذى يتسارون فيه ولو اغلقوا على
انفسهم مائة باب بل ولو كانوا فى بطن الأرض لان علمه تعالى بالاشياء
ليس بقرب مكافى حتى يتفاوت باختلاف الامكنة قرباً وبعيداً ومع
ذلك فلا يتركهم سدى بل لا بد ان يخبرهم بما عملوه يوم القيامة ويحازيهم
به ان خيراً فخير وان شراً فشر

وقال تبارك اسمه فى بيان كمال علمه بالاشياء مرشداً الى ذلك
بخلقها ايهاها

وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ
الصُّدُورِ ١٤ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ

وجه العبرة فى هاتين الآيتين الكريميتين

وجه العبرة فى هاتين الآيتين الكريميتين تحذير المخاطبين عما
يرتكبونه من عدم مراقبتهم لجانب الله تعالى فى أقوالهم وأفعالهم
وأسرارهم واجهارهم فانه تعالى عالم بموارد الاقوال والافعال فلا تخفى
عليه خافية ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى السموات أو فى الأرض
حتى بلغ من كمال علمه تعالى أن يستوى عنده الاسرار والاجهار وأن
يعلم بالقلوب فلا يخفى عليه سر من أسرارها

وقد دل سبحانه وتعالى على كمال علمه تعالى واحاطته بقوله (ألا

سورة آية

يعلم من خالق وهو اللطيف الخبير (أى ألا يعلم الخالق ذلك وقد أوجده وهو الذى لطف علمه بما فى القلوب وهو الخبير بما تسره من الامور لا يخفى عليه شئ من ذلك

والآيات القرآنية الدالة على كمال علمه بكل شئ فى السماء أو فى الارض سواء فى ذلك ما ظهر منه وما خفى حتى بالحديث يسره الانسان فى نفسه كثيرة فمنها ما ذكر ومنها قوله تعالى (قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما فى السموات وما فى الارض والله بكل شئ عليم) ومنها قوله تعالى (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد) ومنها غير ذلك والله بمر صفاة عليم

الصفة السابعة الارادة

هى صفة قديمة تخصص الممكن بالوجود أو بالعدم أو بالطول أو بالقصر أو بالحسن أو بالقبح أو بالعلم أو بالجهل الى غير ذلك من الشؤون والاحوال وذلك لان كل فعل صدر من الله سبحانه يمكن أن يصدر عنه ضده وما لا ضده من الافعال فيمكن ان يصدر منه ذلك الفعل بعينه قبل الوقت الذى وجد فيه أو بعده والقدرة فى إيجادها تناسب الضدين والوقتين مناسبة واحدة فاذا لا بد من ارادة صارفة للقدرة الى أحد المقدورين فتخصص وجود هذا مثلا دون ضده وهذا فى الوقت الذى وجد فيه دون الذى قبله والذى بعده

(وقد أثبت الله لنفسه هذه الصفة بقوله)

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ مُتَوَكِّلِي الْمُلْكِ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِخُ الْمُلْكَ
مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ
إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

سورة آية

ما تشير اليه هذه الآية الكريمة

تشير هذه الآية الكريمة الى انه تعالى صاحب الملك الحقيقي المتصرف فيه بما يشاء وكيف يشاء فيعطيه من يشاء ان يعطيه إياه ويترعه ممن يشاء ان يترعه منه ويعز من يشاء ان يعزه ويذل من يشاء أن يذله كل ذلك بمحض ارادته واختياره ومشيتته من غير ممانعة من الغير ولا منازعة لانه تعالى هو القاهر فوق عباده وييده الخير يتصرف فيه وحده حسب مشيئته لا يتصرف فيه أحد غيره ولا يملكه أحد سواه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون

وقال تبارك اسمه في بيان أنه تعالى فاعل مخار يفعل ما يشاء أن يفعله بمقتضى ارادته ومشيتته

لِلّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَآثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ۚ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَآثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ

ما يستفاد من هاتين الآيتين الكريمتين

يستفاد منهما أن ملك السموات والارض له تعالى من غير منازع ولا مشارك يتصرف فيه كيف شاء بما شاء بمقتضى ارادته ومشيتته فيهب لعباده من الاولاد ما تقتضيه مشيئته فيخص بعضا بالاناث وبعضا بالذكور وبعضا بالصنفين جميعا ويمقم آخرين فلا يهب لهم ولدا لا ذكرا ولا انثى ولا بد أن يكون هذا التصرف على وجه لا يتصور اكمل منه ولا أوفق لمقتضى الحكمة والصواب منه لانه جل شأنه عليم بالمصلحة قدیر على ما يشاء لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون

وقال جل ثناؤه في بيان كمال ارادته وتمام اختياره وعظيم

قدرته

إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ
فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

سورة آية
يس ٨٢

ما تشير اليه هذه الآية الكريمة

تشير هذه الآية الكريمة الى اثبات ارادته تعالى وكمال اختياره وعظيم قدرته لان شأنه تعالى في الابدان انه اذا اراد ايجاد أى شىء من الاشياء فانما يقول له كن موجودا فيوجد من غير توقف على استعمال آلة أو ما يتبع ذلك من المشقة والتعب وغير ذلك مما هو ضرورى للانسان اذا اراد عمل أى شىء من الاشياء اذ هو تعالى المالك لكل شىء والمتصرف فيه بمقتضى مشيئته وعلى سنن حكمته فلا يعجزه ايجاد شىء وافق ارادته واقتضاه مشيئته فسبحان من بيده ملك كل شىء يتصرف فيه كيف شاء واليه يرجع الامر كله وله الخلق والامر واليه ترجع العباد يوم المعاد فيجازى كل عامل بعمله وهو العادل المنعم المتفضل

والآيات القرآنية الدالة على كمال اختياره تعالى وان كل شىء بارادته ومشيئته كثيرة منها قوله تعالى (والله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شىء قدير) ومنها قوله تعالى (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون) ومنها غير ذلك

الصفة الثامنة القدرة

هى صفة قديمة يوجد الله بها ما يشاء أن يوجده ويمسدهم بها ما يشاء أن يمسدهم وفق ارادته وذلك لانه قد تواطأت العقول وتواترت النقول على ان الذى أبدع هذا العالم وأبرزه من العدم الى الوجود ونوعه الى هذه التنوعات العجيبة الغريبة من سموات وأرضيات جمادية ونباتية وحيوانية كل ذلك مع نهاية الاحكام والاتقان هو (الله) تعالى وحده لا سواه فلا يكون مع ذلك الا قادرا

واني لأذكر لك طرفا من هذه المبتدعات المتناهية في الاحكام والاتقان مما يدل على ان عظمته تعالى وعظمة قدرته لا تحصى وان كل عظمة فهي في جنب عظمة الله تعالى حقيرة هينة هذا الحيوان الذى بلغ فى الصنع أعلى منازل الغرابة وأسمى درجات الاحكام لو تأملت فيه وما انطوى عليه من غريب التكوين وبديع الصنع وما اشتمل عليه من الاعضاء الظاهرة والباطنة ووظيفة كل عضو منها واختلاف ابدانها ودقائق صنعها وانطوائها على الفوائد الجملة والمصالح التى بنيت على الحكمة لانبهر عقلك وتبحر فكرك وفهمك

ولا تسأل عن اختلافه واختلاف أنواعه وأصنافه فمنه الصغير والكبير ومنه ما يعيش فى الهواء ومنه ما يعيش فى الماء وما يعيش على سطح الارض وما يعيش فى اثنين من ذلك ومنه ما يمشى على أربع ومنه ما يمشى على بطنه ومنه ما يتناول غذاءه بيده وما يتناوله بفمه وما يتناوله بمنقاره وما يتناوله بانفه ومنه غير ذلك فسبحان الله الحكيم الخبير القادر القاهر

وهذا النبات الذى اشتمل على الغرائب والمعجائب وحير الالباب بما أودع فيه من النظام المحكم والاسرار والحكم ينمازى بذوره حبوبا يابسة عديمة النمو والحياة اذ تراها دخلت فى تركيب النباتات فانقلبت جسما ناميا متغذيا مكتسبا خواص لم تكن له من قبل ثم تنظر فى ذلك الجسم النباتى فتراه من جهة عديم الارادة فاقد الادراك أشبه شئ بالجماد وتنظر اليه من جهة أخرى فتراه قد امتد بعروقه فى بطن الارض لتناول الغذاء ولا تسأل عن اختلاف أشكاله وأشكال أوراقه وأنمازه وبذوره وروائح وطعومه وألوانه ومنافعه ومضاره ومع اشتراك أنواعه فى الخضرة لانكاد تجد خضرة نوع تشبه خضرة نوع آخر كل ذلك مع اتحادها فى أنها تسقى بماء واحد وتتغذى بترربة واحدة وتمتص ما يلزمها من هواء واحد فسبحان الحكيم الخبير القادر العليم

سورة آية

وهذه الارض وما اشتملت عليه من بر وبحر وما في كل منهما من الغرائب والعجائب مما هو أوضح دليل وأقوى برهان على ما لصانه من باهر القدرة وعظيم الحكمة

وهذه السموات وما اشتملت عليه من السكواكب وعجائبها ودورانها في أفلاكها بهذه الحركات المنتظمة مع اختلافها في الصغر والكبر وسرعة سيرها في أفلاكها وبطئها واختلافها في النور والظلمة وتولد الفصول والشهور منها الى غير ذلك من العجائب والغرائب فلا جرم ان من أوجد هذه الموجودات المتقدمة وأحكمها وأبدع في إيجادها على غاية الاحكام والاتقان يكون قادرا اتم القدرة لا تدخل أعمال قدرته تحت تصور بشر أو احاطة فكير

﴿ وإيّاں آثار قدرته تعالٰى فى مخلوقاته أشار بقوله ﴾

البقرة ١٦٤

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلُكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأُخْجِيَ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

المقصود من هذه الآية الكريمة وبيان معناها

المقصود منها الاستدلال بالنظر في هذه الموجودات المذكورة في الآية الكريمة على انه تعالى قادر اتم القدرة لا تقتناهي قدرته عند حد ولا يدرك مقدار عظمتها أحد وذلك من خلق السموات والارض وما فيهما من العجائب والغرائب ومن اختلاف الليل والنهار بالزيادة والنقصان والجيء والذهاب مع تعافيهما على ذلك بحالة منتظمة

لا يتغيران مهما تعاقبت الفصول وتوالى الاعوام . ومن السفن التي
تجري على الماء ولا ترسب مع ضخامتها محملة بالاثقال وغير محملة لينتفع
الناس بها في أمور معاشهم . ومن انزل الماء من السماء فتنبت به
الارض بعد يبسها وتنتشر فيها الدواب بما تأكله من ذلك النبات .
ومن تصريف الرياح وتقلبها جنوباً وشمالاً وشرقاً وغرباً حارة وباردة
ومن الغيم السخري بين السماء والارض بلا علاقة تمنعه من السقوط
ولامسك يمسكه يسير حيث شاء الله تعالى

وحقيقة فان كل واحد من هذه المذكورات مشتمل على وجوه
كثيرة دالة على كمال قدرته تعالى ونهاية عظمته ولذا يقول صلى الله
عليه وسلم (ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها) يريد هذه الآية الشريفة
وقال تبارك اسمه في بيان كمال قدرته مستدلاً على ذلك بخلق
السموات والارض وعدم عجزه عن خلقهن

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة

ترشد هذه الآية الكريمة الى اثبات قدرته تعالى على أن يبعث
الخلق ويحييهم بعد فناءهم ليثيب المطيع على طاعته ويعذب العاصي ان
شاء على معصيته وذلك لانه تعالى أثبت بالدلائل القاطعة والبرهان
الساطع انه هو الذي خلق السموات والارض ولم يمجزه خلقهن فهو
قادر على ان يحيي الموتى بالطريق الاولى لان احياءهم بعد موتهم
اسهل بكثير من خلق هذين الجرمين العظيمين الكبيرين من غير
سبق مثال يحدو على منواله كما قال تعالى (لخلق السموات والارض
أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون) فسيحان من
لا يقدر قدر قدرته الا هو ولا يحيط بعظمته سواه

سورة آية وفال جل شأنه أيضاً في بيان كمال قدرته مستدلاً بخلقه الانسان من الماء

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا جَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۚ
وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ۝٥٤

ما يؤخذ من هذه الآية السكرية

يؤخذ من هذه الآية السكرية اثبات كمال قدرة الله تعالى حيث قدر على ان يخلق من الماء الذي هو النطفة بشرا حساسا ناميا سميعا بصيرا متكاما مدركا شاملا ذائقا لامسا عاقلا حكيما يحول فكره في كل شئ ويتصرف في كثير من هذه الكائنات في هذا العالم ذا اعضاء مختلفة وطباع متباينة وجعله قسمين متقابلين ذوى نسب أى ذكورا ينسب اليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان وذوات صهر اى اناثا يصاهر بهن فتبارك الخلاق العظيم الذي ينشئ هذا المخلوق العجيب والمصنوع البديع من نطفة قدرة المنظر كريمة الرائحة تشمئز النفس لرؤيتها لو اصابها الهواء لفسدت من ساعتها ان في ذلك لعلوة لأولى الابصار

والآيات القرآنية الدالة على كمال قدرته تعالى وتام عظمتة كثيرة لا تكاد تحصى وفيما ذكر كفاية للمسترشد التأمل والله ولى التوفيق

الصفة التاسعة الوحدانية

هى عدم التعدد فى الذات والصفات والافعال فالله سبحانه وتعالى واحد فى ذاته أى ليست ذاته مركبة من اجزاء ولا شريك له فى الملك يساهمه ويساويه ولا ضد له فيمنازعه ويدانيه وواحد فى صفاته اى ليس لاحد صفة تشبه صفة من صفاته وواحد فى افعاله اى ليس لاحد غير الله تعالى فعل من الافعال فالافعال كلها خيرها وشرها مبدعها وخالقها وفاعلها الله وحده بلا شريك ولا معين فهو المنفرد بالخلق

والإبداع والمستقل بالابحاد والاختراع لأرب غيره ولا معبود سواه سورة آية
والى تفرد سبجانه وتعالى فى الذات وعدم الشريك والمعين
يشير بقوله تعالى

لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ
رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ٢٢

ما تشير اليه هذه الآية الكريمة

تشير هذه الآية الكريمة الى ابطال تعدد الآلهة وانه لا موجود
منها الا واحد وهو الله تعالى وذلك لانه لو كانت فى السموات
والارض آلهة معبودون غير الله تعالى لفسدتا وبطلتا بما فيهما من
المخلوقات وخرجتا عن نظامهما المشاهد وهلاك من فيهما لوجود التامع
فى الشئ وعدم الاتفاق عليه لان كل أمر صدر عن اثنين فاكتر لم
يجر على النظام ويبدل العقل على ذلك وذلك اننا لو قدرنا وفرضنا
وجود إلهين فاما ان يتفقا على وجود هذا العالم أو يختلفا فان اتفقا
فلا جائز ان يوجدها معاً لانه يلزم عليه اجتماع مؤثرين على أثر واحد
وهو محال ولاستلزام ان كلا منهما لم يوجده بانفراده بل بمشاركة
الآخر له وعليه فيكون هذان الالهان قد ركبا وجعلا إلهما واحداً
ينسب اليه الابحاد ولا ينسب لكل منهما على انفراده لانه جزء
الموجد لا موجد مستقل وإله العالم انما هو موجهه واذا قيل ان
الاله هو المجموع المركب منهما كان ذلك باطلا لاستلزامه التركيب
وهو محال على الاله الموجد للعالم لان التركيب من صفات الحوادث.
ولاجاز ان يوجدها مرتباً بأن يوجده أحدهما ثم يوجده الآخر
لانه يلزم عليه تحصيل الحاصل وهو محال . ولاجائز ان يوجد احدهما
البعض والثانى البعض الآخر لازوم عجزهما حينئذ لانه لما تعلقت قدرة
أحدهما بالبعض سد على الآخر طريق تعاق قدرته به فلا يقدر على
مخالفته وهو عجز والعجز على الاله محال

سورة آية

وان اختلفا بأن اراد احدهما ايجاد العالم والآخر اعدامه فلا جاز ان ينفذ مرادهما لانه يلزم عليه اجتماع الضدين ولا جاز ان ينفذ مراد احدهما دون الآخر للزوم عجز من لم ينفذ مراده والآخر مثله لان عقاد المائلة بينهما تثبت ان القول بوجود الهين أو أكثر يوجب الفساد وحيث ثبت ذلك فلم يبق الا ان إله هذا العالم وموجده لا بد أن يكون واحداً تنزه الله عما لا يليق به وتعالى عما وصفوه به من الشريك له علواً كبيراً

وقال جل شأنه في اقامة الدليل على بطلان دعوى من يقول بوجود آلهة غير الله تعالى

الاسر ٤٢

قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذْنٌ لِّأَبْتَغَوْا
إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا
كَبِيرًا

الغرض من هذه الآية الكريمة

الغرض من هذه الآية ابطال قول المشركين ان مع الله آلهة أخرى يانه لو كان ما يقولونه صحيحا لا يتغوا وطلب أولئك الالهة الى الله سبحانه سبيلا وطريقا للمغالبة والمقاتلة والمهامة ازيلوا ما سكه كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض من المقاتلة والصاولة عند تعددهم وذلك باطل لعدم حصوله فما أدى اليه وهو وجود آلهة غير الله تعالى باطل أيضا تنزه الله وتعالى عما يقول فيه هؤلاء الناس علوا كبيرا فانه سبحانه وتعالى يرى مما يقولونه بعيد عما يصفونه به منزله عن كل نقص لا إله الا هو تفرد بالايجاد له الملك والملكوت يحيي ويميت وهو على كل شئ قدير

وقال جل شأنه في نفي اتخاذ الولد والشريك له واقامة الدليل على ذلك .

سورة
الزمر
آية
٩٢

مَا تَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَنْ
لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ
اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ

ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة

ترشد هذه الآية الكريمة الى أمرين (الاول) بطلان اتخاذ
الله تعالى ولدا لان الولادة تقتضى انفصال مادة من الوالد وذلك
يقتضى التركيب وهو مستحيل عليه تعالى ولأن الولد لابد أن يجانس
أباه ومثاله وأيضا انما يطلب العاقل الولد ليعينه على أمور معاشه والله
جل شأنه منزّه عن التركيب لانه من شأن الحوادث وعن مماثلته لاحد
أو مماثلة أحد له ومتقدس عن احتياجه لاحد لانه هو الغنى المطلق
(الثاني) نفي الشريك له تعالى مع اقامة الدليل على تفردّه بالالوهية
بانه لو كان له ثان يشاركه فيها لذهب كل واحد منهما بما خلقه واستبد
به واستقل وتصرف فيه تصرف المالك في ملكه وامتاز ملكه عن
ملك الآخر وعلا بعضهم على بعض ووقع بينهما التحارب والتغالب
كما هو المشاهد بين ملوك الدنيا بعضهم مع بعض

وحيث لم يكن أثر لتمييز الممالك والتغالب فلم يبق اذن الا انه اله
واحد يبيده ملكوت كل شيء تعالى الله عما يقول فيه الظالمون
علوا كبيرا

وكثيرا ما أقام الله تعالى الادلة الواضحة والبراهين الساطعة على
وحدانيته وأنه المنفرد بالخلق والايجاد لاشريك له ولا معين ولا ند
ولا ضد ونادى على من أشرك به غيره بعدم الفلاح والنجاح فقال
(ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه انه
لا يفلح الكافرون) وقال تبارك اسمه (تبارك الذى نزل الفرقان
على عبده ليكون للعالمين نذيرا الذى له ملك السموات والارض ولم

آية سورة يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخاق كل شيء فقدره تقديرا (لا رب غيره ولا معبود سواه

الصفة العاشرة السمع

هو صفة قديمة تنكشف بها السموعات ولكن لا بأذن ولا سماخ تعالى الله عن صفة الحوادث علوا كبيرا وهو من الصفات التي ورد الشرع الشريف بشيئها لله تعالى وجب القرآن الكريم ناطقا بها فوجب التصديق بأنه سميع

على أن من أمعن النظر وأجال الفكر في استحقاق الآله العبودية واختصاصه بالعبادة دون سواه ونظر في جميع التكليف التي شرعها ذلك الآله جزم لأول وهلة ان هذه العبادة لا يصح أن تكون لغير سميع اذ كيف يوجه الانسان عبادته الى من ليس يسمع ذكره له وثناء عليه ولا تحميده ولا تعجيدته والعبادة ليست غير ذلك ولذا يقول سيدنا ابراهيم عليه السلام لا ييه (يا أبت لم تعبد ما يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا) أي لا يصح لك أن تعبد من هذه حالته لعدم الفائدة حينئذ

﴿ وقد أثبت الله لنفسه هذه الصفة حيث قال ﴾

إِذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۖ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّينًا ۚ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۚ ١٠ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْفِنَا ۚ ١١ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ

وَأَرَىٰ

ما تشير اليه هذه الآيات الكريمة

تشير هذه الآيات الكريمة الى حكاية أمر سيدنا موسى عليه السلام وأخيه هرون مع فرعون عليه اللعنة حيث أمرهما الله تعالى أن يذهبا اليه ليقولا له انا رسولا ربك فأرسل معنا بني اسرائيل ولا

تمذهبهم فقالا له عز وجل انا نخاف اذا دعونا الى ذلك أن يفرط علينا ويمجبل علينا بالعقوبة فقال الله تعالى لها لا تخافا مما ذكرتما فاني حافظ لكما وناصر كما عليه أسمع ما يجري بينكما وبينه من القول وأرى ما يحصل بينكما وبينه من الفعل فافعل في كل حال ما يليق بها من دفع ضرر وجلب خير

وقال تعالى في اثبات هذه الصفة له أيضا

أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ
وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ

ما يؤخذ من هذه الآية الكريمة

يؤخذ من هذه الآية الكريمة اثبات صفة السمع له تعالى وأنه لا تخفى عليه خافية فلا يعزب عن سمعه مسموع وان خفى ولا يحجبه بعد وان طال وقد ظن الكفار لجهلهم أنه سبحانه وتعالى لا يسمع الا ما جهر به من الاصوات وأما ما خفى منها فلا يسمعه . فرد الله عليهم بقوله . أم يحسبون أننا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون أي أظن هؤلاء الناس لجهلهم أننا لا نسمع ما يتجادثون به سرا في مكان خال وما يتناجون به فيما بينهم بلى قد كذبوا في ظنهم الفاسد وزعمهم الباطل بل نسمع ذلك ونعلم به ونطلع عليه رسلنا وملائكتنا الموكلون بحفظ أعمالهم الملائمون لهم يكتبون جميع ما يصدر منهم من قول أو فعل فنجازيهم به

ومن هذه الآية الكريمة يؤخذ وجوب مراقبة الله تعالى في جميع الأحوال حيث انه تعالى مطلع على الانسان في جميع لحظاته وحركاته ومكمناته سميع لكل ما يقول مطلع على كل ما يفعله سواء ما خفى من ذلك وما ظهر منه فان الاخفاء والاطهار بالنسبة له تعالى سواء

الصفة الحادية عشر البصر

هو صفة قديمة تنكشف بها المبصرات ولكن لا بعين ولا حدقة ولا جارحة ولا بغير ذلك فان ذلك من صفات الحوادث المنزه عنها الله تعالى وهو من الصفات التي لا مزية في ثبوتها لله تعالى اذ جاء الشرع الشريف بثبوتها له عز وجل ونطق القرآن الكريم بها وهو بهذا المعنى أى انه صفة خاصة به تعالى سمى محض أما البصر بمعنى العلم بالمبصرات فهو أمر عقلى اذ لا يعقل أنه يوجد البصر وهو غير بصير بل كيف يخلق هذا الخلق وهو لا يبصره بل كيف يصح أن يعبد من لا يرى من يعبد بل كيف لا يكون بصيرا والبصر كمال لا محالة وقد أوجده في مخلوقاته وكيف يكون المخلوق أتم واكمل من الخالق والمصنوع أسنى من الصانع ذلك غير معقول وكيف يعقل أن الانسان بصير وخالق الانسان غير بصير ألا يبصر من خلق وهو العلى العظيم

﴿وقد أثبت الله لنفسه هذه الصفة حيث قال﴾

لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ

اشورى ١١

ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة

ترشد هذه الآية الكريمة الى ثلاثة أشياء . الاول . نفي مشابهته جل شأنه لكل ما عدها من المخلوقات اذ لو شابه شيئا منها لكان حادثا مثلها وذلك محال كما تقرر غير مرة . الثاني . اثبات انه تعالى سميع أى مدرك لجميع السموعات لا على سبيل التخيل والتوهم ولا بتأثر حاسة أو وصول هواء . الثالث . اثبات انه تعالى بصير أى مدرك لجميع المبصرات لا على طريق التوهم والتخيل ولا على طريق تأثر حاسة ولا وصول نور لان كون العامل برسم صور المرئيات فى العين هو النور الواقع على المرئيات والمنعكس منها الى داخل العين انما ذلك فى الحوادث والله جل شأنه منزه عن صفات الحوادث

وقد ورد في غير ما آية من الكتاب العزيز غير ما ذكر وصفه سورة آية
تعالى بأنه بصير فمن ذلك قوله تعالى . ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات
الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ان الله نعمًا يعظمكم
به ان الله كان سميعا بصيرا . ومنه قوله تبارك اسمه . الله يصطفى
من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير . ومنه غير
ذلك والله أعلم

الصفة الثانية عشرة الكلام

هو صفة قديمة ليست بحرف ولا صوت وقد نطق القرآن بأن
الله كلم موسى تكليما وأنه قد اصطفاه على الناس برسالاته وبكلامه
وأنه جل شأنه لا يكلم البشر الا وحيا فوجب علينا التصديق بأنه
تعالى متكلم وليس علينا البحث في حقيقة معنى الكلام لانه كغيره
من صفات الله لا يمكن الوصول الى العلم بحقيقته أما الالفاظ المقروءة
فالبحت عنها من خلقها وعدم خلقها بدعة يجب السكوت عنها والذي
يجب الايمان به أن القرآن كلام الله والله أعلم

﴿ وقد أثبت الله لنفسه هذه الصفة وهي صفة الكلام بقوله ﴾

وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ شَرِّ ٥١

وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ

ما يستفاد من هذه الآية الكريمة

يستفاد من هذه الآية الكريمة اثبات الكلام لله تعالى مع بيان
كيفية تلقيه من عند الله تعالى ووصوله الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام
وذلك يكون بأحد ثلاثة أمور

الاول . أن يوحى اليه بأن يقذف في قلبه شيئا لا يشك في أنه
من عند الله تعالى فيقع ذلك المعنى المقدوف في نفس الموحى اليه بدون
واسطة لفظ يخلقه الله تعالى فينكشف له بمجرد القذف ثم هو يمكنه

سورة آية بعد ذلك أنه يعبر عنه بالفاظ من عنده كيفما شاء ويمكن أن يعبر عن هذه الحالة بالالهام وهذا الذي أفاده الله تعالى بقوله . الا وحيا .
الثاني . أن يكلمه من وراء حجاب بأن يسمعه كلامه ولا يراه وذلك كما حصل لموسى عليه السلام وهذا الذي أفاده الله تعالى بقوله . أو من وراء حجاب .

الثالث . أن يكون ذلك الكلام بواسطة ملك يرسله الله تعالى الى الوحي اليه من البشر فيوحي اليه ما يشاء أن يوحيه له باذن الله تعالى وأمره وتيسيره وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله . أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء . والله أعلم
﴿وقال جل ثناؤه في اثبات صفة الكلام له بأنه كلم موسى عليه السلام﴾

وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا

النساء ١٦٣

ما يستفاد من هذه الآية الكريمة

يستفاد من هذه الآية الكريمة اثبات صفة الكلام لله تعالى وذلك انه تعالى أخبر عن نفسه وهو الصادق المصدوق بأنه كلم موسى عليه السلام حتي سمع كلامه وهذه الحالة التي حصلت لموسى عليه السلام من التكلم بالكيفية المتقدمة هي احدى كيفيات التكليم الثلاث المتقدمة كما علمت

وما ورد في القرآن الكريم مما يثبت بأوضح برهان وأسطع دليل أنه تعالى متكلم كثير وذلك غير ما ذكر قوله تعالى . ولما جاء موسى ليقاننا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين

هذا وقد تم القول ولله الحمد والمنة فيما يجب له تعالى من الصفات السكالية والمراتب العلية وما يستحيل اتصافه به جل شأنه من اضداد تلك الصفات فلم يبق مما يتعلق بذاته الشريفة الا ذكر ما يجوز في حقه تعالى ليكون به قد كمل ما يجب اعتقاده بالنسبة له جل شأنه فاليك بيانه

الجائز في حق الله تعالى

يجوز في حقه تعالى فعل كل ممكن أو تركه ولا يجب عليه شيء فهو الفاعل المختار يتصرف في ملكه بما شاء وكيف شاء لا يصدده عن ذلك صاد ولا يمنعه عنه مانع وذلك لان كل ما في هذا العالم من سموات وأرض وحيوان ونبات وبر وبحر وأحجار وأشجار وغيرها فعمل الله تعالى وخلقها واختراعه لا خالق له سواء ولا محدث له الا هو ولا شريك له فيه ينازعه ولا ضد له فيه يعارضه ويمانده ويمانهه فكيف يعقل مع هذا ان هذا الخالق القادر وهذا المالك المطلق يحول دون تصرفه في ملكه كيف يشاء أحد حاشا لله أن يكون كذلك بل هو الفاعل المختار لكل شيء من خير وشر ونفع وضر وعرف ونكر الى غير ذلك من الشؤون والاحوال كل ذلك بإرادته واختياره غير انه مع ذلك يجب علينا أن نعتقد ان كل فعل من أفعاله تعالى جار على الحكمة والعدل والصواب من غير اجحاف بحق أو ظلم لاحد كما وصف الله نفسه بذلك فقال وما ربك بظلام للعبيد . وقال تبارك اسمه . ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون . كما يجب أن نعتقد ان جميع أفعاله تعالى لا تخلو عن حكمة وفائدة سواء علمت لنا تلك الحكمة أو لم تعلم كما قال تعالى . وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق وقال تعالى . ألحسبتم انما خلقناكم عبثا وأنكم اينس لا ترجعون . ﴿ وقد أثبت الله لنفسه أنه فاعل مختار يتصرف في ملكه بما شاء وكيف شاء بقوله ﴾

سورة آية
يونس ١٠٧

وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ
وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ

ما المقصود من هذه الآية الكريمة

المقصود منها اختصاصه تعالى بالتصرف المطلق وتفردة بالقدره
التامة والعظمة الكاملة وأنه لا شيء في الوجود الا وهو في قبضته
وتحت تصرفه فاذا أراد أحدا بسوء فلا يمكن لاحد سواه أن يكشفه
عنه ويمنعه منه لأن الكل تحت قهره وسلطانه كما انه اذا أراد أحدا
بخير فلا يقدر أحد سواه على رده كائنا من كان بل يصيب به من
يشاء من عباده حسب ارادته ومشئته وهو الغفور الرحيم لمن تاب
اليه ورجع ولو من أي ذنب كان حتى من الشرك به فانه
يتوب عليه

﴿وقال جل ثناؤه في بيان كمال اختياره بما له من الملك المطلق
والتصرف التام في السموات والارض وفي كل شيء﴾
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ
مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

المائدة ٤٣

ما الغرض من هذه الآية الكريمة

الغرض من هذه الآية الكريمة اثبات انه تعالى فاعل مختار
يتصرف في خلقه كيف شاء فيعذب هذا ويغفر لذلك حسب ارادته
ومشيئته وذلك بما له من السلطان القاهر والاستيلاء الباهر المستلزمين
للقدرة التامة على التصرف الكلى فيفعل بمقتضاها ما شاء من التعذيب
والغفرة حسب ارادته واختياره والله على كل شيء قدير ومن ذلك
ما ذكر من التعذيب والغفرة

والآيات القرآنية الدالة على انه تعالى فاعل مختار يتصرف في ملكه سورة آية
كيف يشاء من نفع وضر وخير وشر كثيرة تكاد لا تحصى فنحن غير
ما ذكر قوله تعالى (إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يذهبكم) وقوله تعالى
(وربك يخلق ما يشاء ويختار) ومنها قوله تعالى (ولو بسط الله الرزق
لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير
بصير) ومنها قوله تعالى (ولله ملك السموات والأرض وما بينهما
يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير) ومنها غير ذلك مما لا يحصى كثرة
فعليك باتباعه ان أردت استقصاءه وفيما ذكر كفاية للمسترشدين والله
ولى التوفيق ومنه الرشد والسداد

وحيث قد انتهى بنا القول في بيان ما يجب في حق الله تعالى وما
يستحيل وما يجوز فقد بقى الكلام على ما يجب للرسل الكرام وما
يستحيل وما يجوز في حقهم عليهم الصلاة والسلام وما خصهم الله به
من جليل النزية وكمال الافضلية وميزهم به من الصفات المرضية والمراتب
العلية فإليك بيانه



ارسال الرسل عليهم الصلاة والسلام

تمهيد

في بيان حكمة ارسالهم

اعلم ان الله جات قدرته وعلت كلمته خلق الخلق وطبعهم على
أخلاق حسنة تساعدهم على انتظام حالهم وأخلاق تخالفها لاجل أن
يتسابقوا بها في عمارة هذا السكون الذى قدر وجودهم فيه الى أجل
معلوم لسكن لما كان تحديد الرغبة في السبق يوجب وقوف كل راغب
عند حده ويأسه من مجاوزته وبذلك تتمطل حركة المسابقة لم تعدل
الاخلاق في أصل الفطرة فصارت تلك الاخلاق السيئة في معرض

سورة آية

الطفيان والوصول الى حد يصبح به ضررها اكبر من نفعها لذلك اقتضت رحمة الله بعباده بمحض ارادته واختياره أن يرسل لهم أناسا منهم طبعهم على الاخلاق الفاضلة والصفات الكاملة وأطلعهم على مكامن الاخلاق وأسرارها وكيفية علاجها ودرجة الاعتدال منها ليهدوهم ويرشدوهم الى ما فيه صلاحهم وتقويم أخلاقهم وتهذيب نفوسهم ويبينوا لهم الخير ليمتدعوه والشر ليجتنبوه ويردوهم الى حد الاعتدال في مثل هذه الاخلاق. مثلا الطمع خلق سيئ ولكن لولاه ما تجشم الخلق أعباء المكاسب والفرس والمهارة واذا طغي نشأ عنه منازعات الخلق وتولدت الشرور المبيدة فشرعة الرسول تطفه وترده الى ارادة السعي والتعديس بعد أن يكون ارادة التكثير والاستئثار فكأنه يجمله حسنا بعد ان كان سيئا وبذلك تتم المسابقة في عمارة الكون وتحصل الغاية المقصودة منه بلا ضرر ولا ضرار وهذا هو جل المقصود من الرسل عليهم الصلاة والسلام

والكمال لطفه بهم ورحمته لهم جعلهم بشرا من جنسهم ليكون أن ينتفع بعضهم ببعض في المخاطبة والسؤال ولم يجعلهم ملائكة لعدم امكان رؤيتهم ومخاطبتهم فلا تحصل الفائدة المقصودة من ارسالهم حينئذ ولقد امنن الله بهذه الرحمة والنعمة على عباده فقال (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين)

(وقد بين الله تعالى وظيفة هؤلاء الرسل وحكمة ارسالهم في قوله)

إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ۖ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ

سورة آية
النساء ١٦٣

عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ تَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ
مُوسَى تَكْلِيمًا ۚ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا
يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا
حَكِيمًا

ما يستفاد من هذه الآيات الكريمة

يستفاد من هذه الآيات الكريمة أحكام

(الاول) ان النبي عليه الصلاة والسلام أوحى اليه كما أوحى الى
أخوانه النبيين من قبله وهم نوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق
ويعقوب والأسباط أى أولاده وعيسى وإيوب ويونس وهارون
وسليمان وداود وموسى وغيرهم ممن قصهم الله على نبيه وبين أخبارهم
له ومن لم يقصصهم عليه

(الثاني) بيان وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام وهي أنهم
يبدشرون من صدقهم فيما جاؤا به من عند الله تعالى وعمل به بالجنة
والثواب والتنعيم بالنعيم الدائم المقيم وينذرون من كذبهم وعصاهم
فيما جاؤا به بالنار والمذابح الآليم وماخذ ذلك من قوله تعالى (رسلًا
مبشرين ومنذرين)

(الثالث) بيان حكمة ارسالهم عليهم الصلاة والسلام وهي
المذكورة في قوله تعالى (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)
أى أرسلهم الله تعالى ليدشروا الناس وينذروهم لئلا يكون لهؤلاء
الناس معذرة يعتذرون بها بعد ارسال الرسل وتبليغ الشرائع على
ألسنتهم فيقولون يا ربنا هلا أرسلت الينارسولا فيبين لنا شرائعك
ويعلمنا ما لم نكن نعلم من أحكامك لقصور عقولنا عن ادراك جزئيات
المصالح وتفردك بعلمها دون سراك فقطع الله حججهم هذه بإرسال
الرسل عليهم الصلاة والسلام كما قال تعالى (لئلا يكون للناس على الله
حجة بعد الرسل) والله أعلم

سورة آية شورى ١٣ ﴿وَبَيْنَ جَلِّ شَأْنِهِ مَا أَرْسَلْنَا بِهِ لِيَعْلَمُوهُ النَّاسَ وَيَهْدُوهُمْ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ﴾
 شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي
 أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ
 أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ

ما يرمى اليه غرض هذه الآية الكريمة

يرمى غرض هذه الآية الكريمة الى الحث على اقامة الدين وعدم
 التفرق فيه بما يحصل في أصوله من الخلاف والاضطراب وفيها بيان
 ما شرعه الله تعالى ووصى به رسوله الكرام من لدن نوح الى سيدنا
 محمد عليه الصلاة والسلام ليعلموه الناس ويرشدوهم اليه وهو توحيد
 الله تعالى واعتقاد اتصافه تعالى بصفات الكمال وتنزهه عن صفات
 النقصان والتخلق بالاخلاق الفاضلة والصفات الكاملة فانه مامن نبي
 الا وقد وصى قومه بذلك وأرشدهم اليه

أما الشرائع التي هي مصالح الامم فانها تختلف باختلاف الاشخاص
 والامكنة والازمنة والاخلاق والعادات كما يدل على ذلك قوله تعالى
 (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) فهذه لم تكن الوصاية بها عامة
 لسائر الرسل عليهم الصلاة والسلام بل كانت لكل رسول بما يناسب
 استعداد قومه وزمانهم ومكانهم وأخلاقهم وعاداتهم والله أعلم
 ومن تجب معرفته منهم تفصيلا خمسة وعشرون وهم آدم وإبراهيم
 واسحق ويعقوب ونوح وداود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى
 وهرون وزكريا ويحيى وعيسى والياس واسماعيل واليسع ويونس
 ولوط وهود وشعيب وصالح وإدريس وذو الكفل وسيدنا ومولانا
 محمد صلى الله عليه وسلم وكلهم مذكورون في القرآن الكريم
 فهؤلاء هم الرسل الكرام الذين تجب معرفتهم تفصيلا كما يجب
 اعتقاد أنهم موصوفون بهذه الصفات الآتية التي سنذكرها مع أدلتها
 والله ولي التوفيق

سوره آية

صفات الرسل عليهم الصلاة والسلام

تمهيد — د

في بيان حال الرسل مع من أرسلوا اليهم ولم أيدهم الله بالمعجزات
ووجبت لهم هذه الصفات

اعلم انه سبق القول فيما يتعلق بالرسل ووظيفتهم وحكمة ارسالهم
وما أرسلوا به ليعلموه الناس ويرشدوهم اليه من كل ما يكفل لهم
السعادة في الدنيا والآخرة بقى ان هؤلاء الرسل عليهم الصلاة والسلام
لا بد أن يقابلوا من المرسل اليهم بالنكذيب وذلك إما عنادا وكبرا
مع اعتقادهم بان ما جاء به هذا الرسول هو الحق الذي لا مريبة فيه
وأنه رسول الله حقا وقد حكى الله عنهم هذه الحالة بقوله (وان يروا
آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) أو حسدا على اصطفاء الله تعالى
لهذا الرسول دونهم وتفضيله عليهم مع انه ربما كان أقل ثروة منهم
وأقصر جاهها من أحدهم وقد حكى الله عنهم هذه الحالة أيضا بقوله
(قالوا ان أنتم الا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا
فاتونا بسلطان مبين قالت لهم رسلكم ان نحن الا بشر مثلكم وانكن
الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا
بإذن الله) أو تقليدا لما ورثوه عن آباؤهم وأسلافهم من الاعتقادات
الباطلة والاخلاق الفاسدة تمسكا أعمى وتعصبا أعشى وقد حكى الله
عنهم هذه الحالة أيضا بقوله (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا
بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا
ولا يهتدون)

لذلك اقتضت حكمة الله تعالى أن يجعل لهؤلاء الرسل من الآيات
البيّنات والعلامات الواضحات والحجج القاطعة والبراهين الساطعة
ما يلجئ خصومهم الى الاعتراف والتصديق بكل ما جاؤا به من عند
الله تعالى ويبركون ما هم عليه من العناد والحسد والتقليد وجعل جل
شأنه هذه العلامات على نوعين

سورة آية

(الاول) المعجزة التي تدركها الحواس وهذه يطلبها أحد رجليين
أما ناقص الإدراك ومع نقصه هو غير معاند فيحتاج الى ما يدركه
بالحس كقلب العصا حية وإبراء الأكمه والابرس وانشقاق القمر
وغيرها وأما معاند قصده التعنت والعناد ليس الا

(الثاني) ما يشتمل عليه ذلك الرسول من الصفات التي لا يمكن
أن توجد لغيره كاملة كما هي فيه وذلك كالصدق في كل ما أخبر به عن
الله تعالى وكثيرة بيانه وشدة ذكائه وفصاحة لسانه وشدة عارضته
وقوة مدركته وكصمته من الوقوع في أي معصية صغيرة كانت أو
كبيرة ومن فعل كل شيء يحل بمرتبة العلية وهذا النوع من العلامات
يدركه أولو البصائر والافهام ولذا وجب اعتقاد اتصافهم بهذه الصفات
لان عليها مبني النبوة ونشر الرسالة واليك بيانها وأدلتها والله
ولي التوفيق

الصفة الاولى الصدق

اعلم انه يجب اعتقاد أن هؤلاء الرسل صادقون في كل ما يبلغونه
عن الله تعالى سواء كان قولاً أو فعلاً لانهم لو كذبوا فيما يقولونه
لكانوا مضلين لا مرشدين وقد علمت أنهم ما أرسلوا الا للارشاد
فتبطل الحكمة من ارسالهم ولان الله تعالى قد أمر بطاعتهم والاعتداء
بهم في أقوالهم وأفعالهم ولا يعقل مع ذلك أنهم يكذبون لانه تعالى
لا يأمر بفعل معصية

(وقد أخبر جل شأنه نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بما حل بمن
كذب من قبله من المرسلين وحق بهم من العذاب الاليم والنكال
الشديد فقال)

أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا
فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ

وَاقِ ٢٢ ذَلِكَ بَأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ
سورة غافر ٢٢
فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ

ما ترشد اليه هاتان الآيتان الكريمتان

ترشد هاتان الآيتان الكريمتان الى تهديد المكذبين برسالة
النبي صلى الله عليه وسلم وحشهم على السير في الارض لينظروا كيف
كانت عاقبة الذين كانوا من قبلهم وكذبوا برسلمهم وما حل بهم من
العذاب والنكال مع أنهم كانوا أشد قوة منهم وآثارا في الارض من
الابنية والمعالم والمعاقل ومع هذه القوة العظيمة والبأس الشديد أخذهم
الله بذنوبهم وأهلكهم بسبب تكذيبهم لرسلمهم وما قدر أحد أن يدفع
عنهم العذاب ولا رده عنهم راد حتى اذا نظروا في ذلك وتحققوا ان
ما حل بهؤلاء الناس بسبب تكذيبهم لرسلمهم يحل بهم اذا هم كذبوا
بالنبي صلى الله عليه وسلم رجعوا عما كانوا يصرون عليه من التكذيب
لرسالته صلى الله عليه وسلم

وقد ذكر الله علة اهلاكهم وما اقترفوه من الذنب حتى استحقوا
به هذا العذاب الشديد فقال (ذلك بأنهم كانت تأتيمهم رسلمهم بالبينات)
أى بالآيات الواضحات والبراهين القاطعات (فكفروا) أى مع هذا
البيان والبرهان كفروا وجحدوا (فأخذهم الله) وأهلكهم (انه
قوى شديد العقاب)

فكانه تعالى يقول لهؤلاء الناس على لسان نبيه محمد صلى الله
عليه وسلم اعتقدوا صدقه عليه السلام في كل ما بلغكموه عنى وإلا
أحلت بكم من العذاب الاليم والعقاب الشديد ما أحلته بمن قبلكم
من الامم الذين كذبوا رسلمهم ولم يقدر أحد حين ذاك أن يحول دون
تنفيذ مرادى فيهم من حلول العذاب بهم مع أنهم كانوا أشد قوة منكم
واكثر آثارا في الارض مما لا تقدرين عليه

سورة آية (وقال جل شأنه في بيان جزاء الذين لم يصدقوا برسلمهم وبما أرسلوا به من سبحانه على وجوههم بالاغلال تارة الى الحميم وتارة الى الحميم)

غافر ٦٩ الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ٧٠ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ٧١ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ

ما ترشد اليه هذه الآيات الكريمة

ترشد هذه الآيات الكريمة الى بيان ما أعده الله تعالى من العذاب الاليم والعقاب الشديد لمن كذب بالكتاب وبما أرسل الله به رسله من الهدى والبيان وهو ان الاغلال توضع في أعناقهم وتوضع في الاغلال السلاسل ثم تسحبهم الزبانية منها على وجوههم ويمسحون بها تارة الى الحميم وتارة الى الحميم ولهذا قال تعالى (يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون) أى يحرقون ظاهرا وباطنا أى وحيث كان هذا العذاب الاليم والعقاب الشديد لمن كذب بالكتاب وبما أرسل الله به رسله كان ولا جرم تصديقهم في كل ما جاؤا به أمرا واجبا محتما ولا يكون كذلك الا حيث كانوا صادقين في كل ما جاؤا به عن الله ليبلغوه الناس

ثم بعد أن بين جل شأنه ما يحل بمن كذب برسله من العذاب وما يحيق به من النكال بين أنه يقال لهم على سبيل التوبيخ والتقريع أين الأصنام التي كنتم تعبدونها من دون الله هل ينصرونكم اليوم قالوا

ضلوا عنا وذهبوا وغابوا عن أبصارنا وفقدناهم فلا نراهم ثم لما تبين سورة آية لهم ما كانوا فيه من الضلال والجهالة وأنهم كانوا يعبدون ما لا يعتد به ولا يضر ولا ينفع قالوا لم تكن ندعوا من قبل شيئا أى بل تبين لنا اليوم انا كنا لم نعبد شيئا يعتد به كذلك بضل الله الكافرين حيث عبدوا هذه الاصنام التى أوصلتهم الى النار

(ومن نظر الى تحاصم أهل النار وقولهم لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب وقول الخزنة لهم انا لن ندعو لمن كذب برسل الله علم ان تكذيب الرسل وعدم اعتقاد صدقهم من اكبر ما جنى المرء على نفسه من المصائب وقد حكى الله تعالى عنهم ذلك بقوله)

وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ٤٧ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ٤٨ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لَخَزَنَةٌ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ٤٩ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ

(وقد صرح جل شأنه بوصف كثير من رسله الكرام عليهم الصلاة والسلام بالصدق فقال)

وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ٥٠ (وقال)

وَإِذْ كُذِّبَ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ
الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا

سورة آية
مریم ٥٤

(وقال)

وَإِذْ كُذِّبَ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا

مریم ٥٦

الصفة الثانية الفطنة

قد علمت ان هؤلاء الرسل عليهم الصلاة والسلام لا بد أن يقابلوا
ممن أرسلوا اليهم بالتكذيب إما عناداً وكبراً أو حسداً أو تقليداً فلا
بد اذن أن يكونوا بمكانة سامية ودرجة رفيعة من الذكاء وشدة
العارضة وقوة الحجة في البيان ليتمكنهم أن يقيموها الحجة الباهرة
والبراهين القاطعة على من ناوأهم من خصومهم بالمعارضة أو وقف
لهم موقف المتحدى فيكسرون بذلك سورة عنادهم ويلجئونهم الى
التصديق بهم ولا يصح أن يكونوا الا كذلك ولوأنهم كانوا غير ذلك
لما آمن بهم أحد لعدم قدرتهم على اقامة الحجة على خصومهم باثبات
دعواهم فتبطل الحكمة من ارسالهم

لذلك لا ترى أى نبي من الانبياء قام بين قومه بدعوهم الى توحيد
الله والايمان به وبرسله وكتبه وملائكته واليوم الآخر ويرشدهم
الى ما به تقويم ما اعوج من أخلاقهم واصلاح ما فسد من شؤونهم الا
وقابلوه بالتكذيب وأقاموا في وجهه حرب التأييب والصقوا به كل
ثمة وأسندوا اليه كل وصمة وقابلوه بأشد أنواع الابداء والكبردواعي
العداء ومع ذلك صلوات الله عليهم كانوا لا يقابلون ذلك من خصومهم
الا بالصبر والثبات والدأب على اقامة الحجة عليهم واقتناعهم بالآيات
الباهرات والدلالات القامعات مما يلجئهم الى التصديق بهم في كل
ما جاؤا به من عند الله تعالى فتراض عند ذلك نفوسهم وترناض لهم
جوحها وينزلون عند حكمهم فتتم لهم عند ذلك أسباب السعادة

وتكون لهم الحسنى وزيادة وما ذلك الا بقوة بياتهم وشدة فطانتهم سورة آية
وذكائهم

(وقد ذكر جل شأنه من محاجة ابراهيم عليه السلام ماهو
بين الدلالة فيما أعطيه عليه السلام من الفطانة وشدة الذكاء وقوة
البيان فقال)

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ
الملك إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا
أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ
الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ

ما يؤخذ من هذه الآية الكريمة

يؤخذ من هذه الآية الكريمة بيان ما حصل بين سيدنا ابراهيم
عليه السلام وبين نمروذ بن كنعان ملك بابل من المناظرة والمحاجا
في وجود الله تعالى وذلك ان نمروذ أنكر وجود الله تعالى وانه الآله
هو دون غيره وقد حمله على ذلك الطغيان ما آتاه الله تعالى من طول
أجله وسعة ملكه وذلك ما أفاده الله تعالى بقوله (أن آتاه الله الملك)
فأنكر سيدنا ابراهيم عليه ذلك فطلب منه نمروذ الدليل فقال ابراهيم
ربي الذي يحيي ويميت أي الدليل على وجوده تعالى حدوث هذه الاشياء
المشاهدة بعد عدمها وعدمها بعد وجودها ضرورة انها لم تحدث
بنفسها فلا بد لها من موجد أوجدها وهو الرب الذي أدعوا الى عبادته
وحده لا شريك له فعند ذلك قال نمروذ أنا أحيي وأميت (عنادا منه
ومكابرة) فقال له سيدنا ابراهيم عليه السلام ان كنت كما زعمت من
أنك تحيي وتميت فالذي يحيي ويميت هو الذي يتصرف في الوجود في

سورة آية

خلق ذواته وتسخير كواكبه فهذه الشمس تبدو كل يوم من المشرق فان كنت لها كما تدعى تحيي وتميت فأت بها من المغرب فلما علم عجزه وانقطاع حجته وانه لا يقدر على المسكارة في هذا المقام بهت واخرس ولم يتكلم وقامت الحجة عليه لانه من القوم الظالمين الذين لا يهديهم الله تعالى ولا يلهمهم حجة ولا يرهانا بل حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد

فانظر كيف قصم ابراهيم عليه السلام حجة هذا اللعين وألقمه حجرا في فيه فأخرسه ولم يتكلم وألزمه الحجة وأقنعه بالبرهان الذي لا يحتمل نقضا ولا ردا وذلك بما أوتيته عليه السلام من قوة البيان وشدة المعارضة وكال الذكاء والفطنة وقوة الحجة

وناهيك بما اسيد الوجود سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من الحجج الدامغة والبراهين القاطعة وحسبك ان الله مانح الذكاء وواهب الفطنة هو الذي يلهمه الحجة ويعطيه السلطان وقوة البيان لمدافعة الخصوم بما يكتهم به ويدحض أقوالهم حتى يردوا صاغرين لقوله مقرين بنبله وفضله كما حكي الله تعالى ذلك بقوله (قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق أفمن يضل الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدي فما لكم كيف تحكمون) وقوله لهم أيضا (قل أفأرايتم ما تدعون من دون الله ان أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون)

ومثل ذلك في القرآن الكريم كثير ولو انا توخينا البحث فيما وقع بين الانبياء والمرسلين مع أممهم وكيف ألزموهم الحجة وألجؤهم الى التصديق بهم بقوة بياتهم وشدة فطانتهم وذكايتهم لوجدنا شيئا كثيرا يطول عليك ذكره ويغنيك بعضه عن كله والله ولى التوفيق ومنه الرشد والهدى

سورة آية

الصفة الثالثة العصمة

قد علمت ان وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام ارشاد من أرسلوا اليهم الى الاعمال الحسنة والافعال المستحسنة وهدايتهم الى ما فيه صلاح حالهم واستقامة أحوالهم وتقويم ما اعوج من أخلاقهم وتهذيب نفوسهم وترك ما اعتادوا عليه من الافعال المنكرة والاعتقادات الفاسدة والاوهام الباطلة فلا بد اذن أن يكونوا في أعلى درجات الكمال وأسمى مدارج الجمال منزهيين عما لا يليق بمنصب رسالتهم من الوقوع في المعاصي والاتصاف بسفاسف الامور ووجود كل منفر للخلق عن الاقبال اليهم ولو أنهم كانوا عليهم الصلاة والسلام على غير ما وصفنا من النزاهة والعصمة من الوقوع في أى منكر أو قبيح ونحن مأمورون بالافتداء بهم في أقوالهم وأفعالهم لكانوا مضلين لامرشدين فتبطل الحكمة من ارسالهم

(وقد ذكر الله تعالى عصمتهم في غير ما موضع من القرآن الكريم فمن ذلك قوله)

مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ
وَالنَّبُوءَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ
وَأَكُنْ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ
وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ^{٨٠} وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ
وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ

ما تشير اليه هاتان الآيتان الكريمتان

تشير هاتان الآيتان الكريمتان الى تبرئة الرسل عليهم الصلاة والسلام وتنزيههم وعصمتهم من أن يقولوا هذه المقالة الشنعاء وهي

سورة آية

قولهم للناس كونوا عبادا لنا من دون الله أى اعبدونا معه ومن أن يأمروا الناس بعبادة أحد غير الله تعالى لاني مرسل ولا ملك مقرب فانهم ما بعثوا لذلك ولا أمروا به والكنهم بعثوا ليقولوا للناس كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون أى كونوا فقهاء حكماء بسبب ما تعلمونه للناس من الكتاب المشتمل على الاوامر والنواهي التي من عند الله تعالى وبسبب كونكم تدرسون العلم وتذاكرونه وفي هاتين الآيتين الكريمتين أعظم باعث لمن علم على أن يعمل وان من أعظم العمل بالعلم تعليمه والاخلاص لله سبحانه والدراسة مذاكرة العلم فدللت الآيتان على ان العلم والتعليم والدراسة واجب كون الانسان ربانيا فمن اشتغل بها لا لهذا القصد فقد ضاع عمله وخاب سعيه جعلنا الله ممن علم فعمل وعمل فأخلص وأخلص في عمله فقبل منه آمين

(وقال تبارك اسمه في بيان وجوب طاعتهم مما هو بين الدلالة على عصمتهم عليهم الصلاة والسلام مع ارشاد العصاة الى التوسل باتباع شرعه صلى الله عليه وسلم ليغفر لهم ولا يكون ذلك الا حيث كان معصوما من الوقوع في ذنب مع افادة عدم الايمان مع عدم الرضا بحكمه والتسليم لقضائه)

النسا ٦٣

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَاهَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ٦٤ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيَسَامُوا تَسْلِيمًا

ما ترشد اليه هاتان الآيتان الكريمتان

ترشد هاتان الآيتان الكريمتان الى ثلاثة أشياء

(الاول) ما فرضه الله من طاعة الرسل عليهم الصلاة والسلام . سورة آية
على من أرسلوا اليهم في كل ما جاؤا به عن الله تعالى ولا يكون ذلك
الا حيث كانوا معصومين من الوقوع في كل منكر ومن فعل كل قبيح
لانه تعالى لا يأمر بفعل محرم ولا مكروه وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله
(وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله)

(الثاني) ارشاد العصاة والمذنبين اذا وقع منهم الخطأ والعصيان
أن يأتوا الرسول صلى الله عليه وسلم فيستغفروا الله عنده ويسألوه أن
يستغفر لهم الله فان فعلوا ذلك تاب الله عليهم ورحمهم وغفر لهم وهذا
ما أفاده الله تعالى بقوله (ولوانهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا
الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما)

(الثالث) عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم من الظلم والجور
فما يحكم به ويقضى فيه ووصف ما لم يزل عند حكمه ولم يرض بقضائه
بعدم الايمان الذي هو أفضل ما أوتي به العبد من الخيرات حتى يقع
منه ذلك التحكيم له صلى الله عليه وسلم ثم لا يجد ضيقا في صدره بما
قضى عليه ويسلم لحكمه وشرعه تسليما لا يخالطه رد ولا شك ولا
تشوبه مخالفة وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله (فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت
ويسلموا تسليما)

وهذا منه جل شأنه بين في أن نبيه صلى الله عليه وسلم مبرأ من
الظلم والجور ومعصوم من الوقوع فيهما وحينئذ فعدم تحكيمهم له عليه
الصلاة والسلام محض عناد وجحود يستحقون عليه وصفهم بانكر
شيء وأفظمه وهو عدم الايمان والله أعلم

وبالجملة فمن نظر فيما نزل من القرآن الكريم في تنزيه رساله
الكرام عليهم الصلاة والسلام عن النقائص التي كان قومهم ينسبونها
اليهم وما وصفهم به في غير ما وضع منه من الصفات الكاملة
والاخلاق الفاضلة مثل قوله جل شأنه في سيد الوجود صلى الله عليه

ورة آية وسلم (وما هو على الغيب بضنين) وقوله فيه (وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون) وقوله تبارك اسمه في سيدنا ابراهيم عليه السلام (ان ابراهيم لحليم أواه منيب) وقوله في اسماعيل عليه السلام (انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا) وقوله في ادريس عليه السلام (انه كان صديقا نبيا) وقوله في اسماعيل واليسع وذى الكفل (واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار) وغير ذلك مما ذكره تبارك اسمه في مدح رسله الكرام عليهم الصلاة والسلام علم ان هؤلاء الرسل عليهم الصلاة والسلام كلمة الخلق منزهون عن كل شئ يحدث خدشا أو يكون نقصا في مراتبهم العلية مبرؤن من الوقوع في المعاصي صغيرة أو كبيرة

الجانز في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام

اعلم ان هؤلاء الرسل عليهم الصلاة والسلام هم بشر مثلنا تعزيرهم أحوال البشرية مثلنا من اللذة والألم والصحة والسقم والحياة والموت والراحة والتعب والزواج والتوالد والاكل والشرب وغير ذلك مما يعترى سائر البشر الا انه لا بد من اعتقاد أنهم في كل ما يتصفون به ويشتركون فيه مع سائر البشر في أعلى درجات الكمال فلا يتلذذون الا يشكروا الله تعالى على نعمه فيما يتلذذون به وهكذا

وثبت هذه الاحوال لهم عليهم الصلاة والسلام لانهم بشر يحبون كما يحبها البشر قال الله تعالى حكاية عن شهدوا ذلك فيهم منكرين حصوله منهم (ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق) فرد الله تعالى عليهم بقوله (وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق) أى كل الرسل قبلك كانوا كذلك يأكلون ويمشون في الاسواق فكيف ينكرون ذلك عليك وقال جل شأنه في بيان أنهم كانوا يتزوجون ويتوالدون (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية) وقال تبارك اسمه في بيان أنهم كانوا يمرضون (وأيوب اذ نادى ربه أنى مسني الضر وأنت

أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضرر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكري للعابدين) وقال جل ثناؤه في بيان أنهم كانوا يموتون (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا)

هذا ولتختم الكلام على العقائد برسالة سيد الوجود سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كما ختم الله به عقد هؤلاء النبيين صلى الله عليه وعليهم اجمعين مع ذكر بعض ما أمر به وبعض ما نهى عنه وما ألزم به قومه بالبرهان الذي لا يمتثل نقضا ولا ردا حتى أقر الكل بالعجز عن مباراته والتقصير عن مجاراته فانقادوا لطاعته والتجؤوا الى متابعته بعد العداء الشديد وايداء كل كفار عنيد والله ولى التوفيق ومنه الرشد والساداد

رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى لابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان

ولد صلى الله عليه وسلم بمكة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الاول عام الفيل في عهد كسرى انوشروان في ٢٠ ابريل سنة ٥٧١ من ميلاد المسيح عليه السلام فنشأ يتيما فقيرا فأواه الله واخناه بمصداق (ألم يجدك يتيما فأوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى) وتولى الله تربيته وتأديبه فنشأ على الاخلاق الفاضلة والصفات الكاملة من العفة والروعة والكرم والسخاء والشجاعة وحسن الخلق وصدق الحديث وحفظ الامانة والبعد عن الفحش والاخلاق التي تدنس الرجال الى غير ذلك من سائر الكمالات حتى صبح ان يخاطبه الله تعالى بقوله (وانك لملي خلق عظيم)

سورة آية

ولما بلغ صلى الله عليه وسلم أربعين سنة ارسله الله تعالى للناس كافة بشيرا ونذيرا وقال له ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة فقام صلى الله عليه وسلم يصدع بأمر ربه ويدعوهم الى توحيد الله تعالى وتفرده بالعبادة وحده لا شريك له وبأمرهم بما فيه خيرهم وصلاحهم والفوز بالسعادة الدنيوية والاخرية فمن ذلك اتحاد الكلمة وعدم التفريق ونبذ التباغض والتحاسد والتنازع وذلك في قوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) وقوله (ولا تنازعوا فتعشلوا) وتذهب ريحكم) وبر الوالدين ومعاملتهم بالالطف والاحسان اليهما وذلك في قوله تعالى (وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) وصلة الرحم بالاحسان اليها ان كانت فقيرة وبالتودد اليها بالزيارة ونحوها ان كانت غنية وذلك في قوله تعالى (واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام) والتعاون على الخير وذلك في قوله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) واداء الامانة وذلك في قوله تعالى (ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها) وانجاز الوعد والوفاء بالعهد وذلك في قوله تعالى (واوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا) والمصارعة الى فعل الخيرات والمبادرة الى انتهاز الفرصة قبل فواتها وذلك في قوله تعالى (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين) الى غير ذلك من كل خصلة حميدة وصفة جميلة وينهاهم عن الكفر واتخاذ الشريك لله تعالى وذلك في قوله تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا) وعن الفسق والعصيان وذلك في قوله تعالى (وذروا ظاهر الاثم وباطنه ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يفترون) وعن قتل النفس بغير حق وذلك في قوله تعالى (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق) وعن الزنا وذلك في قوله تعالى (ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا) وعن

الكبر وذلك في قوله تعالى (ولا تمش في الارض مرحا انك لن تحرق سورة آية الارض ولن تبلغ الجبال طولا) وعن شرب الخمر ولعب القمار وذلك في قوله تعالى (انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) وعن التجسس والغيبة وذلك في قوله تعالى (ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا يجب أحذكم ان يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه) وعن الخيانة وذلك في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون) الى غير ذلك مما يضر بالهيئة الاجتماعية أو النفس أو المال أو العرض أو العقل

فلما دعاهم صلى الله عليه وسلم الى مادعاهم اليه وامرهم بما أمرهم به ونهاهم عما نهاهم عنه نفروا من قبول دعواه وعادوه أشد المعاداة فقام صلى الله عليه وسلم يسفد احلامهم ويقبح اعمالهم ويدحض اقوالهم كل ذلك ببراهين فاطمة وادلة ساطعة وآيات بينات ومعجزات باهرات

معجزاته صلى الله عليه وسلم

هي تلك العلامات التي نصيها صلى الله عليه وسلم في وجوه معانديه ومكذبيه ليقرؤا له بالرسالة وان ماجاءهم به من عند الله حق لا مريبة فيه ومن اعظم تلك العلامات التي استند صلى الله عليه وسلم في اثبات دعواه الرسالة عليها (القرآن) وذلك ان اعظم شئ امتاز به العرب على من سواهم الفصاحة والبلاغة فجاءهم صلى الله عليه وسلم بالقرآن وهو في اعلى طبقات الفصاحة والبلاغة ليكون من جنس ما هم عليه وتحداهم باقصر سورة منه وادعى عجزهم عن معارضته ووصفهم بالضعف والقصور عن بلوغ تلك المنقبة ولو كان بعضهم ابعض ظهيرا منوها بذلك في كل محفل مشهرا له في كل جحفل فاخذوا يتأملون في ذلك القرآن ويسبرونه بمسبار العقل ويتدبرونه تدبر الناقد البصير فظهر لهم بعد التأمل الصادق ان هذا القرآن لا يمكن لاحد من

آية سورة البشر ان يأتي بمثله مهما تأتى فيه واضعه واتسع اطلاعه على الماضى والحاضر والمستقبل واحوال الامم فى جميع شؤونها واحاط بجميع الفنون والآداب والاخلاق والسياسات وتحرى فيه عدم المضاربة والتناقض وحسن الاسلوب فلما علموا ذلك وتحققوه جزموا بان هذا القرآن ليس من كلام البشر وانه من عند الله ارسل به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ليكون .. مجزة له تدل على انه صادق فى كل ما بلغه عن الله تعالى فصدقوه عند ذلك وآمنوا بجميع ما جاء به وبعضهم مع اعترافهم بمجزهم عن معارضة القرآن قالوا له صلى الله عليه وسلم انت تعرف من اخبار الامم ما لا نعرف فلذلك يمكنك ما لا يمكننا فهو مفترى من عندك وعجزنا عن معارضته انما جاء من كثرة معرفتك وسعة اطلاعك وعلمك فقال لهم صلى الله عليه وسلم فافتروا مثله ان كنتم صادقين كما حكي الله تعالى عنهم ذلك بقوله (ام يقولون افتراه قل فأتوا بمشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين) فلم يرم ذلك منهم احد مع التقريع بالنقص والتوقيف على العجز ولازالوا مصرين على جحودهم وعنادهم وراموه بالاذى فاضطر صلى الله عليه وسلم الى مكافحتهم بالحرب والزامهم بالحجة بالسيف ولو ان فى قدرتهم معارضة هذا القرآن ولو بأقصر سورة منه كما تحداهم به لما احجموا عن المعارضة وتعرضوا لهذا البلاء العظيم وهم بلا شك اصحاب عقول تمنعهم ان يتركوا السبيل السهل ويركبوا الطريق الصعب فاضطروا بعد ذلك الى تصديقه (وقد يدرك بالعرف ما لا يدرك باللفظ)

والى هنا تم القسم الاول من كتاب (الهداية الى الصراط المستقيم) فى الحكم والاحكام والاعتقادات وبليه القسم الثانى فى المبادىء والله الحمد والمنة



سورة آية

القسم الثاني

في

العبادات

(بسم الله الرحمن الرحيم وبه أستعين)

مقدمة —

في بيان حكم التشريع وما يقصد من الشرائع وما تشتمل عليه

اعلم ان الشريعة الاسلامية بل وسائر الشرائع إنما يقصد منها بيان ما يرشد الخلق الى معرفة الله تعالى - وإلى الاحكام التي توصلهم إلى انتظام احوالهم المعاشية من توطيد الامن فيما بينهم ومنع التعدي من الاضرار وذوى الاطماع على احد من الامة - وإلى التأديب بالآداب الفاضلة والاخلاق الكاملة من الامانة والصدق والعفة والعدل والوفاء بالعهد وغيرها - وإلى كيفية عبادته المحبوبة على تعظيمه واداء بعض الشكر على نعمه التي لا تحصى وهذه الاشياء الاربعة التي ترشد اليها الشرائع والمقصودة منها هي ما تشتمل عليه كل شريعة

وحيث كان غرضنا الذي نرمي إليه الآن هو بيان أصول هذا القسم الاخير وهو العبادات مع بيان ما انبث فيها من الاسرار والحكم والفوائد والمنافع من السبيل التي نسلكها وهي الاستمداد من نور القرآن الكريم فنطلب من الله جل وعلا المعونة في اصابة هذا الغرض فانه نعم الكفيل لمن التجأ إليه واعتمد به وجعل المعول عليه وهذا أو ان الشروع

العبادات

سورة آية

العبادة هي أقصى غايات التذلل والخضوع ولكن لا بد أن يكون ذلك بانبعاث مخصوص وتأثر مخصوص اذ لو رأيت رجلاً يخضع لعظيم من قومه ويتذلل له وقات له انك تعبد له لأنكر ذلك عليك كل الانكار وتبرأ منه جهد المستطيع وما ذلك الا لعدم وجود الانبعاث والتأثر الخصوصيين عنده وهذا الانبعاث وذلك التأثر يختلفان باختلاف الاشخاص وقوة ايمانهم وضعفه وشدة مراقبتهم لجانب المعبود وعدمها ويتبعهما في ذلك التذلل والخضوع فكما كمل ايمان العابد واشتدت مراقبته لجانب المعبود كثر التذلل وخضعت النفس وخشعت الجوارح اثناء تلبسها بالعبادة وقيامها بين يدي المعبود تناجيه وتظهر له مقتضيات عبوديتها وهذه حالة الكمل من عباد الله تعالى الذين أشار لهم الله تعالى بقوله (واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى)

سر تكليف الانسان بالعبادة دون غيره من الملائكة والسموات والارض والحيوانات والجمادات)

اعلم ان الله سبحانه وتعالى قد خلق الانسان متهيئاً بطبيعته ومستعداً بفطرته لقبول تلك العبادات بما منحه من العقل والنطق وميزه بهما عن سائر الحيوانات والجمادات لذلك كلف بهذه العبادات وحده دونها كما يشير الى ذلك قوله تعالى (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا) وقد قالوا ان المراد بالامانة في الآية الكريمة المعروضة على السموات والارض والجبال تقاد عهدها بتكليف بان تتعرض لخطر الثواب والعقاب بالطاعة والمعصية والمراد بالعرض عليهن كمال تهيئتها واستعدادها لتلقي هذه التكليف والمراد بابائهن الالباء الطبيعي الذي هو عدم النياقة والاستعداد ويحمل الانسان

قابليته واستمداده لها وعليه فقوله تعالى انه كان ظلوما جهولا خرج سورة آية
مخرج التعليل فان الظلوم من لا يكون عادلا ومن شأنه ان يعدل
والجهول من لا يكون عالما ومن شأنه أن يعلم وهذه حالة الانسان
أما غيره فهو إما عادل عالم لا يتطرق اليه الظلم والجهل بحال كالملائكة
وإما ليس بمعدل ولا عالم ولا من شأنه أن يكون كذلك وذلك
كالبهائم والجمادات فليس لها استعداد لتلقى هذه التكليف بطريق
الفطرة وإنما يليق بالتكليف ويستعمل له من كماله كمال بالقوة
لا بالفعل وذلك انما هو متوفر في الانسان دون غيره من السموات
والارض والحيوانات والجمادات لذلك وقع التكليف له دون
سواه والله أعلم

ثم اعلم ان للعبادة وسائل بها تكون مرجوة القبول فإليك بيانها
الوسائل التي بها تكون العبادة مرجوة القبول

اعلم ان للعبادة وسائل هي لبنانها قواعد وعلى القيام بها شواهد
بها يبلغ المأمول وتكون مرجوة القبول

منها الاخلاص فيها

وهو أن يقصد العابد بعبادته ذات المعبود من غير رجاء لمثوبة
أو خوف من عقوبة فان قصد بها واحدا منهما فهو غير كامل الاخلاص
لانه لنفسه سعى ولذا يقول صلى الله عليه وسلم (لا يكون أحدكم
كالعبد السوء ان خاف عمل ولا كالأجير السوء ان لم يعط أجراً
لم يعمل)

ومنها ترك الرياء

فان في الرياء اشراك غيره تعالى له في العبادة وقد قال جل شأنه
(ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) أى لا يرأى في عمله وقال صلى الله عليه
وسلم (ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قيل وما الشرك
الأصغر يا رسول الله قال الرياء)

ورة آية

ومنها كمال المراقبة لجانب الله تعالى

وهي أن يعبد الله كأنه يراه متيقنا أنه معه في كل عمل من أعماله وفي سائر حركاته وسكناته كما قال جل شأنه (وهو معكم أينما كنتم) فان راقب مولاه في العبادة على هذا النحو خشعت جميع جوارحه وخلا قلبه من كل شواغل الدنيا وتفرغ لئلا يفتن به فامتلاً من جلاله وأشرق فيه نور جماله وهذا بعينه نهاية الايمان وكمال

ومنها المبادرة بها

وهو أن يسرع بفعلها عند حلول ادائها فان سوف رجاء أن يستدرك ما فاتته في وقت آخر فهو ظاهر الجهل ضعيف العقل لانه لا يدري أى يوم ينتهي فيه أجله حتى يستدرك قبله أملة فمن أتى بالعبادة على وجوهها المتقدمة واستقصى وسائلها السابقة كان ممن كمل ايمانه ورسخ يقينه وكانت عبادته الى القبول أقرب منها الى عدمه فان الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً

أنواع العبادات

أنواع العبادات أربعة صلاة وصيام وزكاة وحج واليك بيانها مع ما يتعلق بها من الاحكام وما تشتمل عليه من الاسرار والحكم والفوائد والمنافع والله ولى التوفيق

النوع الأول

الصلاة

هي عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين وقد عرفها الفقهاء بأنها أقوال وأفعال مخصوصة مفتتحة بتكبير الله تعالى مختتمة بالتسليم وهو ولا شك تعريف جامع لأعمالها الظاهرية من قراءة وركوع وسجود وقيام وقعود ولكن هل هذه الالفاظ اللسانية

والحركات الجسمانية هي المقصودة من الصلاة والغرض الذي يرمى اليه الشارع من مشروعاتها (كلا) فان من يتأمل فيما ورد من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية في عظم قدرها وجلالة مكانتها من الدين وما يترتب عليها من الثمار اليانعة والفوائد النافعة كنهها عن الفحشاء والمنكر الذي فيه الله تعالى بقوله (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) والنبي صلى الله عليه وسلم بقوله (من لم تنه صلواته عن الفحشاء والمنكر لم يزد من الله الا بعدا) يظهر له جليا ان وراء تلك الاقوال اللسانية والحركات الجسمانية سرا مكنونا وكثرا مدفونا ضرورة ان مجرد هذه الاقوال والحركات لا يترتب عليه شئ من الثمرات ولم تكن أم الاعمال المقربة الى الله تعالى دون غيرها من سائر العبادات كما ورد بذلك الاحاديث النبوية والاخبار الا لذلك المعنى

سر الصلاة وما اشتملت عليه من الفوائد والمنافع

ان من منح الثبات وقوة العزيمة وحب اليه فضيلة العمل والاجتهاد والمثابرة على جميع الاعمال ثم طوح ببصره الى ما يرمى اليه غرض الشارع الحكيم من جعل الصلوات خمسا في اليوم والليلة في اوقات مخصوصة وما عده من العقاب لمن تكاسل عن فعلها في تلك الاوقات والزام المكلف بها على أى حال من الحالات مهما توالى الضرورات وتمددت الاعذار تعلم من ذلك درسا في الثبات وقوة العزيمة وحب الداب على العمل وبغض المعجز والكسل به يقاوم اعظم الصعوبات في سبيل ترقيه الى أوج الكمال وبذلك به جموح الاعمال

وناهيك بما يقوم به الصلي من مناجاة ربه والاقرار بربوبيته والاعتراف بوحدانيته وتذكركه عظمتة تعالى ليأمن الغفلة عنه في ليله ونهاره بما يستولى على قلبه من شواغل الدنيا فتلازمه المراقبة بان عليه رقيبا مهيمنا قريبا فيحجم بذلك عن العصيان ويهجر امانى الشيطان

وحدث مما يترتب على الاجتماع فيها من الثمار اليانعة والفوائد

نورة آية النافعة وذلك ان الله جلت قدرته وعلت كلمته اراد ان يجمع المسلمين من سائر اقطار العالم في يوم واحد وساعة واحدة يؤم الكل غرضاً واحداً وهو توجه قلوبهم اليه تعالى بمناجاتهم له وخضوعهم لذاته العلية ليرشدهم كيف يجتمعون ويتحدون ويتعاونون ويتآلفون ويطلع بعضهم على شؤون البعض الآخر المحتاجة للتعاون والتوازر فيقضى له حاجته اذا كان محتاجاً أو يفرج عنه اذا كان مضيقاً عليه أو يهديه الى مافيه صلاح دينه ودنياه فشرع لهم الاجتماع في اوقات هذه الصلوات لذلك والله بسر عبادته عليم

وفي الجماعة ايضاً ارشاد وتعليم الى بث فضيلة العدل وحب الانصاف فانك ترى الغني المترفة على وفرة ماله وقوة سلطانه وكثرة خوله وأعوانه يقف فيها مع الفقير البائس الذي لا يملك قوت يومه مع رثائه هيئته وقلة ذات يده كنفاً لكنف وجنبا لجنب وقدما لقدم لا تأنف نفسه من ذلك ولا تعاف الوقوف بجانبه بل تجد من هو أعظم من ذلك مكانة وأسمى منزلة وأعلى مرتبة كالمملوك فان الشريعة تسوى بينهم وبين السوق فيها فلا غرو اذا تذلت نفوسهم بذلك وصار العدل فيهم ملكة فيعدلون في الرعية ولا يجورون في القضية خصوصاً وان ذلك يتكرر في اليوم والليلة خمس مرات فيكون أدعى الى كسر سورة نفوسهم وركونها الى الذل والخضوع والتواضع ومقاومة ما هو كامن في نفوسهم من الانفة والعظمة والجبروت التي هي وسائل الظلم والجور وحسبك ما أودع في هذه الصلوات وما رشح اليه من الاخلاق الفاضلة والصفات الكاملة — من الادب حيث يجلس جلسة المتأدب ولا يرفع صوته على صوت امامه وينصت الى استماع ما يقرؤه ولا يتقدم عليه ولا يساويه في الوقوف وفي ذلك من الادب ما لا يحصى

ومن التواضع حيث يضع أشرف أعضائه وهو الوجه على الارض ويقف بجوار من هو أحط عنه وأقل منزلة منه ويرضخ لان يكون تابعا في الامامة لمن هو اقل منه رواء وأخس بزة وبهاء ومن الحلم حيث يوطن نفسه على متابعة امامه معاملة ما لا يلائم

نفسه من الاطالة في القراءة والركوع والسجود اذ يعلم انه لامناص سورة آية له من متابعتها ولا يمكنه الخروج من صلاته الا حيث يخرج وفي ذلك من الصبر وهو مقاومة الآلام والاهوال ما لا يخفى

ومن الحياء حيث يحفظ نفسه من كل ما يشينها ويعيبها فلا ترى منه عضواً بارزاً ولا بشرة بادية كما لا تراه يحمل درناً أو يلم شعثاً بل تراه نظيف الثياب حسن السمات جميل الهيئة الى غير ذلك من الاخلاق الفاضلة والصفات السكاملة

وناهيك بما اشتملت عليه من افعال التعظيم ففيها يخضع القلب عند ملاحظة جلال الله تعالى وعظمته ويعبر اللسان عن تلك العظمة وتؤدب الجوارح حسب ذلك الخضوع وأعظم من ذلك وأكبر أن يستشعر ذلته وعزة ربه فينكس رأسه علامة على الخضوع والاختبات وأعظم من هذا وذلك ان يعفر وجهه الذي هو أشرف أعضائه ويجمع حواسه بين يدي ربه الى غير ذلك من الثمار اليانة والفوائد النافعة ولما للصلاة من هذه الفوائد الجمّة والمنافع العامة كانت ممراً جالماً للمؤمن يصعد به الى حظيرة القدس وينال القرب به من ذي العرش وسبباً عظيماً لمحبة الله تعالى ورحمته وشماراً للمسلم يتميز به من الكافر وهو ما يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر) ولها غير ما ذكر من الفوائد والثمرات وفيما تقدم كفاية للمسترشد والله الموفق والسدد

واليك بيان كيفية الصلاة وما ينبني للمصلي ان يلاحظه عند أداء كل ركن أو شرط من أعمالها

كيفية الصلاة

(وما ينبني ان يلاحظه المصلي عند أداء كل شرط من شروطها)

شروط الصلاة

اعلم انه لا يصح لمن يريد الدخول في الصلاة أن يدخلها الا اذا احتوف شرائطها السابقة عليها وهي طهارة ثوبه وبدنه ومكانه الذي

سورة آية يصلى فيه وستر عورته واستقباله القبلة ونيتته الدخول فى الصلاة ثم بعد ذلك يدخل فيها وعليه عند مباشرته هذه الاعمال أن يلاحظ الاعتبارات الآتية

فيلاحظ فى فعل الطهارة ان الغرض منها الدخول فى حضرة مولاه والتمثل بين يديه قائماً فلا يكون مع ذلك الا طاهر البدن والمكان والثوب والقلب بالتوبة والندم على ما فرط وتصميم العزم على ترك ما اقترفه من الذنب فى المستقبل فان الله جل شأنه يستوى عنده الظاهر والباطن فيستوى عنده طهارة البدن والثوب والقلب لان الكل لديه سواء

ويلاحظ فى ستر عورته أنه ليس الغرض منها تغطية مقابح البدن فقط بل المقصود ستر معايبه الباطنية وعورات سرأره الداخلية التى لا يطلع عليها أحد غير الله تعالى فضلاً عما فيه من تعظيم الصلاة وتحقيق أدب المناجاة بين يدي رب العالمين . وينبغى مع ذلك أن لا يكون الساتر لنعورة مما يشغل الانسان ويأخذه عن الصلاة لحسن هيئته أو لاجباب النفس به فان ذلك منافي للخشوع الذى هو لب الصلاة

ويلاحظ فى استقبال القبلة صرف قلبه عن كل ما عدا الله تعالى الى الله تعالى كما صرف ظاهر وجهه عن سائر الجهات الى جهة ربه الله تعالى فان ذلك هو المقصود وانما هذه الظواهر تحريكات للبواطن وضبط للجوارح وتسكين لها بالثبات فى جهة واحدة فقد قال صلى الله عليه وسلم (اذا قام العبد الى صلاته فكان هواء ووجهه وقلبه الى الله عز وجل انصرف كيوم ولدته أمه)

ويلاحظ فى النية ان يمثل أمر الله تعالى بالصلاة ويخلص فيها لوجهه وانه يناجى الله تعالى بعمله ذلك فينظر كيف يناجى وبأى شئ يناجى وعندها يعرق جبينه من الخجل وترتد فرائضه من الهيبة ويصفر وجهه من الخوف

فاذا استوفى هذه الشروط ولاحظ هذه الاعتبارات المتقدمة فما

عليه بعد ذلك الا أن يقوم لاداء هذه الخدمة فيتمثل بين يدي الله قائماً صافاً قدميه مطأطئاً رأسه هادئة جميع أطرافه خاشعة جميع جوارحه ساكنة جميع اجزائه ثم يفتتح الصلاة (هيئة الصلاة وما تشتمل عليه من الاركان وما ينبغى أن يلاحظه المصلي عند اداء كل ركن من أركانها)

أول عمل يدخل به المصلي في الصلاة أن يرفع يديه خذاً أذنيه قائلاً الله أكبر وفيه الإشارة للمصلي ان يستحضر ان مولاه الذي هو عازم على التمثل بين يديه أكبر من كل شيء فلا يشغل قلبه بشيء سواه ثم يضع يده اليمنى على اليسرى تحت سترته بهيئة أدب وذلك لما فيه من تحقيق الخضوع والتذنب للنفس على مثل الحالة التي تمرى السوق عند مناجاة الملوك من الهيبة والدهشة والسكون والادب والخوف ثم يستفتح بقوله سبحانه اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك والغرض التمهيد لحضور القلب وتذنبه الخاطر الى المناجاة فهو بمنزلة استفتاح خطاب الملوك بذكر الالقاب التي تذكر قبل مخاطبتهم مشتملة على التعظيم والتبجيل والله المثل الاعلى ثم يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم لانه عدوه وحريص على تفريق قلبه بوساوسه حسداله على مناجاته مع الله عز وجل وسجوده له مع انه طرد من رحمة الله بسبب سجدة واحدة تركها ولم يوفق لها وكل ما شغل عن فهم معاني القرآن فهو وسواس يجب أن ينبذه المصلي ويعلم أنه من مكاييد الشيطان الذي هو الد أعدائه ثم يقول بسم الله الرحمن الرحيم سرّاً لما شرع الله لنا من تقديم التبرك باسم الله على القراءة ثم يقرأ فاتحة الكتاب وكأن الإشارة في قراءتها ما يأتي وهو انه يلاحظ ان كل النعم من الله عز وجل فيأخذ في الثناء عليه لذاته العلية المستحقة لجميع المحامد ومن أجل تلك النعم أنه مررب للعالمين الذي هو فرد منهم على موائد كرمه ولشعوره من نفسه بالتقصير في جانب تلك النعمة فما عليه الا أن يلتنجى الى رحمته الواسعة لعله بناله شيء منها ولما كان التجاؤء الصرغ الى الرحمة

سورة آية

ربما يكون داعية البطر والغرور ناسب أن يؤتى له بصفة الجلال والقهر وهو أنه مالك يوم الدين والجزاء والحساب وجدير بمن كان مريباً للمالين وواسع الرحمة ومتصفاً بالجبروت أن يتوجه إليه بعبادته التي هي بعض الشكر على نعمه ثم ينظر الى حاله فيجد أنه عاجز أشد العجز عن القيام بأداء ذلك الشكر ان لم يعنه الله تعالى فيطلب الاعانة منه تعالى على اداء تلك الخدمة والقيام بتلك العبادة ثم يلاحظ أنه وجد من نفسه في توجهه ذلك بالعبادة وطلب المعونة منه تعالى استعداداً ونهياً لقبول دعائه فيطلب من الله تعالى الهداية الى الصراط المستقيم صراط الذين أفاض الله عليهم نعمة الهداية من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين دون الذين غضب الله عليهم من الكفار والزائعين من جميع الامم الضالة ثم يحتم ذلك الدعاء بطلب الاجابة لما دعا به مولاه اذ هو اكرم مسؤول وأقرب محبب فيقول آمين أي استجيب لنا ياربنا مادعونك به ثم يقرأ شيئاً من القرآن غير الفاتحة لما فيه من المواعظ الوافية والدلائل الكافية التي هي الدواء الشافي من أمراض الاعمال والاعتقادات السيئة وينبغي أن تكون قراءته للفاتحة وهذا الجزء من القرآن غيرها سرا في الظهر والعصر وجهراً في الصبح وأولتي المغرب والعشاء ان كان اماماً أو منفرداً وان كان مأموماً وجب عليه الانصات والاستماع ان كان الامام يجهر وان خافت فله الخيرة والسر في مخافة الظهر والعصر ان النهار مظنة الغوغاء واللفظ في الاسواق والدور فالمخافة فيهما أقرب للخشوع وأدعى الى عدم التشويش وأما غيرهما فوقت هدو الاصوات والجهر أقرب للتذكر والاتعاظ

ثم بعد ذلك يخبر راءكاً ممثلاً صورة عجزه واحتياجه الى مولاه في هدايته لذلك الدواء مكبراً له وشاعداً له بالعظمة ثم يسبح مولاه وينزهه عن كل نقص فائلاً سبحانه ربى العظيم ويكرره ثلاثاً ليؤكد به التكرار ثم يرفع من ركوعه ويستوى قائماً حامداً الله على هدايته الى هذا الدواء فائلاً سمع الله لمن حمده أي اجاب لمن شكره ثم يردف

ذلك بالشكر المقتضى للمزيد فيقول ربنا ذلك الحمد ثم يهوى الى السجود قائلًا الله اكبر ممثلًا كمال صورة المعجز عن أداء الشكر لمولاه على نعمة الهداية وانه لا حيلة له الا وضع أشرف أعضائه اليه وأعزها لديه وهو الوجه على أحسن الاشياء وأحقرها وهو التراب ولما فيه من غاية الذل والخضوع يتذكر عظمة الله تعالى الذي له هذا الذل والانكسار فينطلق لسانه قائلًا سبحان ربى الاعلى مؤكداً ذلك بالتكرار ثم يرفع من سجوده قائلًا الله اكبر كأنه يشير الى أنه تعالى اكبر من أن يستوفى تعظيمه مهما قضى من العمر فى بذل المجهود فى تحصيل ذلك وبعد رفعه من السجود يجد ان هذه الحالة السجودية التى هى نهاية الخضوع والذل لم يقض أربه منها فيسجد ثانيًا لتحصيل ذلك الارب منزها مولاه عن كل مالا يليق به قائلًا سبحان ربى الاعلى مؤكداً ذلك بالتكرار ثم يرفع رأسه من السجدة الثانية وبذلك يسعى ما عمله كله ركعة ثم يقوم لياتى بركعة ثانية ويفعل بها ما فعل فى الاولى ملاحظًا كل الاعتبارات المتقدمة الا انه لا يستفتح ولا يتعوذ ولا يرفع يديه اذ لا يرفعهما الا فى التكبيرة الاولى وبعد تمام الركعة الثانية يتشهد وصيغته (التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله) ثم يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وصيغتها (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد) ثم يدعو الله بما شاء أن يدعو ثم يسلم ان كانت الصلاة ثنائية وان كانت ثلاثية أو رباعية كبر بعد فراغه من التشهد قائمًا لياتى بركعة ثالثة فى الثلاثية وبائنتين فى الرباعية ثم اذا أتم الثالثة فى الثلاثية والرابعة فى الرباعية جلس وتشهد بالكيفية المتقدمة وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وتكون بعد التشهد الاخير من كل صلاة وكذا الدعاء عقيبتها

سورة آية

فمن صلى بهذه الكيفية مراعيًا فيها هذه الاعتبارات الأولية كانت صلاته صلاة الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم على صلاتهم يحافظون الذين يرتنون الفردوس هم فيها خالدون. ومن أداها على غير هذا الوجه من الخضوع والخشوع والتعظيم والحياء كانت صلاته وبالاعمال عليه وعملا بلا فائدة تعود اليه والله ولي التوفيق

فصل في الاذان والاقامة

لما علمت الصحابة رضوان الله عليهم ان الجماعة مطلوبة مؤكدة ولا يتيسر الاجتماع في زمان واحد ومكان واحد بدون اعلام وتنبيه تكلموا فيما يحصل به الاعلام فذكروا النار فردوها رسول الله صلى الله عليه وسلم لمشابهة المجوس وذكروا القرن فردوه لمشابهة اليهود وذكروا الناقوس فردوه لمشابهة النصارى فرجعوا من غير تعيين فأرى عبد الله ابن زيد الاذان والاقامة في منامه فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال رؤيا حق وصيغتهما ان يقول في الاذان (الله أكبر الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله الا الله أشهد أن لا إله الا الله أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن محمدا رسول الله) حتى على الصلاة (الله أكبر الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله الا الله) وفي الاقامة هذه الالفاظ بعينها غير الله زيد بين التكبير الأخير وبين حتى على الفلاح قوله (قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة) وقد زاد صلى الله عليه وسلم على صيغة الاذان التقديم في أذان الصبح (الصلاة خير من النوم مرتين) وذلك لان الوقت وقت نوم وقلة فالتنبيه ان يتهبوا من غفلتهم ويوقظوا من نومهم ويتبين لمن يسمع التؤدة ان يقول مثل قوله الا عند قوله حتى على الصلاة وحتى على الفلاح فانه يقول السامع لاحول ولا قوة الا بالله العظيم

(وقد بين جل شأنه ان الصلاة اذا أتى بها بالكيفية المتقدمة مستوفية الشرائط والاركان كان من بعض فوائدھا انها تغير الطباع الثابتة وتخرج صاحبها فضيلة الثبات وقوة العزيمة فقال)

سورة آية
لما راج ١٩

إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۚ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۚ
وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۚ إِلَّا الْمُصَلِّينَ

ما ترشد اليه هذه الآيات الكريمة

ترشد هذه الآيات الكريمة الى امرين

(الاول) ان الصلاة اذا اتى بها المصلي على وجهها المطلوب من الخشوع والتعظيم والحياء غيرت ما جبلت عليه نفسه بطريق الفطرة من الهلع وهو شدة الحرص اذ منشؤه الركون الى الدنيا والصلاة بما فيها من الخضوع لمظمة الله عند ما يناجيه ويقف بين يديه يتضرع اليه ويتذلل له ويستحضر خشيته في قلبه ويتذكر عظمته ويخاف عقابه تدفع بصاحبها الى ترك الدنيا وترك العاجل والرغبة في الآجل فينتزع بذلك ما كان كاسنا في قلبه من الركون الى الدنيا فيذبو قلبه عن الحرص ويترك ما كان عليه من الهلع

(الثاني) ان الانسان خالق بفطرته متقلبا في اعماله غير ثابت في احواله ان رزقه الله من الخير بطر وطمع ومنع حقه فيه وان اصابه بالشح جزع وسخط فاذا أتى من هذه حاله بالصلاة كل يوم خمس مرات في اوقاتها المحدودة وعلم انه ملزم بها على أى حالة من الحالات مهما اعتوره من الاعذار والضرورات لاجرم كانت المداومة على ذلك سببا في توطين نفسه على الثبات وقوة الجأش وخضوعها لكل ما يجري عليها من خير أو شر لعلها ان الخير والشر من الله الذي تناجيه في اليوم خمس مرات وتستكين لمظمته وتقر بروبيته وتعتزف بوحدانيته ولو لم يكن لهذه العبادة المحمودة الالهاتان الفضيلتان وهما تغييرها الطباع الثابتة من أخس الاخلاق وادناها وهو شدة الحرص الى أجملها واعلاها وهو ترك الحرص وانها تمنح صاحبها فضيلة الثبات وقوة العزيمة وتوطين النفس على التؤدة في الامور لكفهاها فضلا وشرفا ونفرا وذكرها والله اعلم بسر عبادته وهو ولي التوفيق

سورة آية

٤٥

وقال تبارك اسمه في بيان بعض ما اشتملت عليه الصلاة من
الفوائد والنافع وهو انها تنهى عن الفحشاء والمنكر

وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ

ما تشير اليه هذه الآية الكريمة

تشير هذه الآية الكريمة الى بعض ما يترتب على فعل الصلاة
من الثمار البانعة والفوائد النافعة وهو انها تنهى فاعلها عن ارتكاب
الفحشاء وفعل المنكر وذلك لان الصلاة قد اشتملت على صنوف
العبادات من الذكر والقراءة والركوع والسجود والقيام والقعود الدالة
على نهاية التعظيم وغاية الخضوع لله جل وعلا وهو مع ذلك كله لا بد
ان يكون حاضر القلب خالي الفكر من كل الشواغل الدنيوية
مستحضرا عظمة الله وخشيته بقلبه جازما بأنه محضرة مولاه وواقف
بين يديه يناجيه ويتضرع اليه ويخضع لارادته ويمتثل لمشيئته فتتمثل
بذلك عظمتة تعالى بقلبه فتتردع نفسه عن الشهوات وتعدل عما كانت
تصر عليه من المنكرات وبذلك ينتهى فاعلها عن الاثيان بما يكرهه
منه مولاه من الفحشاء والمنكر قل ذلك أو أكثر والا كان كالتناقض
في افعاله لانه اتى في الصلاة بما يدل على عظمتة تعالى وكبريائه من
الاقوال والافعال مما لا يصح معه ان ينافى صاحب هذه العظمة
والكبرياء بالمصيان أو يجاهره بالنكر لان الاقدام على العصية يدل
على عدم مبالاة العاصي وقلة اكرامه بمن يعصيه واعتقاد عظمتة تعالى
وكبريائه وما يفعل فيها من الخشوع والخضوع والتعظيم يناقض ذلك
والله بسر كلامه عليم فكانها تقول لمن يأتي بها لا تفعل الفحشاء
والمنكر ولا تعص ربا هو اهل لما أنيت به وكيف يليق بك أن تعصيه
وقد أنيت بما يدل على عظمتة مما تكون به ان عصيت وفعلت الفحشاء
والمنكر كالتناقض في أفعالك

(وقال تبارك اسمه في بيان أن الصلاة لا تكون سبب الفلاح
والنجاح الا باصطحاب الخشوع في جميع أقوالها وأفعالها مع المحافظة
عليها والداومة على أدائها في أوقاتها المعينة لها)

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ^٢ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ^٣ سورة
الزكوة
آية
وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ^٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ
فَاعِلُونَ^٥ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ^٦ إِلَّا عَلَى
أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ^٧ فَمَنْ
ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ^٨ وَالَّذِينَ هُمْ
لَأَمَانَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ^٩ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ
يُحَافِظُونَ^{١٠} أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ^{١١} الَّذِينَ يَرِثُونَ
الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

ما تفيد هذه الآيات الكريمة

تفيد هذه الآيات الكريمة اشتراط الخشوع في الصلاة وأن لاصحة لها الا به وذلك قوله تعالى (قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون) حيث علق الفلاح على الخشية والخشوع في الصلاة وذلك لان المقصود من الصلاة أثرها وهو التعظيم والخضوع القلبيان لاهذه الحركات الظاهرية من الركوع والسجود والقيام والقعود وحيث كان التعظيم والخشوع القلبيان لا يظهر أثرها في الخارج على الجوارح الا بهذه الحركات شرعت الصلاة بهذه الحركات المخصوصة التي هي نهاية التعظيم والخشوع لتدل على ما في القلب منهما فخشوعها اذن عنوان خشوع القلب وعلامة الخشوع بالنسبة للقلب حضوره وخلوه من كل شئ غير ما هو فيه ولو من أمور الآخرة وبالنسبة للجوارح سكونها وعدم العبت بها فلا يميل منها طرف ولا يتحرك منها عضو ولا يلهث لا الى ذات اليمين ولا الى ذات الشمال فان ذلك كله يستدعي الغفلة عما هو فيه والله تعالى يقول (وأقم الصلاة لذكري) ولا شك أن الغفلة

بورة آية تضاد الذكر فن غفل في جميع صلاته لا يكون مقبلاً للصلاة لذكره
والأمر للوجوب ويقول النبي صلى الله عليه وسلم (ليس للعبد من
صلاته الا ما عقل منها) ولا ريب في أن الغافل بما استولى على قلبه
من الهواجس والوساوس الشيطانية لا يعقل من صلاته شيئاً فهي لاشك
وبال عليه وعمل بلا فائدة تعود اليه

فقد تبين ان الصلاة مع الغفلة وعدم الخشوع باطلة وقد علمت
سبب ذلك فن لم يخشع في صلاته فقد أتعب نفسه وكلفها من العمل
ما كانت في غنى عن ضياع الوقت فيه بدون أدنى فائدة ترجع عليها
ويا ليت كان عملاً لا فائدة فيه فقط بل هو محاسب على ضياعه باشتغال
باله ومطوعة شهوة نفسه في اهماله

هذا وقد ختم الله هذه الآيات بما يفيد الحث على المحافظة على
الصلاة بتأديتها في أوقاتها بشروطها واتمام ركوعها وسجودها وسائر
أركانها على الوجه الشرعي الرضى اشارة الى عظم شأنها وعلو مكانتها
فكأنه تعالى يقول ان الفلاح في الصلاة متوقف على الامرين معا وهما
الخشوع والمحافظة عليها بتأديتها في أوقاتها

وفي الآيات الشريفة غير اشتراط الخشوع والحث على المحافظة
على الصلاة الحث على ترك الاشتغال بما لا يعنى ولا يفيد من اغوال القول
والفعل أى القبيح منهما والحث على اداء الزكاة التى هى عبادة مالية
بها تنزكى النفس وتنطهر من كل رذيلة ودنية وتحريم الزنا وعدم التمتع
باحد غير ما أحله الله له من زوجته وما ماسكت يمينه من الاماء والحث
على الامانة وحفظ العهد وانجاز الوعد

وبعد أن بين سبحانه في هذه الآيات الكريمة المؤمنين المتصفين
بما فيه الفلاح والنجاح بين جزاءهم في الآخرة حيث قال (أولئك
هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) أى أولئك
المؤمنون المتصفون بالاوصاف المذكورة هم الوارثون للجنة خالدون
فيها لا يموتون ولا يخرجون منها أبداً جعلنا الله منهم بمنه وكرمه
(ولاستجاء الصلاة أنواع البر والخير كانت أنجح الوسائل في

بلوغ الانسان أمنيته وقضاء حوائجه ولذا أمرنا جل شأنه بالاستماعة سورة
بها والالتجاء اليها عند ما تقع في مهم فقال)

وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ

ما تشير اليه هذه الآية الكريمة

تشير هذه الآية الكريمة الى ان الانسان اذا دهمه أمر من الامور
أو ألت به مامة وعزّ التخلص منها فعليه أن يتوسل بالصلاة في دفع
ذلك ويطلب المعونة من الله جل شأنه في ازالة ما تزل به بانحجج الوسائل
اليه وأعظم القربات لديه وهو الصلاة وذلك قوله تعالى (واستعينوا
بالصبر والصلاة) أى اطلبوا المعونة من الله تعالى بهما على دفع ما ألم
بكم من الملمات ولما كانت هذه الصلاة من أعظم القربات ولا تكون
كذلك الا اذا أتى بها مستوفية الشرائط والاركان وقل من يألى بها
كذلك كانت ثقيلة وصعبة الا على من وفقهم الله لطاعته وذاقوا
حلاوتها وتحققوا بما عند الله من الثواب الذي ادخره لهم وهم
الخاشعون الذين بينهم الله جل شأنه بقوله (وانها السكيرة الا على
الخاشعين) أى فانها غير كبيرة وثقيلة عليهم وذلك لانهم عارفون بما
يحصل لهم بسببها متوقعون ما ادّخر من ثوابها فتهون عليهم ولذا
قيل من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل ومن أيقن بالخلف
جاد بالعطية

(وقد علم جل شأنه ما للصلاة من جليل المنفعة وعظيم الفائدة
فأمر بالمحافظة عليها والثابرة على فعلها فقال)

حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ

البقرة ٤٠

قَانِتِينَ

ما تفيد هذه الآية الكريمة

تفيد هذه الآية الكريمة الحث على المحافظة على الصلاة والمداومة

سورة آية
عليها من غير اخلال بركن أو شرط وخصوصا الصلاة الوسطى وهي صلاة العصر وبعد أن حث الله جل شأنه على المحافظة عليها بين ما يجب أن يكون عليه المصلي في حال صلاته من الخشوع وطول الركوع وغض البصر وعدم العبث بشئ من ثيابه أو أعضائه وعدم حديثه نفسه بأمر من أمور الدنيا فقال (وقوموا لله قانتين) أى وقوموا في الصلاة قانتين أى مكملين لها ومتمميهما على أحسن وجه من غير اخلال بشئ مما ينبغى أن يكون فيها من الخضوع والخشوع وطول الركوع وغض النظر وعدم الالتفات الى غيره مما هو خارج عن هيئة الصلاة والله أعلم
جزء تارك الصلاة

اعلم أن الصلاة أفضل العبادات وأعظم أنواع القربات وأن من أقامها فقد أقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين وأنها سبب الفلاح والفوز بالسعادة وأنها جامعة لصنوف البر والخير وأنها أنجح الوسائل الى الله تعالى وأعظم القربات لديه في تفرج الكروب وإزالة البؤس وقضاء الحاجج وأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر وتغير الطباع الثابتة وتمنح صاحبها فضيلة الثبات وقوة العزيمة الى غير ذلك من صنوف البر والخير فلا جرم اذا عوقب تاركها بأشد أنواع العذاب وباء بالخسران والحسرة والندامة والخذلان على ما فرط في جنب هذا الخير الجسيم والفضل العظيم العظيم
(ولذا يقول الله تعالى في بيان جزاء تارك الصلاة وما يستحقه من النكال وما يحيق به من الوبال)

المدثر ٣٨
كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ ٣٩ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِيْنِ ٤٠
فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُوْنَ ٤١ عَنِ الْمُجْرِمِيْنَ ٤٢ مَا سَلَكَكُمْ
فِي سَقَرٍ ٤٣ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّيْنَ

ما تفيده هذه الآيات الكريمة

تفيد هذه الآيات الكريمة تفخيم أمر الصلاة وتمظيم شأنها بما

قررت من النكال الشديد والعذاب الاليم لمن ترك الصلاة ولم يحافظ
عليها حاكية أحوالهم في الدار الآخرة وما يقولونه عند ما يستلون
عن سبب دخولهم النار وتعذيبهم فيها العذاب الاكبر من أن سبب
ذلك أنهم لم يكونوا من المصلين الذين يؤدون الصلاة في أوقاتها وذلك
قوله تعالى (كل نفس بما كسبت رهينة الا أصحاب اليمين في جنات
يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين)
أى كل نفس بما كسبته من الاعمال مرهونة عند الله تعالى مؤاخذه
عليه بما تستحقه من العذاب الاليم الا أصحاب اليمين وهم المؤمنون
الخالصون فان نفوسهم غير مرهونة لانهم فكوها بما أحسنوا من
الاعمال كما يفك الرهن رهنه بأداء الدين وهم لذلك في جنات يتمتعون
فيها ويتلذذون بجميع أنواع الملاذ ويسألون المجرمين عن أحوالهم وهم
في الغرفات وأوائك في الدركات قائلين لهم أى شئ أدخلكم في سقر
قالوا جوابا لهم عن سؤالهم لم نك من المصلين أى سبب دخولنا النار
وما نقاسيه فيه من العذاب الاليم هو تركنا الصلاة
(وقال تبارك اسمه في بيان جزاء من يسهو ويففل عن الصلاة
حتى يخرجها عن وقها المعين لها)

فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ الماعون ٤

ما تفيد هذه الآية الكريمة

تفيد هذه الآية الكريمة بيان ما أعده الله من العقاب الاليم
والعذاب الشديد لمن سها عن صلاته وغفل عنها وذلك اما عن فعلها
بالسكاية بان تركها ولم يأت بها أبدا وأما عن فعلها في الوقت المعين لها
شرعا فيخرجها عنه بالسكاية واما عن الخشوع فيها والتدبر لمعانها
فن اتصف بشئ من ذلك كان له نصيب من ذلك الويل والعذاب ومن
اتصف بجميع ذلك تم له نصيب منه وكل له النفاق العملى كما ثبت في
الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (تلك صلاة المنافق

آية سورة تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق يجلس يرقب الشمس حتى اذا
اصفرّت وكانت بين قرني شيطان قام فنقر أربعاً لا يذكر الله فيها
الا قليلاً)

وقال جل ذكره في بيان حال المنافقين بأنهم هم الذين اذا قاموا
الى الصلاة قاموا كسالى)

١٤١ النساء إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا
إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاوْنَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ
إِلَّا قَلِيلًا

ما تشير اليه هذه الآية الكريمة

تشير هذه الآية الكريمة الى بيان المنافقين وأحوالهم المستحقين
بها للعقوبة المذكورة في قوله تعالى (ان المنافقين في الدرك الاسفل
من النار) بأنهم هم الذين يخادعون أى يفعلون ما يفعل المخادع فاعمالهم
في صورها أعمال المؤمنين ولكن بواطنهم خاوية من حقيقة الايمان
والذين اذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى أى متشاغلين متباطئين
لا نشاط عندهم في فعلها ولا رغبة لهم في اقامتها كما ترى من يفعل
شيئاً على كره منه لا عن طيب نفس ورغبة والذين يراؤن الناس أى
يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة ولا يذكرون الله الا قليلاً أى
لا يصلون الا قليلاً لانهم لا يصلون غائبين عن أعين الناس بل لا يفعلونها
الا بحضرة من يراؤنهم وهو أقل أحوالهم لانهم متى وجدوا سبيلاً
الى عدم تكلف ما ليس في قلوبهم لم يفعلوه وان شخصاً لا يعمل من
الخير الا ريثما يراه الناس ليتنوا عليه خيراً لجدير بالسخافة تحقيق
باللامه فما أضعف عقله وأقل معرفته وأبعده عن تحقيق النظر
وتصحيح الفكر

فهذه هي حالة المنافقين التي بينها الله تعالى

اعلم ان الصلاة أعظم العبادات شأنًا وأوضحها برهانًا وأشهرها في الناس وأنفعها في النفس ولذا اعتنى الشارع ببيان فضلها وتعيين أوقاتها وغير ذلك من شؤونها وأحوالها اعتناء عظيمًا لم يفعل في سائر الطاعات فمن ذلك أن عين لصلاة الصبح وقتنا من طلوع الفجر الى طلوع الشمس وللظهر وقتنا من تحول الشمس عن وسط السماء الى الجهة الغربية حتى يصير ظل كل شيء مثله وللعصر وقتنا من خروج وقت الظهر الى غروب الشمس وللمغرب وقتنا من غروب الشمس الى مغيب الشفق وهو الحمرة التي تكون بعد غروب الشمس وللعشاء وقتنا من مغيب الشفق الى طلوع الفجر

وذلك والله أعلم لان فائدة الصلاة وهي مراقبة جانب الحق جل جلاله وتمثل عظمته تعالى في قلب العبد لا تحصل الا بمداومة عليها وملازمة لها واكثر منها ولما كان الدوام المستمر الحقيقي غير ممكن لانه يترتب عليه ترك جميع المصالح الضرورية والانسلاخ عن أحكام الطبيعة بالسكينة أوجبت الحكمة الالهية أن يأمروا بالمحافظة عليها والتعهد لها بعد كل برهة من الزمن ليكون في رقب الصلاة التالية وانتظارها بعد الصلاة التي قبلها محو للغفلة التي ربما دخلت في جذور القلوب فحالت يديها وبين مراقبتها للحق فتحيط الخطيئة بها وتكتنفها الظلمات والذنوب فتحجب عن كل مطلوب وتمنع من كل مرغوب فوجب لذلك تعيين الاوقات لهذه الصلوات

واعمل تخصيص هذه الاوقات الخمسة بالتعيين لانها أوقات فراغ الانسان من عمله وكان أحق ما تؤدي فيه الصلوات الاوقات التي تكون فيها النفس خالية عن الاشغال المعاشية المنسية ذكر الله تعالى لمصادف قلبا فارغا فتتمكن منه وتكون أشد تأثيرا فيه وهو قوله تعالى (وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا) لان القلب فيه قد خلا من كل الشواغل الدنيوية وصفا وصار مستمدا للفيوضات الرحمانية والتجليات والنفحات الربانية فترى صلاة الصبح في وقت لم يبتدىء

سورة آية

فيه من العمل بشئٍ وصلاة الظهر في وقت القيلولة والاستراحة من
عناء العمل ثم اذا ابتدأ في تكميل عمله لا بد أن تعتريه بعد زمن قريب
من الكلّ والتعب ما يلجئه الى الراحة فيصلي صلاة العصر حين ذلك
حتى اذا رجع من عمله الى منزله اطمانت نفسه فيه وجب عليه ان
يؤدي صلاة المغرب وبعد ذلك كله واستراحته الراحة التامة وليكون
آخر عمل له في ليله ونهاره طاعة الله تعالى حتى يكون ذلك كفارة لما
مضى وصقلا للصدأ وجب عليه أن يؤدي صلاة العشاء وهو قوله صلى
الله عليه وسلم (من صلى العشاء في جماعة كان كقيام نصف الليل
الاول ومن صلى العشاء والفجر في جماعة كان كقيام ليلة)

وبالجملة ففي تعيين الاوقات سر عميق من وجوه كثيرة وقد تمثل
جبريل عليه السلام وصلى بالنبي صلى الله عليه وسلم وعلمه الاوقات
(وقد قال الله تعالى في بيان هذه الاوقات لتلك الصلوات)

هود ١١٥

وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ
الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلَّذِينَ كَرِهُوا
وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ

ما تشير اليه هاتان الآيتان الكريمتان

تشير هاتان الآيتان الكريمتان الى بيان أوقات الصلوات الخمس
وذلك لان قوله تعالى (وأقم الصلاة طرفي النهار) معناه وأد الصلاة
في أول وقتها على تمامها طرفي النهار أي في الغدوة والعشية فصلاة
الغدوة الصبح وصلاة العشية الظهر والعصر لان ما بعد الزوال الى
الغروب عند العرب عشي وقوله (وزلفا من الليل أي ساعات قريبات
من الليل والصلوات التي تصلى فيها المغرب والعشاء وقد أخذ جل شأنه
بعد أن بين أوقات الصلوات المفروضة وأشار الى أنها خمس في اليوم
والليلة بين ما لهذه الصلوات الخمس من الفضائل والفوائد والمنافع حيث
قال (ان الحسنات يذهبن السيئات) أي ان الصلوات الخمس يذهبن

السيئات ويكفرنها ويذهبن المؤاخفة عليها والمراد بالسيئات الذنوب سورة آية
الصغائر لان الكبائر لا يكفرها الا التوبة أو عفو الله تعالى يدل على
ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (الصلوات الخمس كفارة لما بينهما ما اجتنبت
الكبائر) وبعد أن حث جل شأنه على إقامة الصلوات وبين أوقاتها وما لها
من الفوائد والمنافع كر الى التذكير بالصبر بفضل خصوصية وعظيم
مزية فقال (واصبر) أى على امثال ما أمرت به والانهاء عما نهيت
عنه اذ لا يتم شئ من ذلك الا به فان الله لا يضيع أجر المحسنين أى
يوفيهم أجورهم ولا يضيع منها شيئاً فلا يهمله ولا ينخسه بنقص

شروط الصلاة

اعلم ان للصلاة شروطاً لا بد منها ولا تصح الا بها ولا تنعقد الا
بفعلها وهي أولاً طهارة بدن المصلي وثوبه ومكانه من أعيان نجسة وهذه
تسمى طهارة الخبث وطهارة بدنه من أحوال اعتبارية تسمى احداثاً
يعتبر قيامها فى بدنه عند حدوث أمور مخصوصة وهذه تسمى طهارة
الحدث وهي قسمان طهارة صغرى وتسمى وضواً وطهارة كبرى وتسمى
غسلاً ومحل ذلك كله اذا وجد ماء ليتوضأ به أو يغتسل منه وقدر
على استعماله فان لم يجد ماء أو وجده ولم يقدر على استعماله خلوف
مرض أو اشتداده استعاض عنها بالتيمم وهو من خصائص هذه الامة
الحمدية لقوله عليه الصلاة والسلام (جمعت لى الارض مسجداً وترابها
طهوراً) وستر العورة واستقبال القبلة والنية فن فقد شرطاً من هذه
الشروط المتقدمة بطلت صلاته

(وقد بين الله طهارة الحدث باقسامها الثلاثة وكيفيتها بقوله)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا
وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ
وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا
وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ

مِنَ الْفَاطِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا
صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ
اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ
وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

ما تفيد هذه الآية الكريمة

تفيد هذه الآية الكريمة بيان طهارة الحدث صغرى وكبرى
وبيان بدلها وهو التيمم اذا مست الحاجة اليه بأن فقد الماء أو منع من
استعماله أحد الموانع الآتية في الآية بعد فليبين الطهارة الصغرى وهى
الوضوء قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا
وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين)
أى يا أيها الذين آمنوا اذا أردتم القيام للصلاة وكنتم محدثين فاغسلوا
وجوهكم أى أسيلوا عليها الماء بحيث تنقطر وأيديكم الى المرافق أى
معها وهى جمع مرفق وهو موصل الذراع فى العضد وامسحوا برؤوسكم
أى امسحوا برؤوسكم أى جميعها وهو مذهب مالك وأحمد بن حنبل أو
بعض رؤوسكم وهو مقدر برقع الرأس عند أبى حنيفة وغير مقدر بشئ
عند الشافعى بل ولو مسح شعرة واحدة من رأسه عنده أجزاءه ولكل
من الفريقين أدلة ليس هذا موضع ذكرها ثم قال تعالى (وأرجلكم
الى الكعبين) أى واغسلوا أرجلكم الى الكعبين وهما العظمان البارزان
من الجانبين عند مفصل الساق والقدم فهذه هى أعمال الوضوء التى
أوجب الله على كل مصل محدث أن يأتي بها عند ارادة القيام الى الصلاة
والاحداث التى أوجبت ذلك هى - خروج خارج من السيلين عينا كان
أوريجا . وخروج الدم والقيح والقيء من الفم . والنوم مضجعا أو
مستندا لشيء يسقط بزواله وزوال العقل . والفقهية فى صلاة ذات
ركوع وسجود

وهذا اذا لم يكن يريد الصلاة جنبا أما اذا كان جنبا فالواجب

عليه أن يغتسل وقد أفاد الله ذلك بقوله (وان كنتم جنباً فاطهروا) سورة آية أي وان كنتم عند ارادة القيام للصلاة جنباً فاطهروا أي فاغتسلوا على أتم وجه وذلك بأن تتمضمضوا وتستنشقوا وتتوضؤوا بالكيفية المتقدمة ثم تغسلوا جميع جسدكم وهو الطهارة الكبرى

ومحل الوضوء والغسل بالكيفية المتقدمة اذا لم يكن المصلي مريضاً مرضاً يخشى معه الضرر باستعمال الماء أو كان مسافراً ولم يجد ماءً أو وجده وكان قليلاً يخشى باستعماله الهلاك من العطش أو فقد الماء بسبب من الاسباب مع تحقق ما يوجب استعماله من الحدث الأصغر أو الأكبر فيجب التيمم في هذه الاحوال كلها وكيفية أن يضرب يديه على شيء من أجزاء الأرض ضربتين يمسح باحدهما وجهه وبالأخرى يديه إلى المرفقين وقد بين الله ذلك كله بقوله (وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون) أي وان كنتم مرضى مرضاً يخشون الضرر معه باستعمال الماء أو كنتم مسافرين أو جاء أحد منكم من الغائط أي المكافئ المنخفض وهو كناية عن الحدث لأن العادة أن من يريد يذهب إليه ليؤارى شخصه فيه عن أعين الناس أو لامستم النساء أي واقعتموهن فلم تجدوا مع كل ذلك ماء لتطهروا به للدخول في الصلاة (وهو راجع لما عدا الرضى فتيمموا صعيداً طيباً أي فاستعوضوا عن الماء لعدم وجودكم له أو عدم قدرتكم على استعماله بشيء من أجزاء الأرض فاقصدوه وكيفية هذا العمل المستعاض به عن الوضوء أو الغسل بينها الله تعالى بقوله (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه) أي من هذا الشيء وذلك بأن يضرب يديه على هذا الشيء الطاهر ضربتين يمسح باحدهما وجهه فيستوعبه بالمسح وبالأخرى يديه ويستوعبهما بالمسح كذلك

ولعل حكمة مشروعية ذلك التيمم مع قيام أحد مقتضياته أن سنة الله في شرائعه جرت بأن يسهل على عباده كل ما لا يستطيعونه

سورة آية

وكان أحق أنواع التيسير والتسهيل أن يسقط ما فيه حرج الى بدل لتطمئن نفوسهم ولا تختلف الحواطر عليهم باهال ما التزموه غاية الالتزام مرة واحدة ولا يأنفوا ترك الطهارات والى هذه النعمة أى نعمة التيسير والتسهيل والتخفيف أشار الله تعالى بقوله (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون) أى ما يريد الله بمشروعية التيمم لكم ليجعل عليكم من حرج أى ضيق فلهذا سهل لكم وأباح لكم التيمم عند المرض وعند فقد الماء توسعة عليكم ورحمة بكم ولكن يريد ليطهركم أى بالتراب على معنى انه يرفع مقامكم من الحدث المانع من الصلاة لاعلى معنى انه يزيل النجاسة لان الحدث ليس نجاسة بلا خلاف ولتتم أى بذلك نعمته عليكم بالتخفيف ورفع الحرج والضيق عنكم لعلكم تشكرون هذه النعمة بطاعتكم إياه فيما أمركم به ونهاكم عنه (وقال جل شأنه فى بيان اشتراط طهارة الخبث فى المكان)

البقرة ١٢٥

وَعَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهَّرَا بَيْنِي
لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ

ما تقييد هذه الآية الكريمة

تقييد هذه الآية الكريمة وجوب طهارة المساجد وهي محال السجود فى الصلاة من الاخبات والنجاسات وذلك لما أمر الله به نبيه ابراهيم عليه السلام وابنه اسمعيل عليه السلام من تطهير بيته وهو الكعبة للطائفين وهم الذين يدورون حوله والعاكفين وهم المقيمون بمكة والركع السجود وهم المصلون وخص هذين الركنين لانهما أشرف أركان الصلاة فى الآية أمر بتطهير المساجد للمصلين وفى ذلك من اشتراط طهارة المكان ما لا يخفى

(وقال تبارك اسمه فى بيان اشتراط استقبال القبلة)

سورة آية
البقرة: ١٤٤
قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً
تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ
فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ

ما تفيد هذه الآية الكريمة

تفيد هذه الآية الكريمة بيان القبلة التي حول اليها نبيه محمدا
صلى الله عليه وسلم وهي الكعبة بعد ان كان يتولى قبلة غيرها وهي
بيت المقدس الذي لبث رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقبله ستة
عشر أو سبعة عشر شهرا ثم ألهم أن سيولى الكعبة فكان يدعو الله
أن يعجل بما ألهمه وينظر الى السماء ويقاب وجهه فيها فانزل الله عليه
(قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك
شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) أى فى أى
مكان وجدتم من بر وبحر وفى أى جهة من جهات الارض شرقا وغربا
وشمالا وجنوبا فولوا وجوهكم شطره أى نحو البيت وجهته وهذا
يقضى بإيجاب استقبال الكعبة فى كل صلاة فرضا كانت أو نفلا فى
كل مكان حضرا أو سفرا فصار رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
ذلك يستقبل الكعبة وصارت قبلته فى الصلاة

ومن الشروط المتقدمة للصلاة ستر العورة

وذلك لما فيه من تعظيم الصلاة وتحقيق أدب المناجاة بين يدي
رب العالمين اذ أى شخص عنده أدنى مسكة من العقل يرى من أقبح
القبائح وأفظع المنكرات أن يقف بين يدي مخلوق مثله مكشوف العورة
بأدى البشرة فكيف برب الارباب خالق الارض والسموات الذى
خلقه وصوره وفى أحسن صورة ركب فضلا عما فى كشف العورة من
الاخلال بما تقتضيه الطبيعة البشرية والانسلاخ عن أحكام الانسانية

سورة آية فان ستر العورة هو ذلك الامر الذى امتاز به الانسان عن سائر الحيوانات وهو أحسن حالاته والله بسر شرائعه عليم
وأما النية فلأن الشخص اذا لم يقصد فعله المتلبس به ولم يتوجه به الى شئ مخصوص فأى معنى لهذا العمل وأى فائدة فيه ولذا جعلت النية شرطاً فى الصلاة والله أعلم

صلاة الجمعة والجماعة

اعلم ان لله تعالى على عباده نعم لا تعد ومننا لا يحصيها أحد فمن ذلك انه علم ان أهل البلد الواحد يحتاجون الى بعضهم احتياج بعض أجزاء الجسم الى البعض الآخر منه لان منهم الغنى والفقر والعالم والجاهل والقوى والضعيف والكل محتاج الى الآخر فيجتمعون فى الصلاة لمتحد كلهم وتتوثق عرى المودة والمحبة فيما بينهم ويتعاونوا على ما يجلب لهم الخير ويدفع عنهم الضرر ويطلع الغنى على شؤون الفقير فيصدق عليه ويحسن اليه ويسترشد الجاهل من العالم فى جميع أموره الدينية والدنيوية ويستعين الضعيف بالقوى فى قضاء مهامه فلذلك انصرفت العناية التشريعية الى شرع الجمعة والجماعات والترغيب فيها وتغليظ النهى عن تركها فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (والذى نفسى بيده لقد هممت أن آمر بحطب فيحطب ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ثم آمر رجلاً فيؤم الناس ثم أخالف الى رجال لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم)

ثم لما كان فى شهود الجماعة حرج للضعيف والسقيم وذو الحاجة اقتضت الحكمة أن يرخص لهم فى تركها فمن أنواع الحرج لبس ذات برد ومطر وحاجة يعسر التربص بها كالغشاء اذا حضر فان النفس ربما تشغل به وتتشوف اليه فى الصلاة فيضيع المقصود منها ومنها الخوف والمرض

وأؤكد هذه الجماعات جماعة الجمعة فانها لا تصح الا فى جماعة وذلك ليخطبهم إمامهم فيها ويبين لهم معالم دينهم ويرشدهم الى ما فيه صلاح حالهم واستقامة أحوالهم

وانما كانت الصلاة في هذا اليوم ركعتين ولم تكن أربعاً كبقية سورہ آية الايام لان كل صلاة تجمع الاقصى والاداني فانها شفع واحد لثلاث ثقيل عليهم وفيهم الضعيف والسقيم وذو الحاجة وكانت القراءة فيها جهرًا ليكون امكن لتدبرهم القرآن فيعملوا بما فيه ويتمظوا بمواعظه ويقفوا عند حدوده وما سنه من الاحكام والشرائع (وقد أمر الله المؤمنين بالاجتماع لعبادته في هذا اليوم فقال)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ۙ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ١٠ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

ما ترشد اليه هاتان الآيتان الكريمتان

ترشد هاتان الآيتان الكريمتان الى الحث على الاهتمام بأمر الصلاة اذا نودي اليها في يوم الجمعة وأذن لها وهذا هو المراد بالسعي في قوله تعالى (فاسعوا الى ذكر الله) أى اقصدوا واهتموا في سيركم الى ذكر الله يعنى الصلاة وليس المراد بالسعي المشى السريع لانه منهي عنه كما ترشد الى تحريم البيع والشراء عند ذلك النداء وهو الاذان الثانى الذى كان يفعل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج فجلس على المنبر مبيناً جل شأنه أن تركهما خير من فعلهما فقال (ذلکم خير لکم ان کنتم تعلمون) أى تركکم البيع والشراء واقبالکم الى الصلاة خير لکم ان کنتم من أهل العلم فان ذلك لا ينجي علیکم أنه خير لکم من مصالحکم الدنيویة هذا ولما حبر علیهم جل شأنه فی التصرف بعد النداء وأمرهم

سورة آية

بالاجتماع أذن لهم بعد الفراغ في الانتشار والتفرق في الارض والابتغاء من فضل الله فقال (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله) أى اذا أدبتم الصلاة وفرغتم منها فانتشروا وتفرقوا في الارض للتجارة فيما تحتاجون اليه في أمر معاشكم واطلبوا من فضل الله ورزقه ثم قال جل شأنه (واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) أى واذكروه كثيرا بالشكر على ما هداكم اليه من الخير الاخرى والدينى وبكل ما يقربكم اليه من الازكار كالحمد والتسبيح والتمجيد والتكبير والاستغفار ونحو ذلك ولا تقصروا ذكره على الصلاة

صلاة القصر

اعلم أن الله جلت قدرته لرحمته بعباده ورافته بهم قد خفف المؤنة عليهم في أداء الصلاة بقصر بعضها على عدد مخصوص من الركعات في حالة ما اذا كان الانسان مسافرا لان السفر مظنة بحمل آلام شديدة ومشقات عظيمة تقضى بالتقاعد والتساهل تخفف الله عليه وحط عنه من عدد الركعات فيما يعوزه أن يحط منه لكثرة ركعاته وهو الصلوات الرباعية التى هى الظهر والعصر والعشاء أما الثنائية كالصبح والثلاثية كالغروب فلا قصر فيها كما وردت بذلك السنة (وقد بين الله تعالى حكم هذه الصلاة والزمن الذى تكون فيه بقوله)

النساء ١٠٠

وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا

ما تفيده هذه الآية الكريمة

تفيد هذه الآية الكريمة بيان حكم الصلاة في السفر وهو أنها تقصر مع عدم نفي الحرج والضيق في ذلك أخذاً من قوله تعالى (واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة) أى

واذا سافرتُم في الارض ولا مفهوم للشرط في قوله تعالى (ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا) أى يقتالوكم ويقتلوكم في الصلاة لانه صلى الله عليه وسلم قصر في السفر مع الامن وتواتر عنه ذلك فصار القصر مع الخوف ثابتا بالكتاب والقصر مع الامن ثابتا بالسنة ومفهوم الشرط لاية قوى على معارضة ما تواتر عنه صلى الله عليه وسلم وأدنى مدة السفر التى تقصر فيها الصلاة مسيرة ثلاثة أيام بلياليها بسير الابل ومشى الاقدام بالاقصاد فى البر وجرى السفينة والريح معتدلة فى البحر ويعتبر فى الجبل كون هذه المسافة بالسير الوسط أيضاً

صلاة الخوف

هي الصلاة التى تكون وقت اشتباك القتال مع العدو (وقد بين جل شأنه كيفيتها لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولمن بعده من المؤمنين بقوله)

وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقِمْ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا

الغرض من هذه الآية الكريمة وبيان معناها

الغرض منها تعليم الله نبيه صلى الله عليه وسلم ومن بعده من الائمة

سورة آية

اذ هم نواب عنه قوامون بما كان يقوم به صلاة الخوف فيبين انه اذ كان فيهم والحرب قائمة وجاء وقت الصلاة وأراد أن يصلي بهم قسم الجيش الى قسمين قسم يكون معه فيصلى بهم مع اصطحابهم لما معهم من الاسلحة ليكون ذلك أقطع لرجاء العدو من الغرة بهم وامكان الفرصة فيهم فاذا أتم معهم ركعة انصرفوا ليقفوا أمام العدو بدل الطائفة الاخرى أى القسم الثانى الذى هو أمام العدو ليأتوا فيصلوا مع الامام الركعة الثانية مع كمال تيقظهم وتام احترازهم باخذهم اسلحتهم معهم لان العدو يود لو ينال منهم غرة فيحمل عليهم حملة واحدة تكون فيها البليسة الكبرى عليهم ومحل ذلك اذا لم يشغل عليهم حملها ويصعب عليهم استصحابها بسبب مرض أو مطر فاذا ثقل ذلك عليهم فقد رخص الشارع فى عدم حملها وأخذها وهو قوله تعالى (ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم) وقد أشار الله سبحانه وتعالى الى علة الامر بأخذ الحذر بقوله (ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا) أى الله أعد لهم عذاب المغلوبة لكم ونصرتكم عليهم فاهتموا بأموالكم ولا تهملوا مباشرة الاسباب كي يعذبهم الله بأيديكم وما أخذ من ظاهر الآية الكريمة هو أحد الكيفيات التى وردت السنة المطهرة بها وهناك كيفيات أخرى وصفات متعددة وكلها صحيحة مجزئة من فعل واحدة منها فقد فعل ما أمر به أعرضنا عن ذكرها لبيانها فى الاصل ولا غناء ما هنا عنها

صلاة الجنازة

قد فرضت الشريعة الاسلامية فرض كفاية وهو ما اذا قام به البعض سقط عن الباقي أن يصلى على من مات من المسلمين صلاة مخصوصة ليست بذات ركوع ولا سجود تسمى صلاة الجنازة وصفتها أن يقوم الامام (ان كان) بحيث يكون الميت بينه وبين القبلة ويصف الناس خلفه ويكبر أربع تكبيرات يدعو فيها للميت ثم

يسلم ومن السنة قراءة فاتحة الكتاب لأنها خير الادعية وأجمعها سورة آية
والمنفرد كالامام في ذلك

صلاة العيدين

هي واجبة لقوله تعالى (فصل لربك وانحر) اذ المراد بالصلاة
المأمور بها صلاة العيد ولقوله تعالى (وتكبروا لله على ما هذاكم)
اذ المراد بالتكبير صلاة العيد على أحد التأويلات في ذلك والامر
للعجب

وهي ركعتان يفتتحهما المصلي بتكبيرة الاحرام ثم يكبر بعدها
ثلاثاً يرفع يديه في كل مرة ثم يقرأ فاتحة الكتاب وسورة جهراً ثم
يكبر تكبيرة يركع بها ثم يسجد ثم يقرأ الفاتحة وسورة ثم يكبر ثلاثاً
كذلك ثم يكبر تكبيرة يركع بها ثم يسجد ويتشهد ويسلم

النوع الثاني من أنواع العبادات

الصوم

عرفه الفقهاء بأنه الامساك عن الاكل والشرب وملامسة الرجل
امراته وكل مفطر من الفجر الى الغروب بنية خالصة لله عز وجل
واعلم ان هذا الامساك ليس أمراً مقصوداً لذاته وانما المقصود
أثره وهو كف النفس عن الاسترسال في شهواتها التي زينها الله لها
وأمرها مع ذلك بمجاهدتها بما منحها من سلاح الصبر والتقوى
بمصادق قوله تعالى (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين
والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحارث
ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب) ولا يتحقق ذلك
الاثر الا بكف اللسان عن الهذيان والفحش والغيبة والنميمة والكذب
والمراء والخصومة والزمامه السكوت أو شغله بذكر الله تعالى وتلاوة
القرآن . وكف السمع عن الاصغاء الى كل مكروه لان ما حرم قوله
حرم الاصغاء اليه ولذا يقول الله تعالى (وقد نزل عليكم في الكتاب

بُورَة آية أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهمز بها فلا تقعدوا معهم حتى
حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم) وكف البصر عن النظر
الى كل ما يذم ويكره والى كل ما يشغل القلب عن ذكر الله تعالى ولذا
يقول صلى الله عليه وسلم (النظرة سهم مسوم من سهام ابليس لعنه
الله فمن تركها خوفاً من الله آتاه الله عز وجل ايماناً يحد حلالوته في
قلبه) وكف بقية الجوارح من اليد والرجل وغيرهما عن الاثم
وارتكاب المحرمات

والى أن المقصود من الصوم ما ذكر لا مجرد منع النفس عن
الاكل والشرب والوقوع وغيرها من المفطرات يشير الله تعالى بقوله
(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم
لعلكم تتقون) أى تجعلون بينكم وبين جميع المعاصي والشهوات
والمنكرات بسبب الصوم وقاية ولعل سر ذلك والله أعلم ان الصائم قد
ترك الله تعالى ألد الاشياء اليه وأحبها لديه مع كونه في أشد الاماكن
خفية وبعده عن أعين الرائيين وعلمه بأنه جل شأنه مطلع عليه لا يخفى
عليه شئ من أموره خفى أو ظهر فاذا حدثته نفسه بتعاطي شئ من
فضول الطعام أو الشراب راقب انفسه عليه رقيباً مهيمناً قريباً يعلم
ما توسوس به نفسه ويخفيه صدره ويصير ديب النمل في الليلة الظلماء
ويسمع الهمس وما يتحدث به في البيوت المغلقة أبوابها فعند ذلك
يخشع قلبه وتستكين جوارحه وتتمثل عظمة الله تعالى في قلبه خصوصاً
وان هذه المشتبهات تمر عليه في أغلب آتاته وكما تمر عليه تتجدد
المراقبة بالكيفية المتقدمة فاذا داوم على مراقبة الله جل شأنه بهذه
الكيفية طول شهر رمضان ثلاثين يوماً وهوز من ليس بالقليل تربت
فيه ملكة المراقبة فلا يصدر منه قبيح ولا يقع منه منكر وكان همه
في أن لا يراه الله حيث نهى وبذلك تنكف النفس واللسان والسمع
وبالصبر واليد والرجل وسائر الجوارح التي تتوقع منها الخطيئة عن
المخالفة والمعصية وأى عبادة يكون هذا بعض نتائجها وفوائدها ولا
تكون من أشرف العبادات وأكملها

ولذا يوصف صاحبها بأحسن الاخلاق وأجملها وأكملها — من سورة آية
الامانة حيث تجدد الصائم وهو في خلواته واحتجابه عن أعين الناس
شديد الحرص على حفظ ما أوتى عليه من هذه العبادات السرية التي
ليس فيها عمل يشاهد — ومن المروءة حيث تجدد الصائم وهو في أشد
الامكنة خفية وأبعدها عن الخلق رؤية يحافظ على هذه العبادة السرية
ومن كان كذلك فلا شك انه كامل المروءة على الهمة لان المروءة
ليست شيئاً سوى المحافظة على الاحوال التي تكون بها النفس على أفضل
حالة وأكملها — ومن العفة التي هي أخص صفات الكمال للانسان
وذلك بضبط الصائم نفسه عن رغباتها الشهوانية ولذائذها الدنية —
ومن الشجاعة التي هي عماد الفضائل وذلك بجهاد الصائم نفسه وشهواته
ذلك الجهاد الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم جهاداً أكبر
حيث قال (رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر) يريد جهاد
النفس بكفها عن كل ما تشتهيه ومنعها عما يتبغيه الى غير ذلك من
الاخلاق الجميلة والصفات الحميدة التي تنشأ من المراقبة لجانب الحق
جل وعلا

وناهيك بما يقوم به الصائم من الشفقة والرحمة بالمساكين فانه
عند ما يحسن بألم الجوع يتصور حالة الفقير المحزنة فيرق قلبه اليه
ويعطف بالتصدق عليه فينال بذلك ما عند الله من حسن الجزاء

والصوم غير ما ذكر من الفوائد أعرضنا عنه خوف الاطالة ومن
أراد الزيادة فعليه بالاصل والله الموفق

(ولما اشتمل عليه الصوم من الفوائد والمنافع وما يكسبه
من الاخلاق الفاضلة والصفات الكاملة شرعه الله تعالى وبين
أحكامه بقوله)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا
كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ أَعْلَمُكُمُ تَتَّقُونَ ١٨٣

البقرة ١٨٢

سورة آية
البقرة ١٨٣

أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ
فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ
مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا
خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ١٨٤ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي
أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى
وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ
مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ
الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا
اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَعَلَى كُمُ التَّشْكُرُونَ ١٨٥ وَإِذَا
سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا
دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ١٨٦
أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ
لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ
أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ
وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ
لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ
اتَّبِعُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ

فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ
اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ

سورة البقرة
آية ١٨٦

(معنى هذه الآيات الكريمة وبيان ما اشتملت عليه

من الاحكام)

ان الله سبحانه وتعالى قد فرض علينا الصيام وأودع فيه من الاسرار والفوائد والمنافع ما به يكبح الانسان نفسه عن الاسترسال في شهواتها المفضية به الى الدمار والهلاك بما تجر اليه من المعاصي والمنكرات لانها وسيلة اليها والى ذلك الاشارة بقوله تعالى (لعلكم تتقون) أى تجعلون بينكم وبين المعاصي والقبايح وقاية وحصنا بالصيام الذى كتبته وفرضته عليكم فان الصيام يقلل الشهوة ويكسر سورتها لما فيه من اضعاف القوة الدموية واذلال النفس وهما منشأ الشهوة والمحركان لها كما قال عليه الصلاة والسلام (يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء) ولأنه قد تقدم ان الصائم بمراقبته جانب الله سبحانه وتعالى حتى في خلواته وجميع أعماله بل في كل حركاته وسكناته تتمثل عظمة الله في قلبه ويعظم خوفه منه فيحجم عن القبيح ويبتعد عن المنكر وترتدع نفسه عن الشهوات وتقلع عما كانت تصر عليه من المنكرات ويرقب الله أمراً فيمتثل له أو نهياً فيجتنبه

وقد بين جل شأنه ان الصوم لمكانته في الدين وعلو درجته بما اشتمل عليه من تزكية النفس وطهارتها وكسر الشهوة وإيقافها عند حد الاعتدال لم يجعله خاصاً بهذه الامة المحمدية بل كانت مشروعيته عامة لهذه الامة وسائر الامم من قبلها واليه الاشارة بقوله (كما كتب على الذين من قبلكم) أى ليكون لكم فيهم أسوة حسنة ولتجتهدوا في أدائه اكمل مما كان يفعل أولئك . ولرحمته بخلقه ورأفته بهم لم يجعله جميع أيام العمر لئلا يشق على النفوس فتضعف عن حمله وأدائه

قوله آية بل جعله في كل سنة أياماً معدودات أى قلائل وهى شهر رمضان على ما سيأتى بيانه ولم يقف جل شأنه عند هذا الحد من الرأفة والرحمة بل تعطف وجعله قاصراً على من كان مقبلاً فى بلد صحىحاً فى بدنه أما من كان مريضاً مرضاً يضره معه الصوم ويعسر عليه فيه أو مسافراً سافراً يجوز له قصر الصلاة فرخص له الفطر فى كلتا الحالتين وعوضه بذلك أن يصوم عدة أيام المرض أو السفر من أيام أخروهي التى يكون فيها صحىحاً مقبلاً وهذا هو الذى أفاده الله تعالى بقوله (فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر)

بقى حكم الذين يحتملون الصوم مع المشقة الزائدة كالفلاحين والمزارعين وأرباب الأعمال الشاقة فكل هؤلاء يفطرون ويطعم الواحد منهم مسكيناً قدر ما يأكله فى اليوم عن كل يوم ومن أطعم أكثر من ذلك فهو خير له وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له) أى وعلى الذين يحتملونه بمشقة زائدة أن يفطروا ويتصدق كل واحد منهم بفدية وهى طعام مسكين ومن تصدق بأكثر من ذلك بأن أطعم اثنين أو ثلاثة أو أكثر فهو خير له وتفسير الاطاقة بهذا المعنى هو ما يقتضيه نص اللغة

فقد تبين ان الصائم له ثلاث حالات الاولى أن يكون صحىحاً مقبلاً وهذا ما يجب عليه الصوم لا محالة الثانية أن يكون مريضاً أو مسافراً وهذا يفطر وعليه بدل ما أفطره من أيام رمضان عدة من أيام أخرى غير الثالثة أن يحتمل الصوم بمشقة وهذا خير بين أن يفطر ويطعم عن كل يوم مسكيناً أو يصوم وهو أفضل لقوله جل شأنه (وأن تصوموا خير لاكم ان كنتم تعلمون)

وبعد أن بين جل شأنه أنه فرض علينا الصيام وأنه أيام معدودات أخذ يبين تلك الايام المعدودات فقال (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) وفى وصف الشهر بأنه الذى أنزل فيه القرآن لهداية الناس وإرشادهم الى أمر دينهم ودنياهم وجميع مصالحهم تنويه بما لهذا الشهر من الافضية وكمال المزية

وبيان الحكمة تخصيصه بالصيام ثم كر بعد ذلك راجعاً الى بيان بقية سورة آية
أحكام الصوم فقال (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) أى فمن شاهد
منكم الشهر ونظره فليصمه

ولما كان عموم ذلك يستلزم أن المريض والمسافر كليهما يصوم
لأنهما ممن شاهدوا الشهر ونظره مع سبق الترخيص لهما بالفطر بين
جل شأنه ان ذلك الحكم غير شامل لهما بقوله (ومن كن مريضاً أو
على سفر فعدة من أيام أخر) وعليه فلا تكرار بين هذا وماسبق وإنما
رخص لهما لان في صومهما في حالة المرض أو السفر مشقة وعسراً
والله لا يريد هما بنا كما قال (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)
وقد أشار جل شأنه الى علة وجوب الصوم عند مشاهدة الشهر
والترخيص للمريض والمسافر بالفطر والقضاء في وقت آخر وإراد
التيسير والتسهيل بقوله (واتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم
ولعلكم تشكرون) أى أوجب الصوم عليكم لتكملوا عدة الشهر
ورخص لكم في الرض والسفر بالفطر لتكبروه وتعظموه وتثنوا عليه
بسبب هدايته اياكم ببيان أحكام دينكم وإرادته بكم اليسر والتسهيل
لعلكم تشكرون نعمته عليكم

ولما أمر جل شأنه بصوم الشهر ومراعاة تكميل عدده أداء وقضاء
وحث على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بقوله (واذا سألك
عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى
وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) الدال على انه تعالى خير بأحوالهم سميع
لاقوالهم مجيب دعائهم مجاز لهم على أعمالهم تأكيداً للصوم وحثاً عليه
أو المراد بالدعاء العبادة وباجابته قبوله فكأنه جل شأنه يقول واذا
عبدوني على النحو المتقدم وامثلوا أمرى وأجابوا دعوتى لهم فانى
أقبل عبادتهم وعابه فيكون ذكر الآية وسط أحكام الصوم بينا ظاهراً
والله أعلم ثم رجع الى بيان بقية أحكام الصوم فقال (أحل لكم ليلة
الصيام الرفت الى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله انكم
كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالان باشروهن وابتغوا
ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الايسر

سورة آية

من الخيط الاسود من الفجر ثم أتموا الصيام الى الليل) فبين ان الصائم بعد الافطار له أن يأكل ويشرب ويرفث أي يلامس أهله وقد كان المسلمون في بدء الاسلام يختانون أنفسهم أي ينقصون من لذائذها وشهواتها بترك الاكل والشرب واللامسة فتأب الله عليهم على معنى أنه عفا عنهم ورخص لهم ذلك وأباحه لهم حتى يظهر الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر من الليل فان ظهر ذلك الخيط امتنع عن كل شئ وأبتدأ في الصيام ولا يزال كذلك الى دخول الليل بغروب الشمس فان غربت حل له ما كان قد حرم عليه وهكذا وبعد أن أتم الله أحكام الصوم بين انا حكم الاعتكاف في المساجد وان ملامسة الرجل لامرأته فيه سواء كان في الليل أو في النهار تبطله فقال (ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد تلك) أي الاحكام التي ذكرت (حدود الله) حدها لعباده ليقفوا عندها (فلا تقربوها) فضلا عن أن تتمدوها (كذلك) يبين أي مثل هذا التبيين الواقع في أحكام الصوم (يبين الله آياته) الدالة على سائر الاحكام التي شرعها الله (للناس لعلهم يتقون) مخالفة أوامره ونواهيه والله أعلم

فضل الصوم

اعلم ان الصوم لمكاته في الدين ونفعه في المسلمين بما اشتمل عليه من الثمار البانمة والفوائد النافعة مما علمت بعضه قد رغب فيه الشارع وبالع في الحث عليه وأكثر من الوسائل التي توصل اليه فمن ذلك ان جملة كفارة الكثير من الذنوب فقال في كفارة القتل (ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله الا أن يصدقوا فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم يبتغونكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليا حكيما) وقال في كفارة الايمان (لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم واسكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة

أيام ذلك كفارة أيمانكم اذا حلفتم واحفظوا أيمانكم كذلك بين الله سورة آية
لكم آياته لعلكم تشكرون)

وقال في كفارة الظهار (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون
لما قالوا فتحريم رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما
تعملون خبير فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن
لم يستطع فإطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله)

النوع الثالث من أنواع العبادات

الزكاة

اعلم ان مطمح جميع الشرائع الآلهية بما تسنه من الاحكام
والشرائع انما هو تهذيب النفس بمحو الرذائل والاخلاق الرديئة عنها
وجلب الفضائل والاخلاق الجميلة اليها وزوال ما بها من الاعتلال
ووقوفها عند حد الاعتدال لان النفوس اذا وقفت عند حد الاعتدال
ووصلت من التهذيب الى درجة السكال تذلت الطباع وأمن التعدي
من الاشرار وذوى الاطماع وتألقت القلوب وأمنت السبل ونمت
التجارات وتحسنت الاحوال لذلك ترى الله جل جلاله قدرته تارة ينيط
الفلاح بزكاة النفس وطهارتها والخمية والخذلان بمنابعتها في أهوائها
فيقول (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) وأخرى يجعل
الجنة مأوى لمن أخذها بالقهر وبذل جهده في جهادها بمنعها عن
شهواتها الحيوانية وصرف أهوائها عن اللذات الدنية فيقول (وأما من
خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى)

وحيث كان اكبر تلك الشهوات التي يجب قمعها وأعظم الاشياء
المحبوبة لديها هو المال الذي لا يماذله شيء عندها بمصدق قوله تعالى
وتحبون المال حباً جماً) أى كثيراً جاء الشارع الحكيم الخبير
بمراض النفوس وعلاجها (بالزكاة) ليظهر بها النفوس ويزيل ما بها
من علة البخل والشح المشار الى نجاح وفلاح من وقى نفسه منها وتباعد
عنها بقوله (ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون)

بوره آیه

وللزكاة غير تجريد النفس من رذيلة البخل وتحليتها بصفة الجود
والسخاء من الفوائد والمنافع ما به عمار الكون ونظام الهيئة الاجتماعية
وذلك لان الله جلت قدرته لم يخلق جميع الخلق متساوين لحكمة عجيبة
وسر غريب بل خلق منهم القوى والضعيف والغنى والفقر والكل
تطالبه الحياة بضرورياتها ولوازمها فيضطر الفقير القوى اذا لم يكن
صرف للزكاة ان يأخذ جميع حاجاته من الضعيف الغني أو القوى الغني
بالسؤال ان امكن والا قاتل المطلوب منه فيقتل أو يقتل فلا يتم مع
ذلك بقاء العالم ولا يحفظ نظام الكون ولذا ترى الفوضويين منتشرين
في جميع أنحاء العالم وخصوصا أوروبا وأمريكا يقتلون ملوكهم ويندبحون
أغنياءهم ولا سبب لذلك الا عدم وجود مصارف للزكاة في تلك البلاد
فيستغنون عما هم فيه من الفاقة ولو أنهم وجدوا ما يدفع حاجتهم لما
لجأوا الى مثل هذه الامور الوحشية

ومن فوائدها أيضاً انها داعية الشفقة والرحمة بالفقراء والمساكين
والضعفاء المعوزين بسد عوزهم وتنفيس كربتهم وقضاء دينهم وادخال
السرور عليهم الذي هو أفضل الاعمال بمصداق قوله صلى الله عليه وسلم
عند ما سئل أى الناس أحب اليك قال أنفع الناس للناس قيل
بارسول الله فأى الاعمال أفضل قال ادخال السرور على المؤمن
قيل وما سرور المؤمن قال اشباع جوعته وتنفيس كربته وقضاء
دينه الحديث

ومنها ان الله سبحانه وتعالى أراد بفائق حكمته وعظيم قدرته أن
يجمع العالم الاسلامى أجمع ويربط قلوب المسلمين كلهم بعضهم ببعض
ويكون الكل كاسرة واحدة والأغنياء منهم بمثابة رؤس لملك الاسرة
فيحسنون على فقيرهم ويوسعون على المضيق عليه منهم حتى يكفهم
تكفهم الناس ويمنعهم من ذل السؤال وأرشدهم كيف يجتمعون
ويتحدون ويتماونون ويتألفون حتى بذلك يجنون ثمر الحياة الدنيا
فشرع لهم الزكاة ليكون من نتائجها الحسنة هذا الارتباط والاتحاد والتعاون
وللزكاة غير ما ذكر من الفوائد والمنافع ماستأنى الآيات القرآنية على
بعض منها كما سيتبين لك والله ولى التوفيق

(قال الله تعالى حثا على الزكاة وبيانا لبعض ما يترتب عليها من سورة آية الفوائد والنافع)

وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تَرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْمُضْعِفُونَ

بيان معنى هذه الآية الكريمة والغرض المقصود منها

الغرض منها ان ما يخرج المزكي من ماله ويعطيه لمستحقه من الفقراء والمساكين وغيرهم من المستحقين ويقصد بذلك وجه الله تعالى شكرا على ما خوله من نعمه الوافرة سبحانه الله سبحانه وتعالى عليه الجزاء الاوفى ويضاعف له ثوابه وماله ببركة الزكاة وذلك لان من عرف حق الله تعالى في ماله وأخرجه ابتغاء مرضاته وامتنالا لما أمر به وصرفه في مصارفه الشرعية التي ينهاها له الشرع فقد شكر الله جل شأنه على ما منحه من كرامته وخوله المزيد من نعمته ومن شكر الله زاده وجعل التقوي زاده بمصدق قوله تعالى (ولئن شكرتم لأزيدنكم) وهذه المضاعفة في الثواب والمال ببركة الزكاة هي المشار لها بقوله تعالى في آخر هذه الآية الكريمة (فاولئك هم المضعفون) (وقال جل ثناؤه في بيان أن الزكاة من الاسباب المفضية الى رحمة الله تعالى وأنها من أخص أوصاف المؤمنين)

وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ
اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

ترشد هذه الآية الكريمة الى بيان حال المؤمنين والمؤمنات بانهم هم الذين يتولى بعضهم بعضاً أى يتناصرون ويتعاضدون كما جاء فى الحديث الصحيح (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك بين أصابعه) وأنهم هم الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وهم الذين يقيمون الصلاة أى يؤدونها كاملة ويؤتون الزكاة أى يحسنون الى خاقه ويطيعون الله ورسوله فيما أمر ويتركون ما عنده زجر وان من يكون كذلك فهو جدير بأن يغمره الله برحمته ويمنحه المزيد من نعمته ولذا يقول جل شأنه (أولئك) أى من اتصف بهذه الصفات (سيرحمهم الله)

وانما استحقوا الرحمة لاتصافهم بهذه الاوصاف لانهم اذا تولى بعضهم بعضاً وتناصروا وتعاضدوا أحدثت قلوبهم واجتمعت كلمتهم وسعى البعض للبعض فى جلب الخير ومنع الشر والضير ولا جرم ان ذلك جالب للرحمة مستتبع للنعمة ولانهم لو أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر عم الصلاح العامة والخاصة فتأمن السبل وتنمو التجارات ويؤمن التعدى من الاشرار وذوى الاطباع فتعمر البلاد وترتاح العباد ولانهم لو أقاموا الصلاة وأدوها فى أوقاتها مع الخشوع والتعظيم والحياء والمذلة والانكسار لتمررت نفوسهم على مراقبة الله تعالى فى أغلب آوتهم وانتهوا عن الفحشاء والمنكر ولانهم لو آتوا الزكاة وقهروا النفس باخراج أحب الاشياء اليها وهو المال وآثروا رضا الله تعالى على ما تشتهيه نفوسهم وصرفوها فى مصارفها التى حددها الشرع رضى الفقير وأمن الغنى على ماله ونفسه فتقوى جامعهم وتناكد محبتهم وتكمل سعادتهم ولانهم لو أطاعوا الله ورسوله وامتلوا كل ما أمرهم به واجتنبوا كل ما نهاهم عنه فازوا بما أعد لهم فى الآخرة من النعيم المقيم — ولا جرم ان الاتصاف بكل هذه الاوصاف مع ما يترتب عليها من الثمار اليانعة والفوائد النافعة جالب للرحمة مستتبع للنعمة

سورة آية

فضل الزكاة

(قال الله تعالى في بيان ذلك)

إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا
الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

ما تشير اليه هذه الآية الكريمة

تشير الى بيان فضل الزكاة والصدقات وانها حسنة على كل حال
سواء أظهرها فاعلها أو أخفاها الا ان الاسرار بها وفعلها في خفية
أفضل من اظهارها لانه أبعد من الرياء الا أن يترتب على الاظهار
مصاحبة راجحة من اقتداء الناس به فيكون أفضل من هذه الحذية والى
ان الاسرار أفضل يشير الله تعالى بقوله (وان تخفوها وتؤتوها
الفقراء فهو خير لكم) أى من ايتائها للفقراء مع الاظهار وبعد أن
أشار جل شأنه الى بيان فضل الزكاة ولا سيما اذا كانت سرا وانه يحصل
لفاعلها الخير بما يعطاه من رفع الدرجات بين أنها تكفر السيئات فقال
(ويكفر عنكم من سيئاتكم) أى بدل الصدقات وقوله تعالى (والله
بما تعملون خبير) أى لا يخفى عليه منه شئ فيه ترغيب في الاسرار
والله أعلم

وقد ورد في هذا الباب أحاديث كثيرة سنأتى على بعض منها
لما فيه من زيادة بيان فضلها قال صلى الله عليه وسلم (ان الصدقة
تنطفيء غضب الرب) وقال عليه الصلاة والسلام (ان الصدقة
تنطفيء الخطيئة كما يطفى الماء النار) وقال عليه الصلاة والسلام
لا يجتمع الايمان والشح في قلب عبد أبداً) وفي هذا القدر كفاية والله
ولى التوفيق

(قال الله تعالى في بيان ذلك)

التوبة ٣٥

وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا
فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٣٦ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا
فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتَكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ
هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ

ما تفيد هاتان الآيتان الكريمتان

تفيد هاتان الآيتان الكريمتان بيان ما أعد الله تعالى من أليم
العذاب وشديد العقاب للذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها
في سبيل الله بأن لا يخرجوا زكاتها وليبان وجه العبرة وإفادة شدة
النكير والانهذار بين جل شأنه ان هذا العذاب الاليم انما هو بنفس
هذه الاموال التي ادخروها ومنعوا حق الله فيها فقال (يوم يحمى
عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) وليبان
أن سبب هذا البلاء العظيم والعذاب الاليم انما هي نفس الانسان حيث
سولت له البخل وحسنت له الاكتناز والادخار أشار الله تعالى بقوله
(هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) أي هذا الذي
تكوون به هو ما كنزتموه لاجل منفعة أنفسكم بتسويلها لكم المنفعة
فكان عين مضرتها وسبب تعذيبها

أنواع الزكاة

هي زكاة النقد سواء كان ذهباً أو فضة وزكاة عروض التجارة وزكاة
المواشي وزكاة الزرع وزكاة الركا

(وقد أشار الله تعالى الى وجوب الزكاة في جميع هذه سورة آية
الانواع بقوله)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ
وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ
مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَأَنْتُمْ بِآخِذِهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ

معنى الآية الكريمة وبيان وجه أخذ هذه الانواع منها

يقول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا) أى أخرجوا
الزكاة (من طيبات ما كسبتم) سواء كان نقداً أو عروض تجارة
أو ماشية (ومما أخرجنا لكم من الارض) سواء كان حبا أو
نمراً أو ركازاً

وقد بينت السنة مقدار ما يخرج من كل نوع فبينت ان ما يخرج
من النقود سواء كان ذهباً أو فضة ربع العشر في مائتى درهم خمسة
دراهم وفي عشرين ديناراً نصف دينار وما زاد من كل منهما
فبحسابه

وبينت ان ما يخرج في عروض التجارة اذا بلغت قيمتها من الذهب
أو الفضة نصاباً ربع العشر أيضاً والتقويم يكون بما اشترى به اذا
كان الثمن من النقود لانه أقرب لمعرفة المالة لان الظاهر أن تشتري
بقيمتها وبالغالب من النقود اذا كان الثمن من غير النقود

وبينت ان ما يخرج من المواشى ان كانت ابلاً شاة في كل خمس
الى خمس وعشرين ففيها بنت مخاض وهي التى دخلت في السنة الثانية
— الى ست وثلاثين ففيها بنت لبون وهي التى دخلت في السنة
الثالثة — الى ست وأربعين ففيها حقة وهي التى دخلت في السنة
الرابعة — الى احدى وستين ففيها جذعة وهي التى دخلت في السنة

سورة آية الخامسة - الى ست وسبعون ففيها بنتا لبون - الى احدى وتسعين ففيها حقتان - الى مائة وعشرين ثم تستأنف الفريضة بعد المائة والعشرين فيكون في كل خمس شاة الى خمس وعشرين أى بعد المائة والعشرين ففيها بنت مخاض مع الحقتين أى فى مائة وخمس وأربعون حقتان وبنت مخاض ثم اذا زادت خمسا بأن بلغت مائة وخمسين ففيها ثلاث حقاك ثم تستأنف الفريضة فيكون في كل خمس شاة الى مائة وخمس وسبعين فيكون فيها ثلاث حقاك وبنت مخاض الى مائة وست وثمانين ففيها ثلاث حقاك وبنت لبون الى ست وتسعين ففيها أربع حقاك الى مائتين ثم تستأنف الفريضة دائما كما استأنفت في هذه الخمسين التى بعد المائة

وان كانت بقرأ فى كل ثلاثين تبيع ذو سنة أو تبيعه وفى كل أربعين مسن ذو سنتين أو مسنة وفيما زاد فبحسابه والجاموس مثل البقر

وان كانت غنما فى الاربعين شاة الى مائة واحدى وعشرين ففيها شاتان الى مائتين وواحدة ففيها ثلاث شياه الى أربعمائة ففيها أربع شياه ثم فى كل مائة شاة والمعز كالضأن وليس فيما عدا هذه الاصناف الثلاثة من الحيوانات كالخيل والبغال والحمير زكاة

وأما زكاة الزرع فبينت السنة ان كل ما يخرج من الارض بلا سقى أو سقى بالسميح أو بالمطر ففيه العشر وكل ما يخرج بالآلات كاللداء ونحوها ففيه نصف العشر ولا زكاة فيما هو تابع للارض كالنخل والاشجار لانه بمنزلة جزء من الارض بدليل تبعيته لها فى البيع عند عدم شرط

أما الركاز فقد بينت السنة ان فيه الخمس فقد قال عليه الصلاة والسلام فى الركاز الخمس قيل وما الركاز يا رسول الله قال الذهب الذى خافه الله تعالى فى الارض يوم خلقت

تصرف الزكاة لثمانية أصناف من الناس وهم المذكورون في قوله تعالى (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) أى إنما يستحق الزكاة من أصناف الخلق هؤلاء الثمانية وهم الفقراء الذين يملكون شيئاً قليلاً والمساكين وهم الذين لا يملكون شيئاً أصلاً والعاملون على الزكاة وهم الذين يبعثهم الامام او نائبه لجبايتها وتحصيلها والمؤلفة قلوبهم على الاسلام وهم الذين يرغبون للدخول في الاسلام والمكاتبون وهم الذين يكتبتهم سيدهم على أن يدفعوا له مالا معلوماً في أقساط متعددة حتى اذا وفوه عتقوا وهم الذين أشار لهم الله تعالى بقوله (وفي الرقاب) والغارمون وهم الذين عليهم دين فيعطون منها بشرط أن يكون هذا الدين استقرض في طاعة أو مباح فان استقرض في مصيبة كالخمر والاسراف فلا يعطون منها شيئاً ما لم يتوبوا والغزاة وهم المقصودون من قوله تعالى (وفي سبيل الله) فيصرف لهم شيء من الزكاة ولو كانوا أغنياء اعانهم وتنشيطهم على الغزو وابن السبيل وهو المسافر الذي انقطع عن ماله فيعطى منها بقدر الحاجة

زكاة الفطر

هي نصف صاع من بر أو دقيق أو زبيب أو صاع من تمر أو شعير وهو ثمانية أرطال وذلك لقوله عليه الصلاة والسلام في خطبة له (أدوا عن كل حر وعبد صغير أو كبير نصف صاع من بر أو صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير) والرابع المصرى يكفى عن ثلاثة أنفس ويخرجها من ملك نصاباً من أى مال كان عن نفسه وأولاده الصغار وعبيده للخدمة ولا يخرجها عن زوجته وأولاده الكبار وتصرف للأصناف الثمانية المتقدمة لأنها كافية أنواع الزكاة

النوع الرابع من أنواع العبادات

الحج

الحج هو زيارة امكنة مخصوصة في زمن مخصوص بأقوال وأفعال مخصوصة وله من الاسرار والحكم ما يعجز عن حصرها حكماء العرب والعجم فمنها أن يجتمع جميع المسلمين من سائر أقطار العالم في مكان واحد تقوم فيه عباداتهم وخطبائهم وحكماؤهم يعلمون الجاهل ويرشدون المسترشد ويوقفونهم على أحوال الامم الشاسعة التي لا يتوصل الواحد منهم اليها مدى عمره ويطلع بعضهم بعضا على مآبى تكون حياتهم الملية والقومية من الصنائع والمعدات للذود وغيرها مما سبقهم فيه غيرهم ويطلع بعضهم على شؤون البعض الآخر المحتاجة للتعاون والتوازر ويتصالحون ويتوaddون على اختلاف أجناسهم وتباين طبقاتهم فيرجع الواحد منهم الى بلده وحقيقته ملأى من أخبار وسير وفوائد ومنافع لا تكاد تحصى ووقوف على أحوال الامم الاخرى ليباريهم ويحاريهم فيما تكون فيه سمادته وسمادة قومه الحقيقية فشرع الله لهم الحج لهذه الغاية

ويا حبذا لو أدرك ذلك الدين يذهبون من المسلمين الى أوروبا في كل سنة أو الى المعارض التي تقام فيها ويصرفون في سبيل ذلك من الاموال الطائلة مالمو صرفوا جزءاً منه في أداء هذه الفريضة لكان ذلك أدعى الى عزتهم ومنعتهم وقوتهم على انهم في أداء هذه الفريضة يرون معرضاً اكبر من معارض أوروبا لانه يجتمع فيه كل اصناف العالم من عرب وترك وفرنس ومغاربة وهندود ومصريين وسوريين وبربر وسودان وغير ذلك من أمم البشر كلهم على دين واحد وغرض واحد وقلما يجتمع في معارض أوروبا الا الاوروبي أو من هو على شاكلته وباليتمهم يذهبون الى تلك البلاد والمعارض ليرجعوا بشيء مما

سبقهم فيه أولئك الاقوام من الصنائع والمعارف فيعلموه لاهليهم وقومهم سورة آية حتى ينفعوا وينفعوا بل انما ينهبون ليقضوا شهوة للنفس أو لبانة للشيطان فاللهم ارشد المسلمين الى ما فيه صلاح حالهم واستقامة أحوالهم ووقفهم الى ما فيه خيرهم وفلاحهم انك خير مسؤول واكرم مؤمل وأعظم مرجو

ولما في الحج من الفوائد والمنافع يشير الله تعالى بقوله (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) ليشهدوا منافع لهم) فقد ذكر جل شأنه ان في الحج منافع يشهدوا الحاج ألقاها تسهيل وسائط التآلف والتوافق بين الممالك العظيمة ووجود الاتحاد والاتلاف بين الأمم الاسلامية الكبيرة وناهيك بما يترتب على ذلك من الخير العميم لعوم المسلمين ومنها ان به كمال العبودية ونهاية الاسترقاق لله تعالى بما اشتمل عليه من الاعمال التي لا تأنس بها النفوس ولا تهتدي الى معاليها العقول باديء بدء كرمي الجمار بالاحجار والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار واستلام الحجر الاسود فان هذه الاعمال مع عدم اهتداء العقل الى الغرض المقصود منها باديء بدء لا يكون في الاقدام عليها باعث الا الامر المجرد وقصد الامتثال للامر من حيث انه أمر واجب الاتباع فقط وذلك نهاية التذلل والعبودية ولا يتوهم ان شروع الانسان في هذه الاعمال وهو لا يعلم الغاية المقصودة منها ولا الفائدة المترتبة عليها عبث وعمل مجرد عن الفائدة لان ذلك انما يصح اذا كان الأمر بتلك الاعمال غير الله تعالى أما الله جل شأنه وهو العالم بحقائق الاشياء ودقائقها وما يترتب عليها من المصلحة والمفسدة وهو الذي لا يصدر عنه فعل عبث ولا بأمر بعبث فاذا أمر بأمر فلا بد أن يجب علينا الامتثال له من حيث انه أمر وان لم نعرف ما يترتب عليه من الفائدة لانه لا بد له من فائدة تعود على الانسان وجهل الانسان بالفائدة لا يستلزم عدمها في الواقع ونفس الامر فلا يقال اذن ان الانسان شرع في عمل لا فائدة فيه ولا يعرف الغاية المقصودة منه لانك قد علمت انه لا بد أن يكون

سورة آية له فائدة وغاية مقصودة ويجب على الانسان عند شروعه في العمل أن يعتقد ذلك

وحسبك ما فيه من الفوائد والمنافع التي لا تكاد توجد في غيره من سائر العبادات حيث يجتمع فيه المسلمون وأئمة الدين معظمين لشعائر الله تعالى التي يقول الله سبحانه فيها (ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب) متضرعين اليه راغبين في عفوه راجين منه الخير وتكفير الذنوب ولا شك ان ذلك أدعى الى تمحيص ذنوبهم وتكفير خطاياهم ولانه سفر شاسع وعمل شاق لا يتم الا بمجاهدة النفس وكبحها عما تشتهي من لذة الراحة فلا جرم ان كانت مباشرته خالصاً لله تعالى مكفرة للذنوب وهادمة للخطايا

وناهيك بما فيه من الاذكار والصلوات والتسبيحات فانها مدحضة للذنوب كافلة بنوال المرغوب وبالجملة فلولم يكن في الحج الا انه عبادة جمعت بين الذكر والتسبيح والادعية والتدلل والخضوع وتام العبودية وكال الاسترقاق لله وصرف أنفس الاشياء اليه وأحبها لديه وهو المال ابتغاء مرضاته تعالى في سبيل التحصل عليها ومفارقة الاهل والاطنان وتكبد المشقات وتحمل المتاعب والمصاعب ابتغاء مرضاة الله تعالى وطلباً لثوابه ورضوانه وانه يجتمع فيه المسلمون من جميع أقطار الارض يتبادلون فيه أنواع المودة والمحبة ويتعاضدون ويتحابون ويساعد بعضهم بعضاً ويعلم العالم منهم الجاهل الكفى في وجوه اعتباره وكال افتخاره وكان جديراً بأن يؤمه جميع المسلمين من سائر اقطار العالم من كل فيج عميق رجالاً وركبانا والله باسرار عبادته عليم

(ولما اشتمل عليه الحج من الاسرار والحكم والفوائد والمنافع أمر الله به وبين فرضيته وشدد النكير على تاركه مع الاستطاعة والقدرة عليه وبين فضل البيت فقال)

إِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ٩٦ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ

وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ

سورة
٩٧
آية

ما ترشد اليه هاتان الآيتان الكريمتان

ترشد هاتان الآيتان الكريمتان الى أمور

(الاول) بيان فضل البيت بأنه أول بيت وضعه الله مع هذا للطاعات والعبادات وجعله مباركاً يزداد فيه الخير ويتضاعف الثواب لمن قصده أو استقر فيه وهدى للعالمين يهتدون به الى جهة صلاتهم وذلك الفضل العميم والخير الجسيم بما اشتمل عليه من الآيات البينات التي منها مقام ابراهيم أى الحجر الذى كان يقوم عليه عند بنائه ومنها ان من دخله كان آمناً فلا يقتل فيه أحد بدم ولا يقطع شجره ولا ينفر صيده وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله (ان أول بيت وضع للناس للذى بيك مباركاً وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمناً)

(الثانى) بيان فرضية الحج وانه واجب على كل مسلم بالغ بشرط أن يقدر على الزاد والراحلة وتكون الطريق مأمونة وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً) (الثالث) بيان جزاء تارك الحج وقد أفاد الله ذلك بقوله (ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين) أى ومن ترك الحج فإن الله غنى عنه وعن عمله لانه جل شأنه لم يشرع لعباده هذه الشرائع الا لمنفعتهم ومصلحتهم أما هو فهو غنى لا تعود عليه طاعات عباده بأسرها بنفع ولا بادنى فائدة وعبر جل شأنه عن ترك الحج بالكفر تأكيذاً لوجوبه وتشديداً على تاركه وفيه من الدلالة على مقت تارك الحج مع الاستطاعة وخذلانه وبعده من الله تعالى ما يتعاضمه سامعه ويرجف له قلبه جعلنا الله ممن اتبع طاعته ولازم متابعتة آمين

(وقال جل ثناؤه فى الترخيص لمن حج فى التجارة وفى بيان أعظم أركان الحج وهو الوقوف بعرفة وفى الحث على التلبية والتكبير

سورة آية عند الشعر الحرام والحث على الافاضة من المزدلفة الى منى وبيان ما يعمل بعد اقتضاء أعمال الحج

البقرة ١٩٧
لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ
فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ
وَإِذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ١٩٨
ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ
اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ١٩٩ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا
اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا

ما ترشد اليه هذه الآيات الكريمة

ترشد هذه الآيات الكريمة الى أمور

(الاول) الترخيص لمن حج في التجارة ونحوها من الاعمال التي يتوصل بها الى الرزق والاكتساب وهذا هو المشار اليه بقوله تعالى (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) أي لا اثم عليكم ولا حرج في طلب ذلك بالتجارة ونحوها في موسم الحج وكانوا يتحرزون عن ذلك قبل نزول هذه الآية الكريمة

(الثاني) الافاضة من عرفات الى المزدلفة (أسمى مكانين) والحث على ذكر الله بالمزدلفة عند الشعر الحرام وهو جبل بالمزدلفة معروف وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله (فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند الشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين) أي فاذا دفعتم أنفسكم من عرفات الى المزدلفة فهنالك اذكروا الله عند الشعر الحرام بالتلبية والتكبير وصلاة المغرب مع المشاء جمعا فانها لم تصل بعرفات ووقت الافاضة من عرفات بعده غروب الشمس

واستدل بالآية الكريمة على وجوب الوقوف بعرفة لان الافاضة سورة آية
لأنكون الا بعده ولا يتم الحج الا به

(الثالث) الحث على الافاضة من المزدلفة الى منى كما فعل سيدنا
ابراهيم وهو المراد بالناس في قوله (ثم أفيضوا من حيث أفاض
الناس) أى ثم بعد وقوفكم بالمزدلفة أفيضوا الى منى من حيث أفاض
الناس أي ابراهيم عليه السلام

(الرابع) ما يعمله الحاج بعد فراغه من أعمال الحج وهو ذكر
الله تعالى كثيراً وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله (فاذا قضيتُم مناسككم
فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً)
(وقال تبارك اسمه في بيان الركن الثاني من أركان الحج وهو
السمى بين الصفا والمروة)

١٥٨ البقرة إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ
أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ
خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ

ما تشير اليه هذه الآية الكريمة

تشير هذه الآية الكريمة الى فرضية السعى بين الصفا والمروة
لمن أراد الحج أو العمرة والصفا والمروة جبلان بمكة معروفان ووجه
أخذ فرضية السعى بينهما من الآية ان الله تعالى جعلهما من شعائره
أي من أعلام مناسكه ومتعبداته ولا يكونان كذلك الا اذا كان السعى
بينهما فرضاً وهكذا استدلل مالك والشافعي وأحمد وقال ابو حنيفة انه
واجب يتجبر بالدم وله أدلة ليس هذا محلها وعلى كل فلا اثم على من
أراد الحج أو العمرة أن يطوف ويدور بهما ويسعى بينهما ومن فعل
ذلك على سبيل أنه طاعة لله تعالى يتقرب بها اليه فان الله شاكر له
أي مثيبه على القليل بالكثير عليم بقدر الجزاء فلا يبخس أحداً

سورة آية ثوابه ولا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً

﴿وقال جل ثناؤه في بيان أشهر الحج ومحظوراته﴾

البقرة ١٩٦ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا

رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ

خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ

ما تفيد هذه الآية الكريمة

تفيد هذه الآية الكريمة أمرين

(الاول) بيان وقت الحج وهو ما أفاده الله تعالى بقوله (الحج أشهر معلومات) أى وقت عمله أشهر معلومات وهى شوال وذوالقعدة وعشر ذى الحجة

(الثانى) النهى عن الرفث وهو الجماع والفسوق وهو جميع المعاصي والجدال وهو أن تخاصم صاحبك حتى تغضبه وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله (فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج) وبعد أن نهى جل شأنه عن اتیان القبيح قولاً وفعلاً حث على فعل الجليل وأخبر بأنه عالم به وسيجزى عليه أوفر الجزاء يوم القيامة فقال (وما تفعلوا من خير يعلمه الله)

ومن محظورات الحج غير ما ذكر من الرفث والفسوق والجدال قتل الصيد فى الحرم وقد نهى الله تعالى عنه وبين ما يجب على الحاج اذ فعله بقوله «يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هدياً بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً ليدوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام»

ومنها أيضاً الخلق قبل أن ينحدر هديه في مكانه الذي يجب نحره سورة آية فيه وقد نهى الله عنه وبين ما يجب على الحاج أيضاً إذا فعل لأى سبب من الاسباب التي ذكرها فقال « ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى محله فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك »

وقال تبارك اسمه في بيان فضل الحج بما اشتمل عليه من الفوائد والمنافع وذكر الله تعالى واطعام الفقراء والساكنين وبيان طواف الزيارة وهو أحد أركان الحج وآخر أعماله .

وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ٢٨ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ ٢٩ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ

ما تشير اليه هذه الآيات الكريمة

تشير هذه الآيات الكريمة الى بيان فضل الحج وعظم مكاتبه عند الله تعالى وشدة رعايته له وعنايته به حيث أمر نبيه ابراهيم عليه السلام بعد فراغه من بناء البيت أن ينادى في الناس ويدعوهم الى الحج ووعد به بأنه ان دعاهم اليه أتوا مشاة وركبانا من سائر بقاع الارض وهذا ما أفاد الله تعالى بقوله (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا) أى ماشيين (وعلى كل ضامر) أى وراكبين على كل بئر ضامر مهزول (يأتين من كل فج عميق) أى طريق بعيد وقد بين جل شأنه الحكمة التي من أجلها أمر نبيه ابراهيم عليه السلام أن ينادى الناس ليحضروا الى البيت فقال « ليشهدوا منافع لهم ويذكروا

سورة آية

اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلموا منها وأطعموا البائس الفقير « أى ليحضرُوا منافع لهم وهى أعم من أن تكون دنيوية أو أخروية فالأخروية هى ما فيه من الاذكار والصلوات والتسبيحات ورضوان الله تعالى وغير ذلك والدنيوية هى ما فيه من التآلف والتعارف بين الممالك العظيمة والاختلاط والارتباط بين الأمم الاسلامية الكبيرة وما يصيبون فيه من لحوم البدن والذبايح والتجارات وغيرها وليذكروا اسم الله على هداياهم وضحاياهم التى يذبحونها فى أيام معلومات وهى أيام التشريق لئلا يكلوا منها ويطعموا البائس الذى به البؤس من شدة الفقر ثم أمر جل شأنه بالحجاج بعد الاتيان بمناسك الحج وأعماله وخروجهم من الاحرام أن يزبلوا ما عليهم من الاوساخ والادران ويوفوا بما نذروا من أعمال البر والخير وان كانوا نذروا شيئاً ثم بعد ذلك كله يطوفون بالبيت طواف الافاضة وهو طواف الزيارة الذى هو ركن من أركان الحج وبه تمام التحلل ونهاية أعمال الحج ويكون هذا الطواف يوم النحر فقال « ثم ليقضوا تقضهم » أى يزبلوا وسخهم « وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق » والله ورسوله أعلم وهذا آخر القسم الثانى والله الحمد والمنة وبليته القسم الثالث فى الآداب ومكارم الاخلاق

القسم الثالث

في

الآداب

ومكارم الاخلاق

اعلم أن من النفوس ما هو مستعد بفطرته الى الكمالات وبلوغ أعلى الدرجات ومثل هذه يكفى فى اصلاحها وتقويم ما اعوج منها وزوال ما بها من الاعتلال ووقوفها عند حد الاعتدال تهذيبها

وتكليفها بما يثبت فيها من الاخلاق الفاضلة والصفات السكاملة . ومنها سورة آية
ما هو مستمد بفطرته الى الرذائل الدنية والاخلاق البهيمية ومثل
هذه لا يكفي في اصلاحها مجرد الترغيب والتهديب وبث الاخلاق
الفاضلة فيها لنبوّها عن التهديب وعدم قبولها للسكالات بطريق
الفطرة

لذلك شرع الشارع الحكيم وهو الله جل شأنه الاحكام الشرعية
حسب استعداد تلك النفوس فجعل منها ما به ترتق النفوس وتهذب
الاخلاق وتتكمل العقول وذلك كالمبادئ والاخلاق الفاضلة كالصدق
والامانة وحسن الخلق والوفاء بالعهد وانجاز الوعد وغيرها من
الفضائل . ومنها ما به يقصد حفظ الهيئة الاجتماعية وحسن نظامها
كالمعاملات والحدود والزواج والعقوبات

والفرض الذي تتوخاه الآن ونرى اليه هو الامر الاول من
هذين الامرين وهو ما به تهذب النفوس وتتكمل العقول من الآداب
الفاضلة والاخلاق السكاملة

ولما كان أفضل الآداب آداب القرآن التي أدب الله بها نبيه محمداً
صلى الله عليه وسلم وجعل لنا فيه الاسوة الحسنة وفيها العبرة
المستحسنة كان ما نتوخى بيانه من الآداب هو ما في هذا الكتاب
الكريم وما تجمل به من الآداب هذا السيد السند العظيم

تمهيد — د

اعلم ان ما سذكروه من الآداب الشرعية والاخلاق الفاضلة
الزكية هو الذي يجب الاخذ به وبه يبلغ الانسان كماله ويصل الى ما فيه
سعادته في الدنيا والآخرة سواء وافقه عليه الناس أو لم يوافقوه ولا
يمنعه عن المحافظة على تلك الآداب الشرعية استهزاء الناس الذين
لا اخلاق لهم به وعيبتهم له أو كون أحدهم على خلاف ما يتحلى به
فانه اذا تأمل في أحوال كل من خالف هذه الاصول الادبية والآداب
الشرعية يجدهم أشقياء تعساء وأنهم بشقايتهم واختلال أعمالهم وسوء

ورة آية
تصرفهم سبب في شقاء غيرهم أيضا — فعلى الانسان الذى يطبع على
محبة الله ويجتهد في اسعاد نفسه وغيره ورضا ربه أن يوفق بين اعماله
وبين هذه الآداب الشريفة وان عارضه في ذلك كل من حوله من العالم
واليك بيان هذه الآداب مبتدأة بأشرفها وهو

الادب مع الله عز وجل

وهو نوعان (الاول) ما يستعمله ذو الذوق السليم والقلب
الحكيم في مخاطباتهم مع الله عز وجل وعند نسبتهم الاشياء اليه فمن
ذلك قوله تعالى حكاية عن سيدنا ابراهيم عليه السلام « الذى خلقنى
فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقئ واذا مرضت فهو يشفين »
فتراد نسب الخلق والهداية والاطعام والسقيا الى الله تعالى ونسب المرض
الى نفسه حيث قل « واذا مرضت فهو يشفين » وكان مقتضى السياق
أن يقول واذا أمرضنى فينسب المرض الى الله تعالى كما نسب اليه غيره
من الافعال مع اعتقاده بان الكل منه وفي المدول عن ذلك من
الادب ما لا يخفى ومن ذلك أيضاً قوله تعالى حكاية عن مؤمنى الجن
عند مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم ومنعهم من استراق السمع
« وانا لاندري أشر أريد بمن فى الارض أم أراد بهم ربهم رشدا »
فتراهم عند اسناد الشر بنوا الفعل للمجهول ولم يعينوا المريد له مع
اعتقادهم بأن المريد له هو الله تعالى وعند اسناد الخير صرحوا
بمريده فقالوا أم أراد بهم ربهم رشدا وفى ذلك أيضاً من الادب
ما لا يخفى

ومثل هذا النوع من الاداب فى القرآن كثير

(النوع الثانى) امتثال أوامره جل شأنه واجتناب نواهيه
ومراقبته فى كل عمل من أعماله بل وفى سائر حركاته وسكناته فان كان
هذا العمل عمل طاعة كانت المراقبة باستحضار ذاته العلية وتمثيل
عظمته تعالى فى قلبه وانيمات الخشية والخضوع من جميع جوارحه
واطمئنان نفسه للمثول بين يديه واستخلاص قلبه من جميع الشواغل
الدنيوية وملاحظة أنه يراه فى كل حركاته وسكناته وهو معنى

الاحسان الذي ذكره صلى الله عليه وسلم في قوله « الاحسان أن تسبّد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » وان كان العمل عمل معصية راقب ان عليه رقيباً مهيمناً قريباً يعلم ما توسوس به نفسه ويخفيه صدره مطلعاً عليه في جميع أحواله وأعماله سواء ما خفي منها وما ظهر فعند ذلك يخشع قلبه وتستكين جوارحه ويتمثل خوف الله تعالى في قلبه فيجتنب القبيح بعد العزم عليه ويحجم عن المنكر بعد الوصول اليه

ويجمع المراقبة بقسميها كلمة (التقوى) فانها اسم جامع لجميع أنواع البر وكافل لصاحبه كل خير ومباعد عنه كل شر ولذا حث جل شأنه في القرآن الكريم عليها وبين ما يترتب عليها من حميد المآب وجزيل الثواب ورفيع الدرجات وعظيم الخيرات في الجنات (فقال جل شأنه في الحث على التقوى وبين ما يترتب عليها من الفوز العظيم والتوفيق لصالح الاعمال وتكفير الذنوب والخطايا)

٧٠. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۚ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا

معنى هاتين الآيتين الكرّيتين والغرض المقصود منهما

المقصود ان الله تعالى يحث عباده المؤمنين على تقواه وأن يعبدوه عبادة من كأنه يراه وأن يقولوا قولاً سديداً أى مستقيماً لا اعوجاج فيه ولا انحراف ووعدهم أنهم ان فعلوا ذلك أثابهم عليه أجراً عظيماً ومنحهم من كرمه فضلاً جزيلاً وخيراً عمياً وذلك بان يصلح لهم أعمالهم بان يوفقهم للاعمال الصالحة وأن يغفر لهم الذنوب الماضية وما يقع منهم في المستقبل بلهمهم التوبة منه

وبعد أن حث جل شأنه على التقوى وبين ما يترتب عليها من التوفيق لصالح الاعمال وتكفير الذنوب قال « ومن يطع الله ورسوله

سورة آية فقد فاز فوزاً عظيماً ، أى ظفر بالخير ظفراً عظيماً سواء فى الدنيا أو فى الآخرة

(وقال تبارك اسمه فى بيان أن التقوى تكون سبباً فى تكفير السيئات وغفران الذنوب وتنوير البصائر حتى يمكن صاحبها أن يفرق بين الحق والباطل)

الأنفال ٢٩ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا
وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو
الْفَضْلِ الْعَظِيمِ

ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة

ترشد هذه الآية الكريمة الى ان اتقاء مخالفة أوامر الله تعالى واجتناب مناهيه سبب فى رضوان الله تعالى وجلب احسانه ولا جرم ان من رضى الله عنهم رزقهم من ثبات القلوب وتنوير البصائر وحسن الهداية ما يفرقون به بين الحق والباطل عند الالتباس وكفر عنهم ذنوبهم بأن يمحوها عنهم بالكفاية فلا يؤاخذهم عليها وغفرها بأن يسترها عن الناس وناهيك بمن رزق رضوان الله ومنح المزيد من كرامته فانه يفوز بالسعادة الابدية ويعطى الفضل الجسيم الجزيل لأنه جل شأنه صاحب الفضل العظيم

(ولما فى التقوى من صنوف البر وأنواع الخير قال جل ذكره أسرها وحائنا على طلب التقرب اليه بأنواع الطاعات مبينا ما يترتب على ذلك من الفلاح والسعادة)

المائدة ٣٨ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ
وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

سورة آية

ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة

ترشد هذه الآية الكريمة الى الوجوه المستجمعة لانواع الادب مع الله تعالى وهي ثلاثة
(الاول) اجتناب محارمه تعالى وترك نواهيه وهذا هو المراد من قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله »
(الثاني) طلب التقرب اليه بجميع أنواع البر والخير والطاعات والعبادات وترك المعاصي وهذا هو المراد من قوله تعالى « وابتغوا اليه الوسيلة »

(الثالث) مجاهدة النفس في سبيله تعالى وهو شرائعه التي شرعها وسنها لعباده وذلك بان يروضها على فعل الخيرات وعمل الطاعات ويكبحها عن الشهوات والمنهيات وقد وعد جل شأنه من تأدب بهذه الآداب فاجتنب محارمه وترك نواهيه وطلب التقرب اليه بالطاعات والعبادات وجاهد نفسه بكفها عن كل ما تشتهيه ومنعها عما تنبغيه بالفلاح والسعادة والفوز بالنعيم الدائم الخالد المستمر وذلك بقوله « لعلكم تفلحون »

ومن تتبع الايات القرآنية الآمرة بالتقوى والحاضرة على امتثال أوامر الله تعالى واجتناب محارمه والحائثة على وجوب طاعته والاثمار باوامره مما فيه اكمل الاداب وجدها كثيرة لا تكاد تحصى فاكتفينا منها هنا بالترز القليل ليقاس على الشاهد الغائب ولان ما ذكر فيه كفاية للمسترشد والمستفيد والله ولي الرشد والتسديد

الادب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

اعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم من تجب حرمة وتبجيله وتوقيره لانه صلى الله عليه وسلم هو السبب في هداية الخلق وارشادهم الى سعادتهم الدنيوية والاخرية ورفعهم من حضيض الشقاوة الى أوج السعادة واخراجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان مع مقاساته المشقات والمتاعب في ذلك وليس من العدل والمروءة أن

سورة آية يقابل صلى الله عليه وسلم تحياه ذلك بغير كمال التبجيل وتعام الاحترام والتعظيم والادب معه بكل وسائله سواء كان بالفعل أو بالقول ولما كان علو مقامه صلى الله عليه وسلم بالسكانة التي قلما يمكن لاحد أن يقوم بما يجب لها من الاداب بنفسه — سن الله سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين من الاداب ما به يعرفون كيف يعاملونه صلى الله عليه وسلم ويتأدبون معه سواء كان ذلك من جهة فعل ما يكرهه بين يديه وخصوصا اذا وجدوا معه في المجتمعات العمومية أو دخلوا بيته بغير اذنه — أو من جهة طاعته ولزوم متابعتة والنزول عند حكمه والرضا بقضائه أو غير ذلك ومن ذلك يتنوع الادب معه صلى الله عليه وسلم الى نوعين

النوع الأول

﴿ هو ما أفاده الله تعالى بقوله ﴾

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ^٣ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ

(ما تشتمل عليه هاتان الآيتان الكريمتان من صنوف الاداب معه صلى الله عليه وسلم)

تشتمل هاتان الآيتان الكريمتان على صنوف الاداب التي أدب الله بها عباده المؤمنين فيما يعاملون به رسوله صلى الله عليه وسلم من الاجلال والتعظيم والتبجيل والتكريم وذلك انه اذا كلمه احد منهم فن الادب ان لا يرفع صوته فوق صوته صلى الله عليه وسلم لان ذلك

يدل على قلة الاحتشام وترك الاحترام له صلى الله عليه وسلم لان خفض الصوت وعدم رفعه من لوازم التعميم والتوقير عادة — وان لا يجهر له بالقول كما يجهر لآخيه اذا كلمه لان ذلك انما يكون بين الاكفاء الذين ليس لبعضهم على بعض مزية توجب احترامه وتوقيره مع ما فيه من الجفاء في مخاطبته صلى الله عليه وسلم وعدم الادب معه ثم علل سبحانه وتعالى ما ذكره بقوله (ان تحبط اعمالكم وأنتم لاتشعرون) أى انما نهيناكم عن رفع الصوت عنده والجهر له فى القول كما يجهر أحدكم لآخيه اذا كلمه خشية ان يغضب من ذلك فيغضب الله تعالى لغضبه فيحبط عمل من أغضبه وهو لا يشعر ولا يدري ثم ندب سبحانه الى خفض الصوت ورغب فيه فقال (ان الذين يفضون اصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم) أى ان الذين يخفضون أصواتهم عند رسول الله اجلالا له وتمظيلا لولئك الذين أخلص الله قلوبهم للتقوى وجعلها لها أهلا ومحلا وكان جزاؤهم لذلك مغفرة وأجراً عظيماً (وقال تبارك اسمه فى تعليم عباده المؤمنين كيف يتأدبون مع رسوله صلى الله عليه وسلم لاسيما اذا وجدوا معه فى المجتمعات العمومية)

٦٢ النور
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ
إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

ماتشير اليه هذه الآية الكريمة

تشير هذه الآية الكريمة الى ما أُرشد الله اليه عباده المؤمنين من الآداب نحو الرسول عليه الصلاة والسلام فى حال ما اذا كانوا

سورة آية

مجمعين معه في أمرهم كالجمعة والجماعة والجهاد والتشاور في أمر وغير ذلك مما يدعو إلى الاجتماع من أنهم لا يتفرقون عنه صلى الله عليه وسلم ولا ينصرفون عما اجتمعوا لاجله الا بعد ان يستأذنه فينظرون بعد ذلك ما يأمر به من الانصراف او عدمه فان هم خالفوا ذلك وخرجوا دون اذن كان ذلك علامة نفاقهم وعدم ثبات ايمانهم لان الخروج من مجلسه صلى الله عليه وسلم بغير اذنه من علامات عدم الاكترات به وعدم مكانته في قلوبهم وعدم رغبتهم فيما اجتمعوا لاجله وذلك من أعظم الجنايات وأفظمها ولذا جعل جل شأنه استئذانه صلى الله عليه وسلم عند ارادة الانصراف من مجلسه من علامات كمال الايمان في قوله « ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله أي ومن لم يستأذن عند ارادة الانصراف فليس بكامل الايمان

ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك مخير بين الاذن وعدمه حسب مقتضيه المصلحة التي يراها وهذا معنى قوله تعالى له صلى الله عليه وسلم (فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم)

ومن الآية السكرية يؤخذ أدب الرؤس مع رئيسه وأدب المرید مع أستاذه وأدب المتعلم مع معلمه وأدب المصلين مع امامهم وأدب الرعية مع رعائهم فان مراعاة الادب معهم واعتبار حرمتهم من الواجبات فلا يبرمون أمراً دونهم ولا يرسمون لهم خطة الا اتباعوها ولا يأمرونهم بأمر الا بادرؤا بتنفيذه ولا ينصرفون من مجالسهم الا بعد استئذانهم وبالجمله يفعلون كل ما فيه تبجيلهم وتعظيمهم واحترامهم ويتركون كل ما فيه تحقيرهم واهانتهم والله ورسوله أعلم

وقال تعالى في النهي عن الدخول في بيوته صلى الله عليه وسلم بغير اذنه وبدون دعوة والمسكت بعد الاطعام وتكليم أزواجه بغير حجاب وتزوجهن بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ﴿

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ

يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا
دُعِيتُمْ فَأَدْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ
حَدِيثَ إِنْ ذَاكُمُ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ فَيَسْتَجِجِي مِنْكُمْ
وَاللَّهُ لَا يَسْتَجِجِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا
فَأَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَاكُمُ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ
وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا
أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَاكُمُ كَانَ
عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا

﴿ ما تفيد هذه الآية الكريمة وما اشتمل عليه من صنوف
الآداب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

تفيد هذه الآية الكريمة وجوب احترامه صلى الله عليه وسلم
وتوقيره وتمظيمه بما اشتملت عليه من الأحكام والآداب الشرعية
التي أدب الله بها عباده المؤمنين وأوجب عليهم رعايتها نحو مقامه
صلى الله عليه وسلم (وتشتمل على أربعة آداب)

(الأول) عدم جواز دخول بيوته صلى الله عليه وسلم بغير
إذنه لأن في ذلك اطلاعا على عورات منازلهم وعدم رعاية حقوق أزواجه
صلى الله عليه وسلم والتهجم عليهن في بيوتهن وربما كانت إحداهن
مكشوفة أحد الأعضاء ولذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره
ذلك ويتأذى منه كثيرا ولكن كان يكره أن ينهأهم عنه من شدة
حيائه كما قال تعالى (إن ذاكم كان يؤذى النبي فيستججى منكم والله
لا يستججى من الحق) وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله (يا أيها الذين

سورة آية

آمنوا لاتدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين
انه (أى منتظرين نضجه واستواءه فان ترقب ذلك وانتظاره لا يقع
الا من سفلة الناس وأدنيائهم

(الادب الثانى) انه اذا دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم الى
طعام فعليهم ان يبادروا الى اجابته والدخول عليه ولكن بعد الاذن
لهم به لان مجرد الدعوة لا يكون اذناً كافياً فى الدخول وعليهم بعد
ذلك اذا قضاوا غرضهم من الاكل والشرب ان لا يثقلوا بمكثهم بعد
الاكل يتحدثون ويتسامرون لما فى ذلك من التضييق على اهل
المنزل وهذا ما لم يكن مكثهم بعد الاكل لهم آخر يدعو اليه فانه لا بأس
به حينئذ وهذا الذى أفاده الله تعالى بقوله (ولكن اذا دعيتم فادخلوا
فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث) أى لا يسوغ لكم الدخول
بغير دعوة ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا دخلتم وأكلتم فتفرقوا
ولا تمكثوا يستأنس بكم بعض لاجل حديث يحدثه به

(الادب الثالث) عدم النظر الى أزواجه صلى الله عليه وسلم
واذا اضطر الى سؤالهن عن حاجة فليكن ذلك من وراء حجاب وستر
فان ذلك أظهر لقلبه وقلوبهن من الريبة وخواطر السوء التى تعرض
للرجال فى أمر النساء وللنساء فى أمر الرجال وهذا ما أفاده الله
تعالى بقوله (واذا سألتوهن متاعاً فاستلوهن من وراء حجاب ذلكم
أظهر لقلوبكم وقلوبهن) واذا كان هذا مع أزواجه صلى الله عليه
وسلم فأولى مع غيرهن

(الادب الرابع) عدم تزوج أزواجه صلى الله عليه وسلم بعد
وفاته أو فراقه لانهن أمهات المؤمنين ولا يحل للاولاد تزوج الامهات
وهذا الذى أفاده الله تعالى بقوله (وما كان لكم ان تؤذوا رسول
الله ولا ان تنكحوا أزواجه من بعده أبداً) وقد أشار الله تعالى الى
التغليظ فى ذلك وتشديد النكير على من ارتكبه بقوله (ان ذلكم كان
عند الله عظيماً) أى ان زواج أزواجه صلى الله عليه وسلم من بعده
كان عند الله ذنباً عظيماً وجرمًا هائلاً كبيراً

ثم اعلم ان هذه الآداب وان كانت بالنسبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة العمل والاتباع الا انه لا بأس أن تكون كذلك بالنسبة لنا لأن الله عز وجل ماذكر ذلك في القرآن الكريم الا ليرشدنا كيف يعامل بعضنا بعضاً ويتأدب بعضنا في حق بعض ومثل ذلك سائر القصص الموجودة في القرآن فانها انما تذكر على سبيل الاعتبار والارشاد الى ما كان عليه الامم الدائرة وما كان يفعله الله سبحانه معهم عند ما كانوا يطيعون أو يعصون أو غير ذلك والله ولى التوفيق

النوع الثانى

﴿ متابعته صلى الله عليه وسلم فى كل ما جاء به عن ربه والله ولى عند حكمه والرضا بقضائه ومن ذلك قول الله تعالى ﴾

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا

ما تفيد هذه الآية الكريمة

تفيد هذه الآية الكريمة بيان ما أرشد الله اليه عباده المؤمنين من الادب وحسن المعاملة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا حكم على احدهم بشئ فليس له ان يختار من أمره شيئاً بل يجب عليه ان يحمل رأيه تبعاً لرأيه عليه الصلاة والسلام واختياره تبعاً لاختياره حتى يكون بذلك مؤمناً حقيقة كما قال تبارك وتعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) وقد شدد الله سبحانه على من لم يرض بحكمه واختار غير ما اختاره صلى الله عليه وسلم بقوله (ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً) أى ومن يعص الله ورسوله فى

سورة آية أمر من الامور ومن ذلك عدم الرضا بقضائه وحكمه فقد ضل عن طريق الحق ضلالاً مبيناً واضحاً ظاهراً فان كان العصيان عصيان رد وامتناع عن القبول فهو ضلال كفر وان كان عصيان فعل مع قبول الامر واعتقاد الوجوب فهو ضلال خطأ وفسق وعلى كل حال فهو من الضلال وقلة الادب معه صلى الله عليه وسلم بحال لا يصح لمؤمن ولا مؤمنة ان يتلبس بها او يكون عليها

وقال تعالى في الارشاد الى وجوب متابعتة صلى الله عليه وسلم في كل ما أمر به أو نهى عنه وان من خالف ذلك فله العذاب الاليم والعقاب الشديد

وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا الحشر ٧

وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ

ما تفيد هذه الآية الكريمة

تفيد وجوب متابعتة صلى الله عليه وسلم في كل ما جاء به بفعل كل ما أمر به وترك كل ما نهى عنه وهذا مأفاده الله تعالى بقوله (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) أى مهما أمركم به من الطاعات وفعل الخيرات فافعلوه ومهما نهاكم عنه من الخباثات والمنكرات فاجتنبوه لانه انما يأمر بخير وانما ينهى عن شر ومن قلة الادب والحياء ان يعصى المرء من يأمره بما يعود عليه بالخير وينهاه عما يعود عليه بالشر والضير ولذا بعد ان أمر جل شأنه بمتابعة النبي صلى الله عليه وسلم في كل ما أمر به ونهى عنه أمر بتقواه وخوف من شدة عقوبته من يخالف أمره ويعصيه فقال (واتقوا الله ان الله شديد العقاب) أي امثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه لانه شديد العقاب لمن عصاه وارتكب ما عنه زجره ونهاه هذا والآيات القرآنية الدالة على وجوب متابعتة صلى الله عليه وسلم فيما أمر به ومجانبة ما نهى عنه كثيرة تكاد لا تحصى ومن أراد استقصاءها فعليه بالقرآن فهو الدواء الشافي والله ولى التوفيق ومنه الرشاد والهداد

سورة آية

أدب المرء في نفسه

اعلم ان أدب المرء في نفسه ان يكون في نفسه على احسن صفات الكمال وأجل الخلال فلا يصدر منه ما يوجب الذم واللوم ولا يقع منه ما يخل بالروءة او يقلل من قيمته او يخط من قدره فان وعد وفي وان او عن لم يخن وان تمكن من فعل محرم عفا عنه وكف وان رأى منكراً غيره وان تكلم غض من صوته وان مشى لم يختل في مشيته وان رأى كبيراً وقره وان مر بلفو من القول او الفعل تجنبه ان لم يقدر على دفعه وهكذا من كل خصلة حميدة وصفة جميلة وقد بين الله صنوف هذه الآداب على أكل وجه وأحسن حالة وافي ذاكر لك طرفاً منها بمعونته تعالى وحسن توفيقه

قال الله تعالى في بيان آداب غض البصر وحفظ الفرج وعدم التبرج بالزينات وعدم فعل أى شىء من دواعى الشهوة واثارة الفتنة سواء كان ذلك للرجال او للنساء ﴿

قُلِ الْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ٣١
وَقُلِ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ

آية سورة
النور ٣١
الرِّجَالِ أَوْ الْطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ
وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتَوْبُوا
إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا آيَةُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ

ما ترشد اليه هاتان الآيتان الكريمتان

ترشد هاتان الآيتان الكريمتان الى بيان اكل الآداب التي
يجب على كل من الرجال والنساء ان يتخلقوا بها ويتجملوا بمجلاها
وهي بالنسبة للرجال ان يفضوا أبصارهم عن النظر الى ما لا يحل النظر
اليه من أجنبية غير محرم لهم لاسيما اذا مشوا في الطرقات او في غيرها لان
العين مبدأ الزنا والنظر يزرع في القلب الشهوة التي هي مجلبة لساثر المفسد
والمنكرات ولذا نهى صلى الله عليه وسلم عن الجلوس على الطرقات لانه
لا يخلو الجالس عليها من النظر الى ما لا يحل النظر اليه غالباً بقوله
(اياكم والجلوس على الطرقات قالوا يا رسول الله لا بد لنا من مجالسنا
نقعد فيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ايتم فأعطوا الطريق
حقه قالوا وما حق الطريق يا رسول الله قال غض البصر وكف الأذى
ورد السلام والامر بالمعروف والنهي عن المنكر) وان يحفظوا فروجهم
من التعدي على عرض الغير وان يمتنعوا أنفسهم من النظر اليها وهذا
ما أفاده الله تعالى بقوله (قل للمؤمنين يفضوا من أبصارهم ويحفظوا
فروجهم) ثم بين جل شأنه الحكمة التي من أجلها امروا بذلك
متوعداً من يخالف أمره ويتعدى حدوده بقوله (ذلك أذكى لهم
وأطهر ان الله خير بما يصنعون) أي ما ذكر من الغض والحفظ أطهر
لهم من دنس الريبة وأطيب من التلبس بهذه الدنيئة وعليهم بعد علمهم
ذلك ان يراقبوا الله فيما به أمر ويتركوا ما عنه نهى وزجر لانه جل
شأنه خير بما يصنعون فيجازهم عليه

وأما هذه الآداب بالنسبة للنساء فهي ان يفضضن أبصارهن
ويعتصمنها النظر الى غير أزواجهن — وان يحفظن فروجهن من الزنا

ومن رؤية أحد لها ولا يظهرن شيئاً من زينتهن للاجانب الا مظهر سورة آية منها ولم يمكن اخفاؤه كالرداء والثياب الظاهرة - وان يلقين على صدورهن ونحوهن مقانع ليسترنها عن أعين الناظرين فلا يرون منها شيئاً - ولا يبدن زينتهن الا لازواجهن او آبائهن او أبناء أزواجهن او أبناءهن او اخواتهن او بني اخواتهن او بنى اخواتهن او نساءهن المختصات بهن لخدمة او صحبة بشرطان يكن مسلمات لان غيرهن من الكوافر لا يتخرجن من وصفهن للرجال وذلك يجر الى الفسدة او ماملكت ايمانهن من الاماء او الاجراء والاتباع الذين لا حاجة لهم الى النساء ولا الى شهوتهن او الاطفال الذين لا يعرفون ما العورة ولا يميزون بينها وبين غيرها فهو لاء لا بأس من اظهار الزينة لهم لعدم توقع حصول ضرر منهم وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله (وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدن زينتهن الا مظهر منها وليضرن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدن زينتهن الا لبعولتهن او آبائهن أو آباء بعولتهن او أبناءهن او بناتهن او اخواتهن او بني اخواتهن او نساءهن او ماملكت ايمانهن او التابعين غير اولى الاربة من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء)

وقد شدد الشارع الحكيم في عدم ابداء الزينة للنساء لما يعلم ما يترتب على ذلك من المفسدة والفسدة حتى نهى المرأة عن ان تضرب برجلها الارض ليعلم ما خفي من زينتها كالتخلخل ونحوه فقال (ولا يضرن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) ومثل ذلك ما لو كان شيء من زينتها مستوراً فتحركت بحركة لتظهر ما خفي منه او ان تنعطر وتنطيب عند خروجها من بيتها فيشم الرجال طيبها وكذا لبس الاغطية التي يتخذها مترفات النساء في زماننا من الحرير الاسود على اختلاف أصنافه وتنوع أشكاله وما فيه من الثنيات في الوسط والاسفل فان ذلك كله داخل تحت هذا النهي لما فيه من الفسدة والمفسدة وقد عمت البلوى بذلك ومثله ما عمت به البلوى ايضاً من عدم احتجاب اكثر النساء عن اخوان أزواجهن وعدم مبالاة أزواجهن بذلك وكثيراً

سورة آية ما يأمرونهن به فان ذلك كله مما لم يأذن به الله ورسوله وأمثال ذلك كثير ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
ولما كانت أوامر الله تعالى ونواهيها في كل باب لا يكاد العبد الضعيف يقدر على مراعاتها وان ضبط نفسه واجتهد فلا يخلو من تقصير يقع منه فلذلك وصى الله المؤمنين بالتوبة فقال (وتوبوا الى الله جميعاً أيه المؤمنون لعلكم تفلحون) أي افعلوا ما أمركم به من الصفات الجميلة والاخلاق الجليلة واتركوا ما أنهاكم عنه من الاخلاق والصفات الرذيلة فان الفلاح كل الفلاح في فعل ما أمر الله ورسوله به وترك ما نهى عنه وحذرا منه

(وقال تبارك اسمه يعلمنا من الآداب أحسنها ومن الاخلاق أجملها واكملها من إقام الصلاة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر وعدم الاعراض عن الناس احتقاراً لهم واستكباراً عليهم واستعمال الحد الوسط في المشي وعدم المشي في الارض على سبيل العجب والكبر وعدم رفع الصوت عند التكلم حاكياً ذلك عن لقمان عليه السلام يوصي ابنه)

لَقْمَان ١٧ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ١٨ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ١٩ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَانْغُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ أَسْوَاتُ الْخَمِيرِ

(ما تشتمل عليه هذه الآيات الكريمة من الوصايا النافعة والآداب الفاضلة) تشتمل هذه الآيات الكريمة على أهم مكارم الاخلاق وأعظم صفات الكمال على الاطلاق وذلك - من إقام الصلاة التي من أقامها

على الوجه الشرعى من الخشوع والخضوع والتعظيم والحياء والذلة سورة آية والاستكانة لازم الادب قلبه والخشية جوارحه ونهته عن الفحشاء والنكر وذلك غاية الادب ونهاية مكارم الاخلاق — ومن الامر بالمعروف والنهى عن النكر وذلك من لقمان عليه السلام لابنه من باب تذليل النفس ورياضتها لاقبالها على الطاعات ونبذها للمنكرات بلطف وهذا شأن العلم الحكيم فان من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر تستنكف نفسه وتكره ان يراه الناس حيث نهاهم فيفعل الملبح ويحجب القبيح من حيث لا يشعر فضلاً عما يترتب على الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من ارشاد الخلق الى مافيه صلاح حالهم واستقامة أحوالهم وانتظام شؤونهم

ولما علم لقمان عليه السلام بما أوتيته من الحكمة والاصابة فى الراي ان الأمر بالمعروف الناهى عن المنكر لا بد ان يقابل من المأمورين والمنهين بأذى كثير لانه انما يأمرهم بفارقة مآمات اليه اهوؤهم وألفته نفوسهم وتعلقت به رغائبهم ومفارقة ذلك أصعب شئ على النفس أمر ابنه مع ذلك بالصبر على اذاهم وتحمل الآلام والمشقات التى تحصل له فى سبيل ذلك وبين له ان الصبر على ذلك من عزم الامور حيث قال (واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور)

ولما كان الأمر بالمعروف الناهى عن المنكر يجب ان يكون متصفاً باحسن صفات الكمال من الادب والتواضع والحلم وعدم التكبر على الخلق وعدم احتقارهم والاستخفاف بهم حتى يكون ذلك سبباً فى قبول أمره ومجانبة نهيه أمر لقمان عليه السلام ابنه بما يجمع هذه الخصال فقال (ولا تصغر خدك للناس) اى لا تعرض عنهم بوجهك اذا كلمهم او كلوك احتقاراً منك لهم واستكباراً عليهم بل ألق جانبك لهم وتواضع لصغيرهم وكبيرهم واجلب محبتهم اليك بحسن صنيعك معهم ولطف معاملتك لهم فانهم بذلك ينتظرون لك أمراً فيتبعونه او نهياً فيجتنبونه وبعد ان بين عليه السلام كيف يصانع الناس ويعاملهم ويعاشرهم

سورة آية

أخذ يبين له ما يجب ان يكون هو عليه في نفسه من الاخلاق الفاضلة والصفات الكاملة من عدم المشي خيلاء على سبيل العجب والكبر مبيناً له أن ذلك يغضب الله تعالى. ومن استعمال الحد الوسط في المشي ومن غض الصوت وعدم رفعه عن الحاجة عند التكلم فقال (ولاتمش في الارض مرحاً ان الله لا يحب كل مختال فخور واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الاصوات لصوت الحمير) اى اذا مشيت في الارض فلا يكن مشيك خيلاء لان الله ييغض من هذه حالته واذا مشيت فليكن مشيك لا بالبطىء المتشبط ولا بالسريع المفرط واذا تكلمت فاخفض صوتك ولا ترفعه زيادة عن الحاجة فان الجهر باكثر من الحاجة مما يضر بالسامع ويؤذيه ولان صوته بذلك يكون منكراً يشبه صوت الحمير الذى هو اقبح الاصوات وأنكرها كما قال جل شأنه (ان أنكر الاصوات لصوت الحمير) والله اعلم (وقال تعالى في بيان ما أرشدنا اليه من الاخلاق الفاضلة والصفات الكاملة من عدم السخرية بالناس وترك اللمز والتناز بالالقاب وسوء الظن بالناس والتجسس والغيبة)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ^{١٢} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا

الآية

سورة آية
١٢

فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ

ما ترشد اليه هاتان الآيتان الكريمتان

ترشد هاتان الآيتان الكريمتان الى ما علمنا الله من الصفات الحسنة والاخلاق المستحسنة وهى ان لا يسخر احد باحد ويستخف به ويستحقره وان لا يعيب احد على احد بشئ يكرهه وان لا يدعو احد أخاه بلقب يكرهه وان لا يسمى ظنه بأحد من اخوانه المؤمنين وأن لا يبحث ويفتش عن عورات المسلمين ومعاييمهم ويستكشف ما ستروه وان لا يذكر أخاه بما يكرهه فى غيبته فان ذلك كله مما نهى الله عنه ورغب فى التباعد منه

فنهى عن السخرية بالناس والاستخفاف بهم بقوله (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن) أى لا يصح أن يستهزئ أحد باحد ولا يحقره ولا يستخف به سواء كان من الرجال أو النساء للجرد انه رآه رث الهيئة أو فقيرا أو ذا عاهة فى بدنه أو غير ذلك لانه ربما كان المسخور به عند الله خيرا من الساخر فيكون الساخر قد ظلم نفسه بتحقيق من وقره الله تعالى والسخرية انما تحرم اذا كانت فى حق من يتأذى بها أما من جعل نفسه سخرية وربما فرح بها كما يفعله السفلة من الناس كانت السخرية فى حقه من جملة المزح وليس بمحرم

ونهى عن أن يعيب أحدا غيره بقوله (ولا تلمزوا أنفسكم) أى لا يعيب بعضكم بعضا بقول أو فعل أو إشارة لان المؤمنين كنفس واحدة فتى عاب المؤمن المؤمن فكأنما عاب نفسه وهذا أدب كبير أدب الله به عباده المؤمنين ليكون سببا فى الفهم واتحادهم وارتباط قلوبهم

ونهى عن أن يدعو أحد أخاه بلقب يكرهه بقوله (ولا تنازوا بالألقاب) أى لا يدع أحد أخاه بلقب يكرهه لان ذلك يزرع فى

سورة آية

القلوب الضعيفة ويمكن فيها الحقد والبغض وهو مما جاء الشرع الشريف بازالته ولذا سمي جل شأنه التناز بالالقاء الذي هو داعية الحقد والبغض فسقا وذمه بقوله (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) ونهى عن كثير من سوء الظن بالناس بقوله (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم) والمراد بالظن المنهى عنه مجرد التهمة التي لا سبب لها ويشترط في حرمة هذا أن يكون المظنون به ممن شوهد منهم التستر وعهد فيهم الصلاح والامانة أما من يتعاطى الرب وبجواهر بالفجور والمنكرات كالدخل والخروج الى حوانيت الخمر وصحبة الغواني الفاجرات فلا يحرم سوء الظن فيه

ونهى عن البحث والتفتيش عن عيوب الناس وعوراتهم بقوله (ولا تجسسوا) أى لا تبحثوا عن عورات المسلمين ولا تستكشفوا عما ستروه فان في ذلك فضيحة لهم وتعرضا لما لا يعنى ولا يفيد ونهى عن أن يذكر أحد أخاه بما يكرهه في غيبته بقوله (ولا يفتب بمضمك بمضا يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه) أى لا يذكر بمضمك بمضا بما يكرهه في غيبته سواء كان ذلك باللسان أو بالفعل أو بالإشارة أو بالكتابة أو غير ذلك مما يفيد المقصود ويفهم نقصان الغير وتعريفه بما يكره فان علة النهي عن الغيبة الايذاء بتفهم الغير نقصان المقتاب وهو موجود حيث أفهم الغير ما يكرهه المقتاب بأى وجه كان من طرق الافهام

وسواء كان ذلك الشيء المكروه الذى يذكره به نقصا في بدنه أو نسبه أو خلقه أو في فعله أو في قوله أو في دينه أو في دنياه حتى في ثوبه وداره وماله وولده وزوجته ومملوكه وخادمه وغير ذلك من كل ما يتعاق به

فذلك كله مما كرهه الله ونهى عنه حتى جعل المقتاب كأنه يأكل لحم أخيه ميتا — ذلك الامر المستبشع طبعيا وعقلا وشرعا ومحل حرمة الغيبة اذا لم يكن المقتاب مجاهرا بالمعاصي منهتكا لا يبالى بما يفعل فان

الفية في مثله جائزة وذلك لان الذي يعلن بالفجور والفسوق ولا
يستحي من عصيان الخالق ولا يستتر عن المخلوق فيما يأتي من الكبائر
ويظهر من الفضائح والناكر قد كشف استاره وابدى عواره فخرج
من حد الظن الى حد اليقين فمثل ذلك ليس هو المقصود من النهي
والله أعلم

وبعد أن أمر جل شأنه بترك هذه المنهيات حث على التقوى
فقال (واتقوا الله) ثم علل الامر بالتقوى بقوله (ان الله تواب رحيم)
أي كثير التوبة لمن اتقاه واجتنب ما نهى عنه وقاب مما فرط منه
﴿ وقال جلست حكيمته في النهي عن الفحش والسب والشتم وبذاءة
اللسان والجهر بالسوء من القول ﴾

لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ النساء ١٤٧
وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا

ما يؤخذ من هذه الآية السكرية من الآداب والفضائل
يؤخذ من هذه الآية السكرية النهي عن البذاءة باللسان والجهر
بالسوء من القول سواء كان ذلك القول السيئ شتماً أو سباً أو لعناً
أو مهراً أو خصومة أو ذماً في حق الغير أو غير ذلك مما يدل على
حقارة قدر صاحبه ودناءة نفسه وقلة حياته وسوء تربيته
ولما كان الجهر بالسيئ من القول بهذه المكانة من القبح عبر الله
عن النهي عنه بما يفيد شدة قبحه وزيادة نكره فقال (لا يحب الله
الجهر بالسوء من القول) ولم يقل ولا تجهروا بالسوء من القول أي
وحيث كان مبغضاً لله وغير مرضي له فهو أولى الاشياء المنكرة
بالاجتناب وأحقها بالترك والاستبعاد

ثم استثنى جل شأنه من بغضه للجهر بالسوء من القول جهراً من
ظلم بأن يدعو على ظالمه أو يتظلم منه أو يذكره بما فيه من سوء

سورة آية لانه انما يستغيث ليغات ويستجير لينجد ويذكره بسوء لعله يرد عليه ظلامته او لان المظلوم مصدور وهو لا بد ان ينفث وهذا ما لا بد منه من طريق الفطرة فرخص الشارع له ذلك

وفي ذلك دلالة على قبح الظلم والظالم وعدم نظر الله له وعدم اعتبار حرمة وعلى احتقاره له جل شأنه حتى رضى عن مذمة الجهر بالسوء من القول فى حقه ثم أخذ جل شأنه يتوعد من يجهر بالسوء من القول فقال (وكان الله سميعاً عليماً) أى سميعاً لما تقولونه من القول السيئ عليماً به فيجازيكم عليه

آداب المعاملة والمعاشرة مع صنوف الخلق

هى ان يعاملهم برفق ولين ويخفض جناحه للكبير منهم والصغير ولا يخاطب احداً بغلظة ولا يتكبر ولا يتعظم على احد منهم ويستجلب محبتهم بمكارم أخلاقه وحسن معاملته واطف صنيعه ولا يكثر المراء والخصومة معهم وان يبتدر من يعرف ومن لا يعرف بالتحية واذا حياه غيره بتحية ردها بعينها او بأحسن منها وان يلقى غيره بالبشاشة والبشر وطيب الكلام وحسن الاخلاق والأدب وان لا يسهفه عليهم ولا يؤذيهم بقول او فعل وان يعفو عن من ذنبهم ويصفح عن تائبهم ويتودد اليهم بكل وسائل انواع التودد وان لا يمد أحداً منهم بوءد الا وبنى به وان يكرم حديث اخيه بالانصات اليه وحسن الاقبال عليه وان يفسح للقادم عليه ويوسع له المكان ويجلس بين يديه بغاية الأدب والسكون والوقار وان لا يمتخط ولا يبتئاب بحضرة من هو اكبر منه سناً او فضلاً وان اضطر الى ذلك حول وجهه وامتخط فى متدبل او وضع على فمه يده او منديلا وان لا يضع رجلا على رجل بحضرة من هو أكبر منه من قريب او أجنبي الى غير ذلك من الاخلاق الفاضلة والصفات السكاملة

وقد جاء القرآن الكريم مبيناً لهذه الآداب على أحسن وجه

واكمله مرشداً الى ما يجب التخلق به ويلزم استعماله في معاملة الخلق سورة آية
من كل ما يجلب رضاهم ومحبتهم لبعضهم فتتحد كلمتهم وتتألف جماعتهم
ويسمون لانفسهم فيما يجلب لهم الخير ويدفع عنهم الشر والضير وانى
ذاكر لك طرفاً من ذلك بمعونة الله تعالى وحسن توفيقه
(فما حث عليه في القرآن مقابلة الاساءة بالاحسان والذنب
بالغفران والغضب بالحلم والغيظ بالكظم مع بيان الثمرة المترتبة على
ذلك وفضل من اتصف بهذه الخصلة الحميدة فقال)

وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ
حَمِيمٌ^{٢٤} وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا
ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ

ما ترشد اليه هاتان الآيتان الكريمتان

ترشد هاتان الآيتان الكريمتان الى بيان ما أمر الله به من حسن
المعاملة مع صنوف الخلق الصغير منهم والكبير فان أغضبه صبروا
جهلوا عليه حلم وان أساءوا اليه عفى عنهم وان أذنبوا في حقه ذنباً
غفره فان فعل ذلك صار العدو له حبيباً والبعيد عنه قريباً وهذا
ما أفاده الله تعالى بقوله (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي
هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) أى ان الحسنة
والسيئة متفاوتتان في أنفسهما فخذ بالحسنة التي هي أحسن من أختها
وادفع بها السيئة التي تعرض عليك كما لو أساء اليك رجل اساءة
فالحسنة أن تعفو عنه والتي هي أحسن ان تحسن اليه مكان اساءته اليك
مثل أن يذمك فتمدحه ويشتمك فتمطيه جائزة فانك ان فعلت ذلك
وأحسننت اليه من حيث أساء اليك قاده احسانك عليه الى مصافاتك
ومحبتك حتى يصير كأنه ولي حميم أى قريب اليك من الشفقة عليك

سورة آية

ثم أخذ جل شأنه يمدح من اتصف بهذه الصفة فقال (وما يلقاها
الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) أي وما يقبل هذه
الوصية ولا يعمل بها الا من اتصف بالصبر وثبات القلب وقوة العزيمة
لانها من الامور الشاقة على النفس والا ذو نصيب وافر من السعادة
في الدنيا والآخرة فما أعظم هذه المكافآت وما أجل من يتحلى بها
(وقال جل ثناؤه يعلمنا حسن المعاملة مع بعضنا ويرشدنا الى
أهم أسباب المودة والمحبة من التحية والسلام وحسن الرد)

النساء ٨٥

وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَجَهِتْوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها

إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا

(معنى الآية الكريمة وما اشتهت عليه من الأدب

وحسن المعاملة)

يقول الله تعالى ارشادا لعباده المؤمنين وتعالما لأمة نبيه محمد
صلى الله عليه وسلم (وإذا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَجَهِتْوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها)
أي اذا سلم عليكم المسلم فردوا عليه بأفضل مما سلم عليكم فان قال لكم
السلام عليكم فقولوا له وعليكم السلام ورحمة الله وان قال السلام
عليكم ورحمة الله فقولوا له وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته وليس
في السلام زيادة على ذلك أو ردوا عليه بمثل ما سلم عليكم واقتصروا
على مثل اللفظ الذي جاء به لانه جل شأنه محاسب على كل شيء من
أعمالكم ومن ذلك التحية والرد ومن تأمل قليلا فيما يترتب على البداءة
بالتحية وحسن الرد من التوادد والتحاب بين المسلمين وما يترتب على
ذلك من جلب رضاهم ومحبتهم لبعضهم فتجد كلهم وثنائهم جامعة
علم حكمة الشارع الحكيم في مشروعية هذه الآداب ومكارم الاخلاق
وما يرمى اليه غرضه منه

(وقال تعاليت أسأله يعلم نبيه صلى الله عليه وسلم محاسن الآداب
ومكارم الاخلاق وحسن المعاملة مع صنوف الخلق سواء المطيع منهم
والعاصي)

وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ٢١٦
فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ

ما ترشد اليه هاتان الآيتان الكريمتان

ترشد هاتان الآيتان الكريمتان الى بيان ما أرشد الله اليه نبيه
عليه الصلاة والسلام من كيفية معاملته لمن اتبعه من المؤمنين ومن
عصاه منهم فقد أمره ان يلين جانبه ويتواضع للمؤمنين لان ذلك أدعى
الى اجتماع كلهم عليه ومحبتهم له وقيامهم بنصرتهم وسعيهم في اعلاء
كلمته كما أمره ان يحمل المعاملة ويحسن الصنيع مع من خالفه ولم
يتبعه لما في ذلك من محبتهم له وعدم نفورهم منه وربما كان ذلك سبباً
في رجوعهم عن معصيته وعدولهم عن مخالفته الى طاعته وهذا منه
جل شأنه له عليه الصلاة والسلام من التدبيرات الالهية والسياسات
الشرعية التي يجب على كل من قام بالدعوة ليرشد الناس ويهديهم ان
يكون متخلياً بها متخلياً بحلاها

وقد بين جل شأنه لنبيه عليه السلام كيفية معاملته لمن خالفه
وعصاه بقوله (فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون) أي فان
عصوك فقابلهم باللطف والحنو عليهم ولا تعافهم ولا تقس عليهم في
المعاملة وغاية ما تقابلهم به ان تبرأ من عملهم وهذا نهاية مكارم
الاخلاق وحسن المعاملة

والآية الكريمة وان كان المأمور فيها بخفض الجناح واستعمال
اللين واللطف وحسن المعاملة هو خصوص رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا ان الامر يسرى لامته ولاتباعه بطريق التبع لان كل أمر

سورة آية له أمر، لأمره ما لم يرد نص مخصوص وعليه فيجب على كل منا ان يعامل جميع الناس بالرفق واللين والتواضع ويستجلب محبتهم اليه بمكارم أخلاقه وحسن معاملته ولطف صنيعه سواء المحسن منهم والمسيء فان ذلك أدعى لأعانتهم له وقت الشدة واغاثتهم له وقت الحاجة ونصرتة وقت الضيق والله ولي التوفيق

(وقال تبارك وتعالى يعلم نبيه صلى الله عليه وسلم لطف المعاملة وحسن المعاملة مع اليتامى الأذلاء والفقراء الضعفاء ولنا فيه صلى الله عليه وسلم الاسوة الحسنة والقُدوة المستحسنة)

فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ^{١٠} وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ^{١١}
وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ

ما يؤخذ من هذه الآيات الكريمة

بؤخذ من هذه الآيات الكريمة وجوب حسن المعاملة ولطف المجاملة مع هذين الصنفين من الناس وهما اليتيم الذي فقد أباه وهو صغير والسائل الذي ألجأته الحاجة والفاقة الى ذل السؤال وتكفف الناس

لحسن المعاملة مع اليتيم أن لا يقهره ولا يفضبه وان لا يأخذ منه حقاً هو له وان يكون له كالأب الرحيم للولد البار فيسعى في نماء ماله ان كان له مال وفي تعليمه وتربيته ويحسن كفالاته فلا يذله ولا ينهره ولا يهينه ولا يفعل به اى أمر يكدره أو يحصل له منه ضرر

وانما وصى جل شأنه على اليتيم هنا وفي مواضع كثيرة من القرآن الكريم لان اليتيم الذى مات أبوه المتكفل بحسن تربيته وتعليمه ونجاحه والقائم بتدبير حالته المعاشية والنظر فى كل ما يجلب له الخير ويدفع عنه الشر والضرر اذا لم يجد من يقوم له بما كان يقوم له به أبوه ولم يبحث جل شأنه على الوصاية وحسن العناية به فلا شك ينشأ على الاخلاق الفاسدة والطباع الرذيلة فيكون بذلك كلا على الهيئة

الاجتماعية بل وعلى نفسه وعائلته بل والناس أجمعين فلعل هذا والله سورة آية أعلم سر عناية الرب جل جلاله بالوصاية على اليتيم والترغيب في حسن كفالاته

وحسن المعاملة مع السائل تكون اما باجابة ما سأله والنصح له مع عدم التكبر والتجبر والفحش في القول واطهار الفضل عليه ان كان سائلا عن علم - واما باعطائه سؤاله أو رده بلطف ولين وتعطف به ان كان محتاجا يسأل ما يسد به رمقه لانه لا يصح مع ذل السؤال الذى اضطرته اليه الفاقة أن تكون معه الفظاظة والكبر والغلظة من المسؤل على انه لا يحسن بعقل أن يتقلب في نعمة ولا يرى من الشكر عليها أن يمنح أخاه المؤمن وهو يسأله مما منحه الله من العلم مع انه لا ينقصه شيئا أو أن يمنعه شيئا طفيفا لا يؤثر في ثروته ولا ينقص مما عنده من المال شيئا فان لم يمنحه ما سأله من العلم أو المال مع عدم تأثير ذلك في ثروته فذلك من زمانة في مروءته وخسة في طبعه والله أسأل أن يرشدنا الى اتباع سنته والتخاطب بأدابه انه سميع الدعاء كثير العطاء

(وقال جل ذكره يحث على حسن المعاملة مع الناس بالعفو عن مذنبهم والصفح عن تائبهم)

وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة

ترشد هذه الآية الكريمة الى وجوب صلة الرحم والاقرباء معها اقترفوا من الذنب وأن لا يكون ما فعلوه سببا في أن يأتلي أولو

سورة آية

الفضل والسمة والغنى أى يحلفوا أن يمنعوه ما كانوا يحسنون به عليهم ولتكن معاملتهم مع ذلك بالعفو عن ذنبهم الذى أذنبوه وجناباتهم التى اقترفوها والصفح عن تائبهم بالاغضاء عنه والاغماض عن جنابته فإن ذلك سبب لعفو الله تعالى ومغفرته كما قال تعالى مرغباً فى الصفح والعفو حاثاً عليهما (ولعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم)

هذا والآيات القرآنية الدالة على محاسن الآداب ومكارم الاخلاق وحسن المعاملة ولطف المصانعة والمجاملة مع صنوف الخلق كثيرة لا تكاد تحصى فمن ذلك غير ما ذكر قوله تعالى لموسى عليه السلام وأخيه هارون عند ما أمرهما أن يذهبا الى فرعون ليدعوا الى عبادة الله تعالى (اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى) فتراد أمرهما أن يستعملا معه اللين فى القول ويلطفاه لعله بسبب ذلك يقبل قولهما ويحبب طلبهما ومن ذلك قوله لنبى محمد صلى الله عليه وسلم (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين) وغير ذلك فى القرآن كثير قد اقتصرنا منه على هذا النذر اليسير ليقاس على الشاهد الغائب والله ولى التوفيق

الأدب فى الزيارة

اعلم ان الانسان خلق مدنيا بالطبع لا يمكنه أن يعيش منفردا بل لابد له من مخالطة أبناء جنسه والمعاملة معهم والتودد لهم ولما كانت الزيارة وتودد الناس الى بعضهم من أقوى أسباب المحبة وامتزج روابط المودة لتبادل المنافع العمومية فيما بينهم التى هي من ضروريات المعيشة للانسان وللإفادة والاستفادة كان من المستحسن بيان ما لها من الآداب والشروط حتى تأتى بالفائدة المقصودة منها اذ كثيرا ما تكون الزيارة سببا فى تفرق الاصدقاء ونبد الصحبة بين المتصاحبين اذا فقد شرطها أو اختسل أدب من آدابها كأن يدخل الزائر بيت الزور بغير

اذنه أو يدخل بآذنه ولكن يشخص ببصره نحو نوافذ البيت وأبوابه سورة آية
الى غير ذلك مما يخالف الآداب ويرمي بصاحبه الى مهواة العذاب
لذلك جاء القرآن الكريم وهو المعلم الاول والمرشد الاكبر
ببيان آداب الزيارة وما يجب أن يكون عليه صاحبها من الآداب
والكلمات

﴿فَمَنْ ذَلِكَ عَدِمَ الدُّخُولَ فِي بَيْتِ أَحَدٍ إِلَّا بَعْدَ اسْتِئْذَانٍ مِنْهُ
بِالدُّخُولِ مَا لَمْ يَكُنْ يَتَنَاغِيرُ مَسْكُونٍ فِيهِ مَتَاعٌ لَهُ فَلَهُ أَنْ يَدْخُلَهُ بِدُونِ
اسْتِئْذَانٍ وَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ﴾

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ
حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَدْخُلُونَ فِيهَا فِي أَرْجَاءٍ فَالَا تَدْخُلُوهَا
حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا
فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ
لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ
فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ

ما ترشد اليه هذه الآيات الكريمة

ترشد هذه الآيات الكريمة الى بيان ما أدب الله به عباده المؤمنين
إذا زار أحدهم الآخر فبين جمل شأنه انه لا يصح لأي شخص ان
يدخل في بيت لا يملكه الا بعد أن يسلم على أهله ويستأذن منهم في
الدخول فيقول السلام عليكم أَدْخُلْ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ أَحَدًا فِي الْبَيْتِ أَوْ وَجَدَ
وَقَالَ لَهُ ارْجِعْ فَلْيَرْجِعْ مِنْ غَيْرِ مَعَاوِدَةٍ اسْتِئْذَانٍ مَرَّةٍ أُخْرَى وَعَلَيْهِ
بعد ذلك ان ينصرف فان ذلك خير له وأفضل لما فيه من البعد عن

سورة آية

الريبة والتهمة بالمشكر وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا) أى تستأذنوا (وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فان لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أذكى لكم والله بما تعملون عليم) وهذا اذا كانت البيوت معدة لسكنى أناس مخصوصين أما اذا كانت معدة ليدخل فيها كل من له حاجة تقصد منها كالفنادق وبيوت التجار وحواليهم التي في الاسواق فمثل هذه لا بأس من الدخول فيها بغير استئذان وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله (ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون)

وانما نهي جل شأنه عن الدخول في بيوت الغير بغير استئذان لان من في البيت من النساء عادة عند ما يامن دخول أحد عليهن ربما كشفن ما لا يحل كشفه لقريب فضلا عن غريب فاذا دخل بغير استئذان كان ذلك داعية الاطلاع على عوراتهن وهو ما تأباه المروءة . ولان في الدخول بغير استئذان تصرفا في ملك الغير بغير اذنه وهو ممنوع وعليه اذا استأذن وقيل له من أنت ان لا يقتصر في الجواب على قوله (انا) لان ذلك لا يفيد العلم به والمقصود علم صاحب البيت به حتى يرى ان له رغبة في دخوله أو مقابلته او لا يرى ذلك على انه لا يحصل المقصود من الاستئذان المأمور به في الآية الا مع التصريح باسمه والله أعلم

وقال تبارك اسمه في بيان انه اذا دخل أى شخص في أي بيت سواء كان له او لغيره عليه ان يسلم على أهل ذلك البيت ﴿

فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ

النور ٦١

عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ

ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة

ترشد هذه الآية الكريمة الى بيان ما أدبنا الله به من الآداب

الشرعية والاخلاق الطاهرة الزكية من أنه اذا دخل أحدنا بيته أو سورة آية بيت غيره سلم على أهل ذلك البيت الموجودين فيه ان كان مسكوناً فان كان غير مسكون سلم على نفسه غير انه ان دخل بيت غيره أصحب السلام بالاستئذان كما في الآية المقدمة وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله (فاذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة) أى فاذا دخلتم أى بيت سواء كان لكم أو لغيركم كما يقتضيه العموم فى الآية فسلموا على أنفسكم أى على أهله الذين هم بمنزلة أنفسكم ان كان مسكوناً أو على أنفسكم حقيقة ان كان غير مسكون تحية من عند الله أى ثابتة بأمر الله تعالى مشروعة من لده مباركة أى كثيرة البركة والخير طيبة لان بها تطيب نفس المستمع وفى وصف التحية بأنها من عند الله وأنها مباركة وأنها طيبة ترغيب فيها وحث على فعلها حسب أمره جل شأنه

وقال تبارك اسمه فى وجوب استئذان المالك والخدم والاطفال الذين لم يبلغوا الحلم عند ارادة الدخول على مخدوميه وآبائهم فى ثلاثة أوقات من الليل والنهار ووجوب استئذان الاطفال اذا بلغوا الحلم فى جميع الاوقات وان لم يكن هذا من قبيل الزيارة التى معنا الا ان له بها تعلقاً وارتباطاً وشديد مناسبة

(يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوائف منكم عليكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم) أى يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا عليكم مما يليكم وخدمكم واولادكم الذين لم يبلغوا الحلم فى هذه الاوقات الثلاثة التى هى قبل صلاة الفجر ووقت القيلولة حين تنجردون من ثيابكم من شدة حر الظهيرة وبعد العشاء الا اذن لان هذه الاوقات

سورة آية هي التي تكون فيها العورة اما في غير هذه الاوقات فلا بأس أن يدخلوا عليكم بدون استئذان لانهم طوافون عليكم في الخدمة وقضاء حوائجكم الضرورية ولوازمكم المنزلية ويغتفر في الطوافين بحكم الضرورة ما لا يغتفر في غيرهم . أما الصبي اذا بلغ فلا تمكنوه من الدخول عليكم الا بعد الاذن والله أعلم

الأدب في المجالسة

هو ان يوسع لجليسه اذا أقبل عليه ولا يضيق عليه وان يجلس بين يديه بغاية الأدب والسكينة والوقار اذا كان اكبر منه سناً او علماً وخصوصاً اذا كان أباه أو شيخه وان يرحب به ويقبل عليه اذا حدثه وان لا يمد رجليه بين يدي جليسه ولا يضع رجلاً على الأخرى بحضرة من هو اكبر منه ان كان ذلك يغضبه ولا يبصق ولا يمتخط الا في منديل مواريا وجهه عن جليسه واذا ثأب فعليه ان لا يصحب الثأوب بصوت وعليه ان يضع يده على فمه فان مخالفة ذلك مما يستقذره الناس

❦ والى أكل هذه الآداب وأجلها وأحسن هذه الاخلاق وأفضلها أشار الله تعالى بقوله ❦

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

المجادلة ١١

ما تفيد هذه الآية الكريمة

تفيد هذه الآية الكريمة بيان ما أدب الله به عباده المؤمنين وأمرهم به من حسن المعاملة ورعاية الأدب في حق بعضهم فن ذلك

إذا كان جماعة في مجلس وقدم عليهم آخر أو جماعة أخرى وفي المكان ضيق فلي الجالسين أن يوسعوا للقادمين مسرعين في ذلك لأن ذلك يكون سبباً للتوادم والنوافق والتجارب وبهذا التباغض والتحاسد وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله (يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا) وقد وعد جل شأنه من تأدب بهذا الأدب الكامل وتخلق بهذا الخلق الفاضل أن يجازيه من جلس ماعمله فيوسع عليه في رزقه وصدقه وتبره وفي منزله وفي الجنة وهو ما أفاده الله تعالى بقوله (يفسح الله لكم)

هذا ما أمر الله به من التوسعة في المجالس أما القيام منه للقادم كائناً من كان فهو غير جائز عند البعض فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم لا يقومون للنبي صلى الله عليه وسلم إذا قدم عليهم ولم يكن أحد أحب إليهم ولا أمكن هيبة في قلوبهم منه وذلك لما كانوا يعلمون من كراهته لذلك

ولما كان الغرض من التوسعة في المجالس للقادم عليه غرس بنور المودة والمحبة في قلوب المؤمنين ولا يكون ذلك إلا حيث كانت التوسعة مصحوبة بشيء من الحفاوة والاحتفال بأمره والاعتناء بشأنه ومن ذلك أن ينهض مسرعاً في التوسعة حث جل شأنه على النهوض بسرعة للقادم فقال (وإذا قبل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) أي وإذا قيل لكم للتوسعة في المجالس للقادمين عليكم انهضوا فانهضوا واسرعوا فانكم ان فعلتم ذلك يرفع الله الذين آمنوا منكم في الدنيا والآخرة درجات عظيمة جزاء امتثالهم لأمر الله تعالى في قيامهم من مجالسهم وتوسعتهم لآخوانهم ويرفع الذين أوتوا العلم منهم خاصة درجات أعظم وأرفع لانهم انما يفعلون ما يؤمرون به عن بينة وقوة يقين وان لم تعلموا بان كرهتم ان تتأدبوا بأداب الله واستعظمتهم ان توسعوا مجالسكم للقادمين عليكم حسبما أمركم ربكم فان الله بما تعملون خبير لا تخفى عليه خافية من أعمالكم من

آية سورة خير أو شر فيجازيكم بالخير خيرا وبالشر شرا والله يتولى هدايتنا أجمعين

الادب في المحادثة

اعلم ان اللسان خطره عظيم ولا نجاة من خطره الا بتقييده بلجام الشرع ووقوف صاحبه عند الحدود والآداب التي أدبه بها الشرع وعلمه اياها في محادثاته ومخاطباته فلا يطلقه الا فيما ينفعه في الدنيا والآخرة ويكفه عن كل ما يخشى غائلته في عاجله وآجله وذلك بان يعقله الا عن حق يوضحه أو باطل يدحضه أو حكمة ينشرها أو نعمة يذكرها وأن لا يتكلم الا بقدر الحاجة والضرورة وأن لا يغالب أحدا على كلامه وإذا سئل غيره فلا يجيب هو عنه وإذا حدثه الغير بحديث فلا يريه أنه عالم به وأن يكلم كل انسان بما يليق به وأن لا يتكلم الا اذا دعا داع الى الكلام فان مالا داعى له هذيان وأن يجتنب في محادثته ثلاثة اشياء وهي أعظم الاشياء خطراً على الانسان وأبغضها لله وأقبحها عند الناس وهي الكذب والغيبة والتميمة وأن لا يتكلم الا فيما يعنيه وأن يتباعد في حديثه عن كل ما يكدر مخاطبه وأن لا يرفع صوته في التكلم به فوق صوت من هو اكبر منه فان ذلك كله مما نذب اليه الشرع وسلمه سليم الطبع

وقد أرشدنا الله سبحانه وتعالى الى بيان هذه الآداب وبينها على أحسن وجه واكمل حالة

﴿فمن ذلك ما أمر به جل شأنه من الملائفة في القول والمجاملة في الحديث ومجانبة الخشونة فيه لما يترتب على ذلك من ايفار الصدور وتولد الاحقاد وبذر بذور العداوة والبغضاء وذلك في قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم﴾

وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ

يَنزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا

ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة سورة آية

ترشد هذه الآية الكريمة الى ما علمنا الله اياه من حسن الادب في المحادثة والمخاطبة فقد أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأمر عباده المؤمنين أن يقولوا في مخاطبتهم ومحاوراتهم ومخادتهم الكلام الحسن والكلمة الطيبة فانهم ان لم يفعلوا ذلك نزع الشيطان بينهم وألقى بينهم المداوة والبغضاء لانه العدو الالذ للانسان يتربص به الدوائر ويتربص له الفرص في حصول الشحناء بين بعض أفرادهم وبعض فالعاقل كل العاقل من لم يجعل للشيطان حظا من قلبه حتى يملكه من غرضه وبذيله أمنيته ويحقق له رغبته والا يكون قد هلك نفسه لعدوه يفعل فيها كيف يشاء وهو لعمر الحق فعل غير حكيم ﴿ ومن ذلك قوله جل شأنه في الحث على خفض الصوت عند المحادثة لان في رفعه تشويشاً على المستمع وأذى له ﴾

وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ أَسْوَاتُ لِقَآنِ ١٩

الحمير

ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة

ترشد هذه الآية الكريمة الى ما أوصى به لقمان عليه السلام ابنه من الوصايا النافعة وحثه عليه من الادب في المحادثة وأمره به من التلطف في القول واللين فيه وعدم تكلف رفع الصوت به فان الجهر بالصوت باكثر من الحاجة يؤذى السامع ويضر به ولذا بلغ من القباحة والبشاعة أن يشبه رافعوه بالحمير وهو بصوت الحمير ولا جرم ان في تشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير وتمثيل أصواتهم بالنهاق تنبيها على ان رفع الصوت غاية في الكراهة ونهاية في القباحة (وقال تبارك اسمه في النهي عن الغيبة)

سورة
الحجرات
آية
١٢

وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم مِّمَّا آتَتْ بَعْضُهُمْ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ
لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ

ما تفيد هذه الآية الكريمة

تفيد هذه الآية الكريمة الحث على تجنب الغيبة مع اظهار بشاعتها
وشناعتها وانها من أذم الافعال وأخبث الاقوال وأسوأ الاخلاق
ولذا ترى الله جلّت قدرته شبهها بأكل لحم الانسان وهو ذلك الامر
القبیح الذي يمافه كل شخص وتنفر منه سائر الطباع ولم يقف جل
شأنه عند هذا الحد من التشبيه بل جعل هذا الانسان الذي شبت
الغبية بأكل لحمه ميتاً وذلك أعظم فظاعة وأقبح شناعة لهذا قال جل
شأنه (وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم مِّمَّا آتَتْ بَعْضُهُمْ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا
فَكَرِهْتُمُوهُ) أى وحيث كرهتم اكل لحم الانسان وهو ميت فاكروهوا
الغبية لان عقوبتها أشد

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى فى النهى عن النيمة ونقل الحديث
من قوم الى آخرين على وجه السماية والافساد فيما بينهم ﴿

وَلَا تُطْعَمْ كُلٌّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ١١ هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ ١٢

ن ١٠

مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ

ما يؤخذ من هذه الآيات الكريمة

يؤخذ من هذه الآيات الكريمة حرمة صحبة من لاخلاق لهم من
الناس ومجانبة المجالسة والمحادثة معهم وعدم طاعتهم فى كل ما يقولون
أو يفعلون وهم الذين ينهم الله تعالى بقوله (وَلَا تُطْعَمْ كُلٌّ حَلَّافٍ
مَّهِينٍ هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ) أى لا تطعم كل رجل
كثير الحلف ولو بالصدق ولا كل رجل مهين أى حقير الرأى والتدبير
لانه ربما أراد أن ينفع فيضر ولا كل رجل هماز أى عياب طعان لانه

لا يعيب غيره ولا يظعن عليه الا للؤم في طبعه وخسة في أصله ولا
كل رجل مشاء بنميم أى تقال للحديث من قوم الى اخرين ليفسد
بينهم ولا هم له الا الايقاع بين الناس والافساد بينهم والقاء بذور
الشقاق والخصومات فيما بينهم وايغار الصدور وتوليد الشرور فان مثل
هذا تجب مجانبته وتحرم طاعته لان صحبته غرر وطاعته ضرر ولا كل
رجل معتمد أى متجاوز الحد في الظلم لانه لا يؤمن شره ولا يؤمل خيره ولا
كل رجل أثيم أى كثير الاتم والمعصية لانه لا خير فيه لنفسه فأولى لغيره
فهذه سبعة اوصاف ومنها التهمة قد نهى الله نبيه صلى الله عليه
وسلم عن طاعة المتصفين بها وهو تعليم لنا وارشاد لما يجب ان نتخلق
به من الاخلاق الفاضلة والصفات الكاملة او نتركه من الاخلاق
الفاسدة والصفات الكاسدة

ومن ذلك ايضا قوله تعالى في النهي عن الكذب في القول وعند
الحديث تحدث به أخاك ﷺ

قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَفْلِحُونَ يونس ٦٩

ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة

ترشد هذه الآية الكريمة الى قبح الكذب وذم فاعله وذلك بما
اخبر الله تعالى به عن الكذابين من عدم الفلاح والنجاح وكفى بأى
صفة ذمما ان تكون نديجتها عدم الفلاح والنجاح
والآيات القرآنية الواردة في ذم الكذب والكذابين وما لهم من
العذاب الاثيم والعقاب الشديد في الآخرة كثيرة لا تكاد تحصى وفيما
ذكر ما يغني عن الاطالة والله ولى التوفيق

الأدب في الأكل والشرب

اعلم ان من أهم الامور وأوكدها الاعتناء بتربية الناشئة وتوعيمهم
على التخلق بالكلمات وخصوصاً في حال نشأتهم لانهم حين ذاك

سورة آية قابلون لا يتخاى بكل ما يعودون عليه فان عودوا على الخير وعملوه مروا عليه وان عودوا على الشر وعملوه نشؤا عليه بمصدق وينشأ ناشئ الفتيان منا * على ما كان عودده أبوه

وحيث ان اول ما يغلب عليهم من الصفات شره الطعام فينبغي ان يؤدبوا فيه بأن ينهوا عن كثرة الأكل ويبين لهم الاضرار التي تنتج منها وان يبين لهم انه لا يصح الأكل الا من الحلال الطاهر الخالي من كل شائبة حرمة بان كان من ربا او غصب او سرقة فان كان الطعام متحصلا بواسطة واحد منها حرم تعاطيه ووجب التباعد عنه وان يبين لهم ما أباح الله لهم الأكل منه من بيوت الاقرباء والاصدقاء وآداب الاكل في حالى الانفراد والاجتماع قبل الأكل وبعده حتى اذا نشؤا على هذه الآداب وترتبت فيهم ملكة الاخلاق الفاضلة في الصغر تعودوها في الكبر واذا كانت هذه الآداب مستمدة من نور القرآن الكريم كان ذلك غاية المقصود ونهاية المأمول . ولنبين لك بعضاً مما في القرآن الكريم من هذه الآداب والله المستعان ﴿ قال الله تعالى في النهي عن كثرة الاكل والشرب والاسراف فيها وبغضه لذلك ﴾

وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ

٣٠

ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة

ترشد هذه الآية الكريمة الى ما علمنا الله اياه من الطب وأرشدنا اليه من الحكمة وهدانا اليه مما تصح به ابداننا وتقوى به اجسامنا وتطيب به معيشتنا وتهنأ به حياتنا من عدم الافراط في الأكل والشرب والاسراف فيهما لان كثرة الاكل والشرب تفسد المعدة وتطفى ناراها وتضعف الجسم وتكثر الرياح في البطن وتصفر اللون وتضييق النفس وبذلك يضعف الفكر ويحمد الذهن وينحط الادراك واذا حجب القلب عن الادراك ومنع الذهن عن الحركة في الافكار خسر صاحبه باباً كبيراً من العبادات لان غاية المقصود من العبادات

انما هو الفكر الموصل الى المعرفة والاستبصار بمحقق الحق وكثرة سورة آية
الأكل كما علمت مانعة منه

فلهذه المضار نهى الشارع الحكيم عن الافراط في الاكل والشرب
والاسراف فيهما ولم يقف عند هذا الحد من النهي بل أخذ يتوعد
ويهدد من خالف أمر الله تعالى فأسرف فيها فقال (انه لا يجب
المسرفين) اى يبغضهم وناهيك ببغض الله تعالى وعدم رضاه فانه
داعية الهلاك وسبب كل المصائب وأى عاقل يجرأ على ان يغضب الله
تعالى مقابل ان يرضى نفسه باتباعها في شهوة هي سبب هلاكه وداعية
اسقامه وآلامه اللهم اعنا على أنفسنا باستعمالها في كل ما تحب وترضى
انك سميع الدعاء واسع العطاء

وقال جل ثناؤه في بيان ما أحل الله أكله من الطعام وهو
الحلال الطيب الطاهر وما حرم أكله من الميتة والدم ولحم الخنزير
وما أهل به لغير الله وما أباح تناوله مع كونه محرماً للضرورة والاحتياج
اليه مع عدم وجود غيره

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ
وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ١٧٢ إِنَّمَا حَرَّمَ
عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنَازِيرِ وَهُوَ أَهْلٌ بِهِ لَغَيْرِ
اللَّهِ فَمَن اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ

ما ترشد اليه هاتان الآيتان الكريمتان

ترشد هاتان الآيتان الكريمتان الى ما بينه الله تعالى لعباده
المؤمنين وأمرهم به من الاكل مما رزقهم على شرط ان يكون حلالا
طيباً وأمرهم أن يشكروه على هدايتهم لذلك وتبيينه لهم معالم دينهم

سورة آية وارشادهم لما يحل أكله وما لا يحل لأن ذلك من المن العظمى والنعم الكبرى التي يحب الشكر لمسديها ان كانوا عبيده حقاً وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون)

ولما امتن تعالى عليهم برزقه وأرشدهم الى الاكل من طيبه ذكر انه لم يحرم عليهم من ذلك الا (الميتة) وهي التي تموت من غير تذكية شرعية سواء كان موتها بخنق او بضرب او بسقوطها من أعلى الى أسفل او بنطح أخرى لها أو عدوان سبع عليها وقد خصص هذا العموم بميتة البحر بقوله تعالى في آية أخرى (أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم)

(والدم) والمراد به الدم المسفوح لقوله تعالى في آية أخرى (قل لأجد فيما أوحى الى محرماً على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دماً مسفوحاً او لحم خنزير

(ولحم الخنزير) سواء ذكي او لم يذك

(وما اهل به لغير الله) أى ذكر عليه اسم غير الله تعالى ومثله ما يقع من بعض الجهلاء من الذبح عند قبور موتاهم عند دفنهم فان ذلك يحرم أكله ولا يجوز تماطيه لانه مما اهل به لغير الله ولا فرق بينه وبين المذبوح للوثن ومثله ما يندرونه للماشايخ والاولياء والصالحين فيذبحونه لهم فان ذلك المذبوح حرام لا يجوز أكله لانه اهل به لغير الله حتى قال بعض العلماء ان الذبح لهؤلاء وامثالهم كفر وهو مما عمت به البلوى وعظمت به المصيبة لان عامة الناس في ذلك واقعون ولحله وجوازه معتقدون فلا حول ولا قوة الا بالله

هذا وبعد ان بين جل شأنه اكل هذه الاربعة وانه حرام اخذ بين ان ذلك مقيد بعدم الضرورة والحاجة اما عند الضرورة والحاجة بأن خاف التلف على نفسه ولم يجد ما يسهل به رمقه غير أحد هذه الاربعة فلا حرج في ذلك ولا اثم على فاعله فقال (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم) أى فمن اضطرته الحاجة الى أكل واحد من هذه الاربعة التي حرمها الله تعالى فلا اثم عليه

ولا حرج في أكله بشرط ان لا يحمله على أكله الا الضرورة لا الشهوة سورة آية
وهو معنى (باغ) وان لا يتناول منه الا ما يدفع الضرورة ومتناول
ما فوقها هو العادي فانه جل شأنه غفور لمن تاب اليه من عباده رحيم
بهم حيث أحل لهم الحرام عند الاضطرار والله بسر كلامه عليم
ومما حرم الله أكله وحظر تعاطيه كل مال ينتجسه الربا وفي
ذلك بقول جل شأنه (الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم
الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا
وأحل الله البيع وحرم الربا) والآيات القرآنية الواردة في ذم الربا
وآكله والمتعامل به بل وكل من كان له دخل فيه ككاتب عقد
الوثيقة به والشاهد عليه وبيان أنه يخرب البيوت العامة كثيرة وفيما
ذكر ما يغنى عن الاطالة

(وقال تبارك اسمه في بيان ما أباح الاكل فيه من بيوت الاقرباء
والاصدقاء والبيوت التي يملك التصرف فيها باذن من أربابها مجتمعين
في الاكل أو منفردين)

لَيْسَ عَلَى الْاِنْعَمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْاُغْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى
الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ
بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ
بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ
مَفَاتِحُهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا
أَوْ أَشْتَاتًا

ما تفيد هذه الآية الكريمة

وردة آية

تفيد هذه الآية الكريمة نفى الحرج والضيق عن الأعمى والأعرج والمريض في مؤاكلة غيرهم من الأصحاء الذين ليس بهم عاهة وتفيد أيضاً أن لا حرج على الناس في أن يأكلوا من بيوت أقاربهم كابائهم وامهاتهم واخوانهم واخواتهم واعمامهم وعماتهم وأخوالهم وخالاتهم أو البيوت التي يملكون التصرف فيها باذن من أصحابها كالوكلاء والخزان فانهم يملكون التصرف في بيوت من أذن لهم بدخول بيته واعطاهم مفتاحه أو بيوت الأصديقاء والأصحاب والأحباء فلا جناح في الأكل منها على شرط أن يعلم أن ذلك لا يشق عليهم ولا يكرهونه ثم أشار جل شأنه الى بيان حكم آخر وهو جواز أكل الإنسان منفرداً أو معه غيره فقال (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً) أي مجتمعين أو منفردين والله أعلم

أدب الولد مع والديه

اعلم أن أبا الإنسان وامه لهما عليه حقوق لا بد من أدائها واجبات لا بد من قضائها منها مقابلتهما بكل ما يمكنه من البر والاحسان واستعمال الأدب معهما وإن يمتثل أوامرهما خصوصاً المتعلقة بأحواله الشخصية التي تعود عليه بالمنفعة كأوامرهما المتعلقة بالأدب وحسن السلوك ومكارم الأخلاق وحسن المعاشرة مع صنوف الخلق والنظافة والعفة والأمانة وغير ذلك من الكمالات وحميد الأخلاق وجميل الصفات وأن يحتجب نواهيهما وكل ما يؤذيها أو يكدر خاطرهما أو يستجاب غضبهما من قول أو فعل — ومنها أن ينفق عليهما إذا كبرا لأنهما السبب في حياته وتربيته وكفالاته الى هذا الحد الذي يمكنه فيه أن يكتسب فهذا الكسب ثم يغرسهما وليس من الأدب والمروءة أن يفرس إنسان غرساً ثم يحرم من جنى غرسه على أنه مهما انفق عليهما فلا

يوازي ما اتفقا عليه لوجود الفرق بين الانفاقين فانهما كانا ينفقان سورة آية عليه ويتمنيان بقاءه وهو يتفق عليهما ويتمنى وفاتهما - ومنها أن يجلس بحضرتهم في غاية الادب والسكون فلا يضحك ولا يلعب كما يضحك ويلعب السقاء وليكن ضحكهم ولعبه على وضع لا يخل بالادب ولا يمد رجليه في مجلسهما ولا يرفع صوته فوق صوتهما ولا يحضرتهم ولا يتقدمهما في مشى الحاجة ولا يتندر الكلام قبلهما في المجلس وإذا أقبلوا عليه أو أحدهما وهو في مجلس قام ليوسع لها حتى يجلسا ان كان في المكان ضيق وبالجملة يفعل كل الوسائل التي تكون سببا في مرضاتهما وزوال كل ما يكدرهما ويؤذيهما

وقد بين لنا الله جل شأنه في كتابه العزيز بعض ما يلزم لهما من الآداب والحقوق فقال ﴿

وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِنَّمَا يُبَلِّغُنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۖ ۚ وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا

ما ترشد اليه هاتان الآيتان الكريمتان

ترشد هاتان الآيتان الكريمتان الى أهم الامور وأولها بالعناية وأجدرها بالرعاية وأجلها لرضاء الله تعالى وأبعدها من سخطه ومقتته ألا وهو بر الوالدين الذي جمع من الخير اكمله ومن الاحسان أجمله ومن المروءة أرفعها ومن الخيرات انفعها وكفى به شرفا وفضلا أن قرنه الله تعالى بتوحيده وعبادته في قوله (وقضى ربك ألا تعبدوا الا إياه وبالوالدين احسانا) أي أمرأ أمرأ جازما وحكم حكما قاطعا بتوحيده وعبادته وبر الوالدين والاحسان بهما وفي هذا الاقتران من الدلالة على تأكد حقهما والعناية بشأنهما مالا يخفى ثم ضيق الامر في

ورة آية

مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تنفكت من التضجر مع موجبات الضجر من أحوال لا يكاد يصبر الانسان معها فاذا حصل منهما شيء بكرهه ولا يستحسنه فلا يصح له أن يتكلم معهما بأى كلام يكون من ورائه تضررهما وتكدر خاطرهما بل الواجب عليه في هذه الحالة أن يقول لهما قولاً سهلاً جميلاً باحسناً ما يمكن التعبير به من لطف القول وكرامته مع حسن التأدب والحياء والاحتشام وخصوصاً اذا كانا كبيرين فانهما في هذه الحالة أحق بالمجاملة وحسن التلطف والتعطف لانهما يظنان أنهما عالة عليه فكل كلمة تصدر منه ولو صغيرة بتأثران منها وتنكسر قلوبهما من أجل ذلك ولذا خص الله سبحانه حاله الكبر بالذكر في قوله (اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً) أى ان كبرا وهما في كنفك وكفالتك فلا يصح أن تقول لهما أى قول يكدر خاطرهما ويستجلب غضبهما أو يؤذيهما حتى ولا التأفف الذى هو أدنى مراتب القول السيئ اذا حصل منهما مالا يلائمك ولا يعجبك بل الواجب عليك بدل ذلك أن تعاملهما بالحسنى وتقول لهما القول اللين الطيب الحسن مع الادب والتوقير والتعظيم والاحترام وأن تخفض لهما جناح الذل وتتواضع وتنذل لهما بجميع أنواع التذلل والمسكنة لانهما صارا أفقر الناس اليك بعد أن كنت أفقر الناس اليهما واحتياج المرء الى من كان محتاجاً اليه غاية الضراعة والذل والمسكنة فكانا لذلك أولى بشدة الرحمة والشفقة وزيادة التعطف

ثم ختم جل شأنه الوصية عليهما والحث على برهما والاحسان بهما بطلب الدعاء لهما من الله أن يرحمهما برحمته الباقية الدائمة فقال (وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً) كأنه تعالى يقول له لا تكثف برحمتك التى لاندوم ولسكن اطلب لهما من الله الرحمة الدائمة وهى رحمتى وقل رب ارحمهما رحمة مثل رحمتهم وتربيتهم الى وأنا صغير والله أعلم

وقال تعالى أمهؤم فى الحث على بر الوالدين وخصوصاً الأم واتباعهما فى كل ما أمرا به مالم يكن معصية لله تعالى فانه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ﴿

سورة آية
لقمان ١٤

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ
وَفَصَّالَةٌ فِي عَمَلَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ١٥
وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا
تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ
أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

ما يؤخذ من هاتين الآيتين الكريمتين

يؤخذ من هاتين الآيتين الكريمتين وجوب بر الوالدين
والاحسان اليهما والحنو عليهما وخصوصا الأم لأنها تعبت في تربيته
وتحملت المشاق والتعب في ذلك وقاست الشدائد في سهرها عليه أثناء
الليل واطراف النهار حتى توالى عليها بسبب ذلك الوهن والضعف وهذا
الذي أشار له الله تعالى بقوله (حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في
عامين) أى حملته أمه في بطنها وهى تزدد كل يوم ضعفا على ضعف
وزيادة على ذلك الضعف الذى تقاسيه في حال الحمل والتعب الذى
تقاسيه مدة تربيته وارضاعه بعد وضعه وهى عامان وهى مدة ليست
بالقليلة فيجب عليه أن يشكرها ويقوم لها بأعظم الخدمات وأكبر
البرات جزاء ماتكبدته معه فيهما من المتاعب والمشقات ولذا يقول
جل شأنه (أن اشكر لى ولوالديك الى المصير) أى وصيناه بشكرنا
وشكر والديه ومن قام بأداء هذا الشكر جازيناه أو فر الجزاء لان المصير
والمرجع الينا — وما أعظم هذه العناية من الله جل شأنه بالوالدين
حيث قرن شكرهما بشكره ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين — وقد
حد جل شأنه الحسد الذى يجب طاعتهم ومتابعتهم فيه وامثالها في
كل ما أمرا به أو نهى عنه بان ذلك مالم يكن فيه معصية الله تعالى فان
كان الامر بمعصيته والنهى عن طاعته فلا حرج في مخالفتها ولا تعد
مخالفتها وعدم طاعتها حينئذ عقوبا لانه لا طاعة لخلق في معصية

سورة آية

الخالق الا انه مع ذلك لا يصح أن يقطعها ويمنع الاحسان اليهما وعمل المعروف منهما وهذا الذي أفاده الله تعالى بقوله (وان جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا) أى وان حرصا كل الحرص على أن تتابعهما على دينهما وتشرك بي فلا تطعهما ولا تقبل منهما ولا يضمنك ذلك من مصاحبتهما في الدنيا بالمعروف والاحسان اليهما والتصدق عليهما

ثم أمر جل شأنه بعد الفراغ من الوصية ببر الوالدين باتباع سبيل من رجع اليه من عباده الصالحين بالتوبة فقال (واتبع سبيل من أناب الىّ ثم الىّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون) أى اتبع ايها المكلف من أقبل الى طاعتي من عبادي الصالحين بالتوبة والاخلاص ثم الىّ مرجعكم جميعاً في الآخرة فأخبركم بالذي كنتم تعملونه من خير او شر فأجازى كل عامل بما عمل اللهم اجعلنا ممن أحسنت عملهم وتقبلته منهم وجعلته خالصاً لوجهك انك سميع الدعاء واسع العطاء آمين .

(وقال جل شأنه في الحث على بر الوالدين بالانفاق عليهما وبيان أن أفضل الصدقات وأعظم القربات التي يتقرب بها العبد الى ربه هي ما كانت للوالدين ثم لمن يلوئهما ممن ذكرهم الله تعالى)

البقرة ٢١٥

يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ

ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة

ترشد هذه الآية الكريمة الى بر الوالدين والاحسان اليهما وان أفضل شئ يتصدق به الانسان ويحسن به ويفعله من المعروف والبر والخير والصدقة هو ما كان للوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وقد بين الله ذلك عند ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم

كيف ينفقون أموالهم وعلى من يصرفونها فقال له (قل ما أنفقتم من سورة آية
خير فلو الدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل) أي
أصرفوها في هذه الوجوه وذلك لأن الوالدين هما السبب في وجوده
حتى أمكنه أن يكتسب هذا المال وينفقه فهما أولى من يصرف إليهم
المال واجدر بالتصدق عليهما من كل من عداهما ثم من بعدهم الأقربون
لأن الإنسان لا يمكنه أن يسع جميع الفقراء بصدقته وإحسانه فتقديم
القربة أولى من غيرهم ثم من بعدهم اليتامى لأنهم لا كسب لهم ولا لهم
من يقوم بأودهم ويتكفل بمصالحهم فهم لذلك أولى بالاحسان إليهم
بعد الوالدين والأقربين ثم من بعدهم المساكين الخواص الذين لا يجدون
ما يقوم بكفائتهم فهم أولى بالتصدق بعد من ذكروا ثم من بعدهم ابن
السبيل والمراد به المسافر الذي فرغ زاده وبينه وبين غرضه مسافة
تحتاج إلى المؤنة فينفق عليه ما يبلغه إلى مقصده

فانظر إلى هذا الترتيب العجيب في بيان كيفية الانفاق وما أحسن
تعقيب ذلك بمباركة الترغيب والحث على الانفاق باطاف وذلك من
قوله (وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم) أي فيجازيكم عليه أوفر
الجزاء لأنه لا يظلم أحداً مثقال ذرة ولا شك أن من أيقن بالخلف
جاء بالمعطية

(خاتمة)

اعلم أن بر الوالدين لا يختص بكونهما حين فقط بل يكون بعد
الموت أيضاً ويكون ذلك بالصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما
وأكرام صديقيهما ووده وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وذلك
لقوله صلى الله عليه وسلم لرجل جاءه فقال يا رسول الله هل بقي عليّ
من بر أبوي شيء أبرهما به بعد وفاتهما قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار
لهما وإنفاذ عهدهما وأكرام صديقيهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما
ولئن تأكد بر الوالدين فهو في حق الأم أوكد لأنها تعبت فيه
وفي تربيته وحضاته وغيرها أكثر من أبيه ولذلك يقول صلى الله
عليه وسلم (بر الوالدة على الولد ضعفان)

رحم الانسان أقاربه وصلاتهم ان يطعمهم من جوع ويؤمنهم من خوف او يقضى عنهم ديناً او يفرج عنهم غمّاً او يقضى لهم ما يحتاجون اليه ان كانوا في احتياج الى ذلك ويتودد اليهم بالزيارة والهدايا والطيب من القول والبشاشة عند اللقاء والمبادرة بالسلام والمحافظة على فعل كل ما يجلب محبتهم ان كانوا أغنياء عن ذلك كله وهي من أفضل الخصال وأجل الخلال فيها يكثر التواصل والتوادد وتؤمن الفوائل ويزول التباغض والتحاسد وتسمتال القلوب وتلتئم الشعوب وتغفر الذنوب وتصفو الضمائر وتحسن السرائر وتنتظر الرحمة وتستدام النعمة ولما اشتمت عليه من هذه الثمار الباقية والفوائد النافعة حث الشرع عليها وبالغ في التمسك بها حتى جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم سبباً في ادرار الرزق وسعته وفاتحة الخير وزيادته فقال (ان أعجل الطاعة ثواباً صلة الرحم حتى ان أهل البيت ليكونون نجاراً فتنمو اموالهم ويكثر عددهم اذا وصلوا ارحامهم) ولعل حكمة حث الشرع عليها والتشديد في أمرها والترغيب فيها والتحذير من قطعها ومجانبة ذلك جهد الاستطاعة ان أقارب الرجل هم أكثر الناس بعد ابويه له تناصرا ورغبة في الخير له وأشدهم شفقة عليه وأعظمهم محبة له بهم يعلو بين الأنام قدره ويعظم فخره ويرتفع ذكره وهم أكثر الناس به اختلاطاً فاذا قطعهم تنغص عيشه وكثر شره وقل خيره ولان الاقارب ابعاض الوالدين ومنهما نشؤا او اختلطوا معهما في نسب فكل هذه حقوق وأسباب تحتم على الشخص ان يصلهم بقدر جهده واستطاعته

(قال الله تعالى في الحث على صلة الرحم وبرها والنهي عن حرمانها وقطعها قارنا ذلك بالامر بتقواه)

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
عَلَيْكُمْ رَقِيبًا

ما تشتمل عليه هذه الآية الكريمة

تشتمل هذه الآية الكريمة على أمرين

(الاول) ما أرشد الله اليه خلقه من تقواه وهي عبادته وحده
لا شريك له منها لهم على قدرته التي خلقهم بها من نفس واحدة
وهي آدم عليه السلام وخلق منها زوجها وهي حواء عليهما السلام
وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ونشرهم في اقطار العالم على اختلاف
أصنافهم وأوصافهم وألوانهم ولغاتهم ولاشك ان خلقه تعالى لهم هذه
الكيفية من أقوى الدواعي الى الالتقاء من موجبات نعمته ومن أتم
الزواج عن كفران نعمته فقوله تعالى (الذي خلقكم من نفس
واحدة) الآية في قوة العلة للأمر بالتقوى فكأنه قال بأبيها الناس
اتقوا ربكم لانه خلقكم من نفس واحدة الآية

(الامر الثاني) الحث على صلة الرحم ويرها وعدم قطعها وهذا الذي
أفاده الله تعالى بقوله (واتقوا الله الذي تساءلون به الارحام) أي واتقوا
الله الذي يسأل بضمكم بعضاً به وذلك يكون بطاعتكم إياه واتقوا قطع
مودة الارحام فان قطعها من أكبر الكبائر وصلها باب كل خير فتزيد
في العمر وتبارك في الرزق وإذا وصل جل شأنه تقوى الرحم بتقواه
وما أحسن ما ذكر الله من دواعي الخنو والعطف والشفقة والرحمة
بالأقارب واسمالة القلوب اليهم حتى يصلوهم ولا يقطعوهم حيث ذكر
جل شأنه أن اصل الخلق من أب واحد وأم واحدة فان في ذلك من
موجبات الاحتراز عن الاخلال بمراعاة حقوق الاخوة ما لا يخفى
وقوله تعالى (ان الله كان عليكم رقيباً) أي مطلعاً وعليما فيعلم من
امتثل أمره بتقواه وصلة الرحم ومن لم يمتثل فيجازى كلا بما يستحق
(وقال جل ذكره في النهي عن قطع الرحم مع بيان ما يترتب
على ذلك من العقاب الشديد والعذاب الاليم والحسran المبين)

سورة آية
البقرة ٢٧

الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ
مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ
هُمْ الْخَاسِرُونَ

ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة

ترشد هذه الآية الكريمة الى بيان ما أعده الله من النكال الشديد
والعذاب الأليم والخسران المبين لمن اتصفوا بهذه الاوصاف الرذيلة
وتحلّقوا بهذه الاخلاق القبيحة الويلة وهى - نقض العهد بعد ما أخذ
الله عليهم الميثاق به وهو كل ما أمر الله به ونهى عنه فى كتبه على
ألسن رسله الكرام ونقضه عدم العمل به - وقطع الرحم التى أمر
الله بها ان توصل - والفساد فى الارض بارتكاب كل معصية يتعدى
ضررها ويطير فى الافاق شررها ولذا يقول الله تعالى فى حقهم (اولئك
هم الخاسرون) أي الناقصون أنفسهم حظوظها من رحمته بمعصيتهم له كما
يخسر الرجل فى تجارته بأن يوضع من رأس ماله فى بيعه فكذلك
هؤلاء الناس الذين اتصفوا بهذه الاوصاف القبيحة قد خسروا بحرمان
الله تعالى لهم من رحمته التى خلقها لعباده والله اعلم
(وقال تبارك اسمه فى الحث على صلة الرحم وبيان أن ذوى القربايات
فى ايصال الخيرات لبعضهم أولى من غيرهم ممن ليس بينهم وبينهم قرابة
وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ
إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

الآية
٧٥

ما يستفاد من هذه الآية الكريمة

يستفاد من هذه الآية الكريمة بيان حقوق الاقرباء بعضهم على
بعض وانهم أولى من غيرهم فى تأدية هذه الحقوق لهم فمن ذلك انهم
يرتبونهم دون غيرهم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى
بين أصحابه فكان المهاجر يرث الانصارى دون قراباته وذوى رحمه
للاخوة التى آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم فانزل الله هذه

الآية لتخصيص الاقرباء بالميراث دون غيرهم من الاجانب لانهم سورة آية أولى ببعضهم من غيرهم وذلك منه جل شأنه حث على نفعهم وايصال الخير لهم وصلتهم ولعل حكمة ذلك والله أعلم ان الاقرباء ادخل في التناصر والتعاون من غيرهم فلذلك كانوا أولى ببعضهم من غيرهم في التمتع بما يتركه المتوفى من الاموال فما أبعد نظر الشريعة الغراء وأعلمها بالمصلحة للعباد ولا عجب فانه جل شأنه عليم بكل شيء ومن ذلك مصالح العباد ومضارهم فيشرع لهم ما فيه مصلحة لهم ومنفعة ويعفو عما فيه مفسدة لهم ومضرة ومن ذلك التوارث بمقتضى القرابة دون التوارث بمقتضى الايمان والاخوة في الدين

الاتحاد والاخاء وما يترتب عليهما من المودة والولاء اعلم ان الاتحاد وارتباط القلوب ببعضها وتضافرها على أمر واحد واجتماعها على كلمة واحدة من أهم أسباب السعادة وأقوى دواعي المودة والمحبة وكم به عمرت بلاد وسادت عباد وانتشر عمران وأسست ممالك وسهلت مسالك وقويت شوكة وتمت نعمة وأمنت غوائل وكثر تواصل الى غير ذلك مما لا يمكن عدده ولا حصره وحده — علم ذلك الشارع الحكيم العليم بمصالح العباد وما تكون فيه سعادتهم فحث على الاتحاد والالفة وبين ما يترتب على ذلك من جليل النافع وعظيم الفوائد ولم يكتف بذلك بل حض على الاجتماع الذي هو أعظم الوسائل وامتن الأسباب فيه ودعا اليه في أغلب العبادات فشرع الجمعة والجماعات والعيد والحج ليكون من وراء ذلك اجتماع المسلمين كلهم في يوم واحد وساعة واحدة يؤم الكل غرضاً واحداً يتبادلون فيه أنواع التحية ويتصافحون ويتعاقبون ولا غرض للشاعر الحكيم من ذلك كله الا أن يرشد عباده كيف يتحدون ويجتمعون ويتعاونون وقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه حتى كان أحدهم يرث الآخر دون قراباته وذوي رحمه وبذلك كانت نصرتهم على عدوهم مع قلة عددهم وعددهم وكثرتهما عنده فدوخوا الممالك وافتتحوا البلاد ومصرروا الامصار ومدوا ظلال العمران وشيدوا الممالك وسهلوا المسالك ثم اعلم انه ليس كل اجتماع ينشأ عنه ألفة واتحاد ومحبة ومودة ممدوحا

سورة آية

بل المدوح الاجتماع الذي يكون فيه فوائد دينية وأعمال مرضية كالاتحاد في العبادات وطلب العلم والذكر وغيرها من الاجتماعات الخيرية أما الاجتماع للفسق والهو وغيرهما من أنواع المنكر فهذا لا فائدة فيه الا الاثم على انه قالما يأتي مثل هذه الاجتماعات بفائدة تذكر فكم من متحايين كانت محبتهم نتيجة اجتماع من مثل هذه الاجتماعات ولم يلبثا أن افترقا وتباغضا لانه ليس لهذا الاتحاد أصل ثابت ينبني عليه فهو اسرع الاشياء للزوال وأقربها للاضمحلال ولما للاتحاد من عظيم المنفعة وجليل الفائدة حث الله عليه في مواضع كثيرة من القرآن الكريم

﴿فمن ذلك ما قاله جل شأنه في سياق الامتنان على عبيده وتعداد النعم عليهم بكونه ألف بين قلوبهم وجمع شتات شملهم ووحد جامعهم وهو﴾

وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ يَهْتَدُونَ

ما تشير اليه هذه الآية السكرية

تشير هذه الآية السكرية الى فضل الاتحاد وعظيم المنة به على العباد وما تفضل الله به عليهم من عظيم المنة وجزيل النعمة حيث جمع قلوبهم بعد الشتات ووحد كلمتهم بعد الافتراق ومنحهم التحاب والتوادد بعد التباغض والتحاسد وصاروا اخوانا أحباء بعد ان كانوا اخصاما ألداء ولذا أخذ جل شأنه بعد أن أمرهم بالاعتصام بحبله وتمسكهم بدينه ونهاهم عن التفرق فيه وعدم الائتلاف والسمي فيما يجلب الشقاق والاختلاف يذكرهم نعمته عليهم بأنهم كانوا أعداء مختلفين يقتل بعضهم بعضا وينهب بعضهم بعضا لا يهنا لهم عيش ولا تصفو لهم حياة فألف بين قلوبهم فصاروا بعد هذه الاعمال الشنيعة والافعال القبيحة اخوانا أحباء مجتمعين مؤتلفين متحايين يساعده

ال عمران ١٠٣

بعضهم بعضاً ويود أحدهم لآخيه ما يود لنفسه فقال (واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً) وهذا الخطاب في النظم الكريم للانصار رضوان الله عليهم فإنه كان بينهم في الجاهلية أحقاد وضغائن وعداوة شديدة طال بسببها قتالهم ودامت حروبهم ولم يكن بينهم وبين النار إلا أن يموتوا كفاراً فلما جاء الاسلام ودخل فيه من دخل منهم صاروا إخواناً متحابين متواصلين وذلك من اكبر النعم وأعظم المنن ولذا أمرهم الله تعالى بتذكر هاليكون ذلك داعياً لشكره على احسانه اليه وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله (وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) ومن ذلك أيضاً ما قاله تبارك اسمه في بيان أن التنازع والتفرق في السكامة والرأى سبب الضعف والخذلان والفشل في جميع الازمان وهو ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا ۚ

٤٧

الْأَنفُسُ

إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ

ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة

ترشد هذه الآية الكريمة الى ما نهى الله عنه عباده المؤمنين عند مقاتلة الاعداء من التنازع والاختلاف في السكامة والرأى مبيناً لهم المضار التي تنتج عن ذلك من الفشل والخذلان وتمكن العدو من الوقعة بهم والنصر عليهم وذلك لان اختلافهم في الرأى يحل من عزائمهم ويضعف من قوتهم ويثبط من همهم فاذا حمل عليهم العدو قابلوه بقلوب خائرة وعزائم فائرة وهمم كليلة وقوة ضئيلة فينال منهم العدو ما لا يمكن أن يناله مع الاتحاد ولأنهم بتنازعهم وتخاذلهم وضعف همهم قد أضافوا الى العدو قوة بقدر الفتور الذي حصل في عزائمهم والنقص الذي وجد في قلوبهم فبعد ان كانوا عوناً عليه صاروا عوناً له ومن الغريب انهم على أنفسهم فما أحسن ما أرشد الله اليه عباده ولما كان عدم التنازع والفشل ليس كافياً في قمع العدو والنصرة عليه بل لابد معه من اصطحاب جميل الصبر نبه الله جل شأنه بوجوب اصطحابه مع ذلك فقال (واصبروا ان الله مع الصابرين) أي معينهم وناصرهم

سورة آية

ثم اعلم ان القتال ليس بشرط في النهي عن التنازع بل التنازع في كل شيء
مجلبة الفساد وداعية الدمار فكتم شاهدنا من عائلات كبيرة كانت في رغد من
المعيش وبيوت كثيرة كانت آهلة بأهلها حتى اذا دبت فيهم عقارب التنازع
وسرى سمها في قلوبهم وأخذ منهم الشيطان مأخذه تفرقوا واشذروا وصحبت
بيوتهم خاوية على عروشها وما ظلمهم الله ولكن الناس أنفُسهم يظلمون
﴿وقال جل ثناؤه في الحث على الاتحاد والائتلاف تحت جامعة الدين﴾
قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا
يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا
اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ

١٥
٦٤

ما تشير اليه هذه الآية الكريمة

تشير هذه الآية الكريمة الى ما أمر الله به نبيه عليه الصلاة
والسلام من أن يدعو أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى الى الاقبال
اليه والتحويل عليه وذلك باجتماعهم واتفاقهم واتحادهم مع المسلمين
على جملة مفيدة بحيث يستوى الكل في اعتقادها والعمل بها وتلك
الجملة هي ان لا يعبدوا الا الله ولا يشركوا به شيئا لا وثنا ولا صليبا
ولا صنما ولا نارا ولا غير ذلك مما يعتقدون انه شريك لله تعالى —
وان لا يطيع بعضهم بعضا في معصية الله تعالى فان فعلوا ذلك وقبلوا
هذه الدعوة التي هي دعوة جميع الرسل كما قال الله تعالى (وما أرسلنا
من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون) وقال
تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)
فوحدهوا الله تعالى واخلصوا له في العبادة فقد فازوا بالسعادة ومنحوا
رضوان الله عليهم وان تولوا وأعرضوا عنها فاشهدوهم انتم على
استمراركم على الاسلام الذي شرعه الله لكم وذروهم وما يعملون
الاستقامة

الاستقامة وفقنا الله اليها هي الاعتدال في جميع الامور من

الأقوال والأفعال والمحافظة على جميع الأحوال التي تكون بها النفس
على أفضل حالة وأكملها فلا يظهر منها قبيح ولا يتوجه اليها ذم
ولا لوم وذلك انما يكون بالمحافظة على الشرع الشريف والتمسك بالدين
والوقوف عند حدوده والتخلق بالاخلاق الفاضلة والصفات السكاملة
كاجتناب المحارم والتعفف عن المآثم ولين الجانب والصدق وانجاز
الوعد وبذل النصيحة لخلق الله تعالى والشفقة عليهم واداء الامانة
لمن ائتمنه منهم وكف اليد واللسان عن اذيتهم وبذل الشفاعة والعفة
والورع وغير ذلك من كل شيء يحمل على صلاح الدنيا والدين ويبيح
على شرف المات والحيا ولعمر الحق انها لمن أفضل الخصال وأجل الخلال
فيها كمال المروءة وتتمام الايمان وبها تكسب الفضائل وتسلب الرذائل
وتحمد السيرة وتحسن السريرة ولو لم يكن لها من الحسن الا اسمها السكفاها
(وقد أثنى الله على المستقيمين وبالع في اكرامهم ومنحهم أعظم
ما يحتاجون اليه من الأمن وقت الفزع الاكبر وعدم الخوف والسرور
برؤيتهم ما أعده لهم من النعيم الدائم والخير القائم فقال)

فصلت ٣٠
إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ
الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي
كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ٣١ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي
الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا
مَا تَدْعُونَ ٣٢ نَزَّلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ

ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة

ترشد هذه الآيات الكريمة الى أعظم الامور قدراً وأجلها نفراً
وذكراً واكبرها مثوبة لدى الله تعالى وأجراً الا وهو الاستقامة على
طاعة الله تعالى والوقوف عند حدوده والارتباط بحفظ مواعيقه
وعهوده والالتزام بأوامره والاجتناب لنواهيه ومحارمه حتى لا يراه
حيث نهاه ولا يفقده حيث أمره فان الله تعالى قد منح صاحبها من
الخير اكثره ومن الاجر والثواب أعظمه واكبره فنزل عليه الملائكة

سورة آية

في حال حياته عند حلول الملمات ونزول المصائب عليه بما يشرح صدره
ويدفع عنه الخوف والحزن . وعند الموت تقول له لا تخف مما قدمت
عليه من أمر الآخرة ولا تحزن على ما خلفت من أمر الدنيا من ولد
وأهل ومال فانا نخلفك فيه . وفي القبر تؤمنه مما فيه من الاحوال
والاهوال وتؤنسه فيه من الوحشة وحين يبعث تؤمنه مما يشاهده
من الهول والجسيم والخطب العظيم الذي تشيب له الولدان وتسكن
روعه من هول ذلك اليوم العظيم وتبشره بالجنة التي وعد بها على
السن رساله الكرام وفيها من جميع ما يختاره النفوس وتشتهي ومهما
طلب من أى شئ فيها يجده حاضراً بين يديه كل ذلك يفعل الله
تعالى به ضيافة وعطاء وانعاماً منه عليه جزاء استقامته وملازمة طاعته
وعبادته فما أعظم هذا الخير وما أحسن ما يوصل اليه رزقنا الله الاستقامة
ومنحنا من واسع فضله جزيل العطاء وحسن الكرامة آمين

﴿وقال جل ثناؤه في ان الاستقامة خير كلها وانها تجلب الخير وتوسع الرزق﴾
وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا

الجن ١٦

ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة

ترشد هذه الآية الكريمة الى بيان ما أعد الله تعالى للمستقيمين وما
يمنحهم اياه من واسع فضله وجزل عطائه من الخير الجامع والرزق
الواسع جزاء استقامتهم على طريقة الاسلام وطاعتهم لله تعالى واخلاصهم
له في العبادة وهذا ما افاده الله تعالى بقوله (وان لو استقاموا على
الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً) اى كثير أو هو كناية عن توسعة الرزق لهم
والآيات القرآنية الحاثية على الاستقامة المبينة انها مدرة للرزق
وموسمة له كثيرة فمنها غير ما ذكر قوله تعالى (ولو ان اهل القرى
آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض) ومنها أيضاً
قوله تعالى (ولو انهم أقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من
ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) فما أحسن الاستقامة
واجلبها للخير وأدرها للرزق — وما أحسن من يتصف بها واجله
في العيون وأعظمه في الانظار والله يتولى هدايتنا أجمعين آمين

سورة آية

الاقتصاد وما يترتب عليه من الاسعاد

اعلم ان حاجة الأمم الى المال كحاجة الجسم الى الغذاء فكما ان الغذاء حياة الجسم وقوامه فكذلك المال حياة الأمم ولا قيام لها الا به وكما ان الغذاء اذا كثر في الجسم عن الحاجة واستعمل منه فوق القدر اللازم كان مضرراً بالجسم وسيئاً في ضعفه واضمحلاله كذلك المال اذا استعمل منه فوق الحاجة وصرف منه فوق القدر اللازم كان ذلك سبباً في ضعفها واضمحلالها وسقوطها في مهاوى الذل والاحتقار وليس ذلك قاصراً على الأمم فقط بل الأمم والشعوب والقبائل والعائلات والافراد في ذلك سواء وفي المشاهدة أكبر دليل ولا يثبتك مثل خبير فكم من مسرف رأينا قل بعد الكثرة وذل بعد العزة وافقر بعد الغنى وأهين بعد التعظيم وقل اعتباره وكثر احتقاره وذهبت هيئته وانحطت قيمته وكما ان الاسراف والتبذير موجب للخراب والدمار كذلك البخل والتقتير موجب للذم واللوم والعار فالواجب اذن استعمال الحد الوسط والتباعد عن طرفي الافراط والتفريط في التصرف في الاموال وهذا هو المعنى بالاقتصاد وذلك يكون بامساك المال حيث يجب الامساك وبذله حيث يجب البذل وقد حث الله جل شأنه في كثير من الآيات القرآنية على الاقتصاد

وبين ما يترتب عليه من جليل الفوائد وعظيم المنافع

(فمن ذلك قوله فيه مع بيان ما يترتب على كل من الاسراف والتقتير من المضار)

وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا
كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا

ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة

ترشد هذه الآية الكريمة الى بيان ما أمر الله به من الاقتصاد في العيش واتخاذ السبيل الوسط بين الاسراف والتقتير وما نهى عنه من البخل والتبذير ممثلاً حال البخيل بحال من كانت يده مغلولة الى عنقه مضرومة اليه مجموعة معه في الغل بحيث لا يستطيع التصرف بها

وحال البذر بحال من يبسط يده بسطاً لا يتعلق بسببه فيها شيء مما
تقبض الأيدي عليه مبيناً ما ينتج عن البخل من المذمة واللامة وعن
الاسراف والتبذير من الحسرة والندامة حيث لا يجد شيئاً ينفعه
وما أحسن ما أرشد الله إليه عباده فإنه أرشدهم إلى ما عليه مدار
حياتهم وبه ملاك أمرهم وتتمام مجدهم ونفخهم فشكراً له على ما علم
وأرشد إليه وأحسن به وتفضل وانعم وتكرم
(ومن ذلك قوله جل ذكره في سياق مدح عباده الصالحين وبيان
أوصافهم المدوحه مما فيه حث على الاقتصاد ونهى عن الاسراف والتبذير
والبخل والتقتير)

وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ
ذَلِكَ قَوَامًا

٦٧

الزكاة

ما استفاد من هذه الآية الكريمة
يستفاد من هذه الآية الكريمة أن من أخص صفات الكمال
التي يتمدح بها الانسان ويمجى عليها الجزاء الأوفى في الآخرة
ويدخل بسببها الجنة وتلقاه فيها الملائكة بالتحية والبشر والتهنئة
والسلام الاقتصاد في المعيشة والتدبير فيها وهذا هو الذي أفاده الله
تعالى بقوله (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك
قواماً) أى والذين اذا أنفقوا لم يكونوا مبذرين فى انفاقهم فيصرفون
فوق اللازم والحاجة ولا بخلاء فيمنعون أنفسهم وأهلهم وغيرهم ممن
لهم الحق فى أموالهم من التمتع بها من ادخارهم لها من غير منقعة بها
بل كان انفاقهم بين الاسراف والتقتير قواماً ووسط جزاؤهم عند
ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها كما أخبر الله تعالى
بذلك بعد فى آخر الآية بقوله (اولئك يجزون الغرفة بما صبروا
ويلقون فيها تحية وسلاماً خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاماً)

وهذا من اكبر التدبيرات الالهية وأعظم الحكم السماوية التي من الله بها
على عباده المؤمنين وأرشدهم اليها فإنه ما قامت لآية أمة بل ولا آية عائلة بل
ولا أى فرد قائمة الا بهذا التدبير الالهى ومن حاد عنه وقع فى مهواة
الفقر وساءت حاله سواء فى ذلك الامم والعائلات والافراد كما هو شاهد
هذا وقد ورد فى ذم كل من الاسراف والبخل وما يترتب عليهما من سوء

العاقبة آيات كثيرة فمن ذلك قوله تعالى في الاسراف والتبذير (ولا تبذر آية تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا) ومن ذلك في البخل والتقتير قوله (ولا تحسبن الذين يدخلون بما آتاهم الله من فضله هود خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) والآيات غير ذلك كثيرة وكفى بهذا عظة لمعتبر وعبرة لمن تدبر والله ولي التوفيق الثبات في الاعمال وقوة العزيمة فيها

اعلم ان الثبات في الاعمال يكون بالمثابرة عليها ومقاولة الاهوال والشقات والصعوبات التي تعرض له في أثناء سعيه وراء النتيجة المقصودة له من تلك الاعمال بقلب ثابت وعزيمة صادقة حتى يتحصل عليها وينال أمنيته منها فاذا عرض له ما يظن معه صعوبة الوصول الى النتيجة المطلوبة له فلا يكون ذلك حائلا دون الاستمرار في العمل فانه لا صعب مع الاجتهاد وتوجه النفس والرغبة في ذلك الشئ المطلوب كل ذلك مع تدقيق النظر والفكر والتؤدة في العمل وتأخير الوقت المناسب والحالة المناسبة وعدم الميل الى جانب الافراط فانه ممل ومتعب ولا الى جانب التفريط لعدم نجاح العمل معه فيعمل بمقدار ما ينبغي في الزمن الذي ينبغي في الحالة التي ينبغي

فمن لازم الثبات بهذه الكيفية وجعله أساسا في سائر أعماله ووجهته في كل عمل يعمل به كانت السعادة احدى حظياته والنجاح أسير خطواته والفلاح قرينه والمزينا هو قطبينه ومن استغفرت له الاهواء وطوحت به الحوادث فاستغل كل يوم بعمل وكد غير حكيم واجتهد غير عليم فلا شك انه لا يجني غير الشقاء والتماسة والعناء بدون ثمرة تمود عليه أو فائدة ترجع اليه

ولما كان الثبات في العمل وقوة العزيمة فيه من أجل ما يوصل الامة الى سعادتها الحقيقية وقانونا للنجاح في سائر الاعمال ومن أعظم الدعائم التي تأسست عليها سعادة الامة حث الله تعالى عليه وبالغ في الوصية به فقال جل ثناؤه في الحث على الثبات وقوة الجأش وعدم ترزعزع العزيمة وقت القتال ﴿

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا

اللَّهُ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

ما يؤخذ من هذه الآية الكريمة

يؤخذ من هذه الآية الكريمة بيان ما علمه الله لعباده المؤمنين من آداب لقاء العدو وقت اشتباك القتال وطرق الشجاعة عند مواجهة الأعداء وبيان الوسائل التي يكون بها الظفر والنصر فيمن أن من أهمها أمرين (الأول) الثبات وهو مقابلة الأعداء بجأش ثابت لا يهاب الموت ولا يؤثر فيه الوهم ولا يتخلله الخوف ولا ترعزعه الأراجيف ولا ركض الخيل ولا قراع السيوف ولا اشتباك السكائب وذلك إنما يكون إذا كان القلب ثابت الإيمان عظيم الثقة بالله تعالى معتقدا أنه لا موت حيث كتب الله الحياة ولا حياة حيث كتب الله الموت فإذا وصل إيمانه إلى هذا الحد من اليقين لا جرم كان ذلك من أكبر دواعي الثبات الذي هو من أعظم أركان الظفر والنصر على العدو أما إذا كان غير قوى الإيمان فتنفذ في قلبه سهام الخوف فتتحل عرى عزيمته ويضعف قلبه فإذا تحرك أي حركة تنسم منه العدو الخوف والضعف فيزيد ذلك في قوة عدوه ويجدد من عزيمته بقدر ما نقص في قوته وعزيمته فيكون عوناً له على نفسه بعد أن كان عوناً لها عليه وهناك تكون الطامة العظمى والخطب المدلهم

(الثاني) ذكر الله تعالى في مواطن الخوف بدعائه وطلب الاستغاثة به والمعونة منه فإن ذلك مع ما فيه من تذكير الله في أعظم مواطن الخوف وعدم اشتغاله عنه في هذه الحالة يشاغل فيه من الدلالة على كمال الإيمان وثبات القلب ما لا يخفى فلا يحرم من الله إذن المعونة والنصر والظفر ولذا يقول جل شأنه (لعلكم تفلحون) أي لعلكم أن قابلكم العدو بقلب ثابت وذاكرتم الله تعالى وطلبتم منه المعونة واستنصرتم به تفلحون وتفوزون بمرادكم من عدوكم ولئن كان الثبات في القتال الذي هو أعظم مواطن الخوف مطلوباً مؤكداً فهو في غيره أوكد

وقال جل ثناؤه في الحث على الثبات وقوة العزيمة في الأمر وعدم التردد في أمضائه عند العزم على فعله ﴿

فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ

ما يستفاد من هذه الآية الكريمة سورة آية

يستفاد من هذه الآية الكريمة الحث على الثبات في الأمر وقوة العزيمة فيه وعدم التردد في امضائه عند العزم على فعله مع الاعتماد على الله تعالى في انقاذه وامضائه وتفويض الأمر في تحير ما فيه المصلحة له لانه جل شأنه هو الاعلم بالأصلح وهذا ما أفاده الله تعالى بقوله (فاذا عزمتم فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين) أى فاذا قصدت امضاء أمر وصممت العزيمة عليه فافعله مع تفويض الأمر لله تعالى والاعتماد عليه فيه ليكون ذلك أنجح لطلبك وأتم في نوال مقصودك لانه جل شأنه يحب من توكل عليه ووثق به وفوض الأمور إليه فيرشده الى ما هو خير له كما تقتضيه المحبة

ثم اعلم ان أصل التوكل اظهار العجز والاعتماد على الغير والاكتفاء به في فعل ما يحتاج اليه وهو على الله تعالى لا ينافي الأخذ في الاسباب والسعى في الاكتساب بل يكون بمراعاتها مع تفويض الأمر الى الله تعالى اذا علمت ذلك علمت انه لا عبرة بما يهيجس به بعض الحمقى من الناس الذين يقولون ان التوكل هو ترك التكسب وعدم السعى والأخذ في الاسباب والجلوس في البيوت كالقعودين والمجائز فان ذلك غاية الجهل ونهاية الخبل فانه بذلك يتذرع الى تعطيل الحياة تحت ستار ما يسميه توكلًا وعمل النبي صلى الله عليه وسلم والصحابه والسلف الصالح مع انهم أشد الناس توكلًا على الله وأعرفهم بمعنى التوكل ينافيه على خط مستقيم التعاون على الخير والمساعدة على فعله

التعاون وفق الله المسلمين اليه قوام الأمم وملاكها وعليه مدار نظامها وحياتها والاحتياج اليه أمر فطري في الانسان اذ لا يمكنه ان يقوم بمفرده بسائر وظائف الحياة البشرية فهو مضطر الى الاجتماع بطبيعته ولما كان الاجتماع لا يخلو من المنازعات المفضية الى تغالب القوى المتنازعة كانت الحاجة ماسة ولا بد الى منع ذلك التغالب ومن أهم الوسائل في منعه وأعظم الوسائل في دفعه التعاون والتناصر والتآلف والتضافر فبالتعاون تدفع عوادي الطبيعة وتتق مخاطر الوحدة ويتسابق في ميدان الحياة فيدعوه ذلك الى المثابرة على العمل فيزرع

سورة آية

ويستثمر ويعمر ويخترع ويبتدع ويتفياً ظلال العمران الى غير ذلك مما تدعو اليه الطبيعة البشرية ولولا التعاون لشبطت همته وقمادت به عزيمته حيث يعتقد من نفسه العجز عن مطاردة العوادي ولا يقدر بمفرده على اتقاء مخاطر الحياة البشرية فيكتفى من العيش بنزوه ومن الحياة بقدر ما تقتضيه الطبيعة وهذا مناف للحكمة الالهية التي أودع الله من أجلها في الانسان هذه الجوهرة النفيسة (العقل) التي بها يمكنه ان يستجلي حقائق الأمور ويستعبد الطبيعة وتنقاد لفكره كيفما أراد (ولما اشتمل عليه التعاون من الخير وما تكفل به من المصالح قد حث الله عليه وبالغ في التمسك به والاعتصام بحبله فقال)

المائدة ٣

وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ
وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ

ما ترشد اليه هذه الآية الكريمة

ترشد هذه الآية الكريمة الى أهم الامور وأجدرها بالعناية وأحقها بالرعاية وهو التعاون على فعل الخيرات وهو البر وترك المنهيات وهو التقوى لما في ذلك من الخير الكثير والأجر الكبير وما يترتب عليه من الفوائد والمنافع التي تعود على الناس بالخير والسعادة ' فبال تعاون على فعل الخيرات يتبادلون المنافع ويقضي البعض للبعض ما هو محتاج اليه ولا يمكنه الحصول عليه - وبالتعاون على ترك المنهيات يرضى الله عنهم فيمنحهم خيره ويكفيهم شره شأن الراضى مع المرضي عنه فمن جمع التعاون بقسميه فقد كملت سعادته وطابت حياته وهنت عيشته وبعد ان أمر جل شأنه بالتعاون على فعل الخير وترك الشر والضير نهى عن التعاون على الإثم وهو ترك ما أمر الله به والعدوان وهو التعدي على الناس بما فيه ظلمهم فان في التعاون على ذلك مفاصد كثيرة ومنكرات فظيمة ثم توعد من خالف ذلك وعاون على ظلم الناس وعدم مراعاة حرمتهم ولم يبال بما أمر الله به فتركه ولا بما نهى عنه ففعله بالعباد الآليم والعقاب الشديد فقال (واتقوا الله ان الله شديد العقاب) والله أعلم (وقال تبارك اسمه فيما حكاه عن نبيه موسى عليه السلام من طلب

معين له في تبليغ الرسالة مبيناً ما يترتب على ذلك من الفوائد والمنافع) سورة آية
 قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ^{٢٦} وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ^{٢٧} طه ٢٥
 وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ^{٢٨} يَفْقَهُوا قَوْلِي ^{٢٩} وَاجْعَلْ لِي
 وَزِيْرًا مِنْ أَهْلِي ^{٣٠} هَرُونَ أَخِي ^{٣١} أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى ^{٣٢}
 وَأَشْرَكَ فِي أَمْرِي ^{٣٣} كَيْ تُسَبِّحَكَ كَثِيْرًا ^{٣٤} وَنَذْكُرَكَ
 كَثِيْرًا ^{٣٥} إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيْرًا

ما ترشد اليه هذه الآيات الكريمة

ترشد هذه الآيات الكريمة الى ما سأله موسى عليه السلام من
 ربه عند ما أمره بالذهاب الى فرعون ليبلغه رسالته فاستوهب عند ذلك
 من ربه ان يشرح صدره ويحمله حلياً حولاً يستقبل ما عسى ان يرد
 عليه في طريق تبليغه الرسالة من الشدائد خصوصاً وانه بعث الى
 أعظم ملك على وجه الارض لافذاك وأجبرهم وأنشدهم كفراً وعناداً
 وان ييسر له ويسهل عليه ما أمره به من تبليغ الرسالة الى فرعون
 بتيسير الاسباب ودفع الموانع وان يحل عقدة من لسانه كانت به من
 أثر جرة وضمها في فيه وهو صغير ليفقهوا قوله ويفهموا كلامه عند
 تبليغ الرسالة — وان يجعل له وزيراً ومعيناً يعاونه في القيام باعباء
 ما كلف به عليه السلام من قبل ربه ويعتصم برأيه ويلتجئ اليه في
 أمره — وان يكون من أهله وهو أخوه هرون وانما اختار ان
 يكون من أهله لانه أشد عوناً واكثر نصرة وتعظيماً له من غيره
 وقد بين عليه السلام ثمره هذا التعاون وما يترتب عليه من الفوائد
 والمنافع بقوله (اشدد به أزرى واشركه في أمرى) أى أمر الرسالة
 والدعوة الى ما أمر ان يدعو اليه كما بين ان ذلك من النعم الكبرى
 والمن المظمى التى يجب فى مقابلتها الشكر بتنزيهه جل شأنه عما لا يليق
 به من الصفات والأفعال واتصافه بما يليق من صفات الكمال ونعموت
 الجلال والجلال وهذا الذى أشار له الله تعالى بقوله (كى تسبحك كثيراً
 ونذكرك كثيراً انك كنت بنا بصيراً) أى عالماً بأحوالنا وما دعوناك به

وراء آية

مما يصلحنا ويفيدنا في تحقيق ما كلفته من إقامة مراسيم الرسالة وقد أجاب الله
سؤله عليه السلام كما أفاده بقوله (قد أوتيت سؤالك يا موسى) والله أعلم

حب العمل وفضيلة الاجتهاد

اعلم ان كل انسان في هذه الحياة مطالب بان يعمل اما لنفسه ليحيا حياة
طيبة ويميش عيشة راضية واما لاهله وعشيرته وبلده وأهل وطنه ليم ينه
و بينهم تبادل المنفعة والمشاركة في كل عمل يحفظ لهم ناموس وحتهم واما
لمن يأتي بعده ليهي لهم ما يتخذونه أساسا يشيدون عليه بناء حياتهم فاذا
قصر في مطالب من هذه المطالب كان عضوا في جسم الهيئة الاجتماعية
فاسداً يجب قطعه خشية سرعان العدوى منه الى غيره من بقية الاعضاء
لذلك جاء الاسلام وقرر فيما قرر من مبادئ السعادة الدنيوية
الموصلة للسعادة الآخروية وجوب العمل والكسب والسعي والكد
والجد والنشاط وبنقض المعجز والكسل والخمول والتقاعد وعدم
النشاط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اسموا فان السعي كتب
عليكم) وقال عليه الصلاة والسلام (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً
واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً) الى غير ذلك من الأحاديث
الدالة على العمل والكسب والحانة عليهما والمرغبة فيهما

اذا علمت ذلك علمت ان ما يتشدد به بعض الحمقى المثبطين
للهم من قولهم ان الرزق مقسوم وان السعي لا يجلب للعبد رزقاً ليس
له وان البطالة لا تحرمه رزقاً هو له خبل محض وجنون صراح ألم يعلم
هذا المثبط الاحق أن هذا السعي محقق لعلم الله السابق وهل قسم
الله الرزق وعطل الاسباب في تحصيله ولم يجعل في تركيب بنية الانسان
استعداداً لطلبه ولم يمنحه الأمل ليثبطه عن العمل (كلا) فان
ما جاءت به الشريعة الاسلامية ويقتضيه العقل السليم يناقض ذلك
فان الله جلت قدرته قسم رزقه بين عباده على حسب تفاوتهم في الجهد
والنشاط فمن كان جده أكثر كان حظه أوفر والعكس بالعكس الا
من عساه ان يغمره الله بوسع كرمه وبفيض عليه من صيب جوده
مع عدم أخذه في الاسباب والسعي أو مع أخذه فيهما ولكن من
الوجوه التي ليس من شأنها الثناء والزيادة فان مثل هذا لا يصح ان

يكون موضع بحث او من مقاصد الشرائع التنبيه على مثله والافأى مقصد
 لاهم له الا الكسل والخمول صار ذا ثروة طائلة او رزق واسع وهو
 قوله صلى الله عليه وسلم (ان الله يعطى العبد على قدر همته ونهمته)
 وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا مثالا للنشاط
 والجد والاجتهاد وما سمعنا عنهم يوما انهم جاسوا في بيوتهم اتكالا
 على ان الرزق مقسوم مع انهم كانوا أكثر الناس وأشدهم يقيناً
 واعظمهم وثوقاً بالله وبما عند الله بل قتموا وكافوا وناضلوا وتاجروا
 وسافروا وسعوا وكدوا وجدوا وحسبك ما قاموا به من الاعمال
 الجلية والفتوحات العظيمة وما أظهروا في ذلك من الجد والنشاط حتى
 مدوا خلال العمران وشيدوا الهالك وبلغوا في مدة ثمانين سنة من الملك
 وسعة السلطان وامتداد دائرة النفوذ ما لم تبلغه أية دولة في العالم
 واليك أوامر الله تعالى وأحكامه في كتابه الكريم تنبئك ما أمر الله
 به من الجد والنشاط في العمل وما نهى عنه من البطالة والكسل
 ﴿ قال الله تعالى في الحث على العمل وما علمه لنبيه داود وسليمان
 عليهما السلام من صنعة الحدادة وعمل الدروع وصنعة البناءة وعمل
 التماثيل والصور والنقاص وصب النحاس وعمل القدور الكبيرة منه
 بواسطة الجن وأمر بالشكر على تعليمه هذه الصنائع ﴾

وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ
 وَالنَّارُ الْهَادِيْدُ ۚ أَنْ اْعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ
 وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيْرٌ ۚ ۝١٢ وَإِسْلِمًا نَ الرِّيحِ
 غَدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسْلَمْنَا لَهُ الْفِطْرَ وَمِنْ
 الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَرْغَبْ مِنْهُمْ عَنْ
 أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيْرِ ۚ ۝١٣ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ
 مَحَارِبَ وَتَمَاثِيْلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اْعْمَلُوا

سورة آية آل داود مُشْكراً وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ

ما ترشد اليه هذه الآيات الكريمة

ترشد هذه الآيات الكريمة الى ما منحه الله نبيه داود وسليمان عليهما السلام من الفضل وما عامهما من الصنائع والحرف وما سخر لهما من الجبال والطيور والرياح والجن فأعطى داود من الفضل أن سخر له الجبال تسبح معه اذا سبح وترجع بصوتها عند تسبيحه والطيور يكلمه على اختلاف أنواعه وتبائن لغاته والآن له الحديد حتى كان يقاتله بيديه مثل الحيوط يعمل منه دروعاً سابغات أى كاملات واسمعات وأرشده الى كيفية عمل هذه الدروع فقال (وقدر فى السرد) والسرد جعل حلقات الدرع متسقة منتظمة محكمة متقنة وفيه ارشاد الى أن الانسان اذا شرع فى أي عمل من الاعمال عليه أن يحكمه ويتقنه

وأعطى سليمان عليه السلام الريح طوع أمره يصرفها كيف شاء مع سرعة سيرها الزائد حتى كان جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشى كذلك — وأذاب له النحاس على نحو ما كان الحديد يلين لداود عليه السلام فيعمل منه ما شاء وسخر له الجن يعملون بين يديه ما شاء سواء كان ذلك من لوازم السكن كالحاريب وهي الابنية الرفيعة والقصور العالية والتماثيل وهي الصور سواء كانت من نحاس أو رخام أو زجاج أو غير ذلك أو من لوازم الاكل كالخفان التي كالجواب أى القصاع الكبيرة التي هي كالحياض العظام التي تشرب منها الابل وكالقدور الراسيات أى الثابتات التي لا تتحرك ولا تتحول عن اماكنها لعظمها والقدور جمع قدر وهي ما يطبخ فيه — ولا يمكن لاحد منهم مع ذلك أن يخالف ومن يخالف ولم يطعمه عليه السلام فيما أمره به من العمل فان الله سبحانه وتعالى يذيقه من عذاب السعير وهو الحريق

ولما كان هذا التسخير وذلك الاعطاء من اللين العظمى والنعم الكبرى التي يجب شكرها أمر الله جل شأنه سليمان أن يشكره فقال (اعملوا آل داود شكراً) أى على ما أنعمت به عليكم (وقليل من عبادى الشكور) وهو الذى يشكره تعالى على أحواله كلها ﴿وقال جل شأنه حاكياً مقالة قوم قارون له لما فيها من الخت على

أن الإنسان يعمل للآخرة ولا يترك من أعمال الدنيا ما يوصله للآخرة ﴿ سورة آية
وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ
نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ
الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ
ما ترشد اليه هذه الآية السكرية

ترشد هذه الآية السكرية الى أن الانسان عليه أن يشتغل بأمر
الآخرة وما يوصل اليها ولا ينسى نصيبه من الدنيا بل يعمل لدنياه كما
يعمل لآخريته فيؤدي ما عليه من الحقوق نحو جسمه فيدير له الماء كل
بالسعى وراء أسبابه وكذا المشرب والملبس والمركب وغير ذلك من
لوازم حياته البشرية التي لا قوام له الا بها ولذا يقول جل شأنه (ولا
تنس نصيبك من الدنيا)

ولما أمره أولا بالاحسان بالمال أمره ثانيا بالاحسان مطلقا ويدخل
فيه الاعانة بالمال والجاه والطلاقة الوجه وحسن المعاملة مع صنوف الخلق
فقال (واحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب
المفسدين) أي أحسن الى خلقه بصنوف الخير والبر ولا تكن همتك بما
أنت فيه ان تفسد في الارض وتسيء الى خلق الله ان الله لا يحب المفسدين
﴿ التكافل العام لجميع المسلمين ﴾

هو أن يكون جميع المسلمين كجسم واحد وكل فرد منهم كعضو
من أعضاء ذلك الجسم يألم الكل لألم الفرد الواحد ويفرح الكل
لفرحه ويسمى الفرد الواحد في مصلحة الكل وما يعود عليهم بالخير
والسعادة كما يسمى الكل في مصلحة الفرد وهذا الذي أشار له الله تعالى
بقوله (انما المؤمنون اخوة) فان معنى الاخوة لا يتحقق فيهم الا اذا
كانوا متكافلين متضامنين والنبي صلى الله عليه وسلم بقوله (مثل المؤمنين
في تواددهم وتراحمهم كتل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى
له سائر الجسد بالحمى والسهر) ولعمري الحق ان هذا لباب كبير من علم
الاجتماع اذ من المقرر فيه ان الناس مدينون بالطبع أى لا بد لهم من

سورة آية

الاجتماع والمخالطة لان الفرد الواحد لا يمكن أن يستقل بجميع حاجاته ولوازم حياته فهو مضطر بحكم الضرورة الى الاجتماع والمبادلة ولا يتحقق معنى الاجتماع الا بهذا التكافل اذ لو استقل كل فرد بمنفعته الذاتية ورأى ان منفعته ليست منفعة لغيره وان منفعة الغير ليست منفعة له جرت ذلك الى قطع المبادلات ونهد المعاملات التي لا تقوم للحياة الا بها. أدرك ذلك الشارع الحكيم والسيد العليم سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فكان اول عمل له بعد مهاجرته الى المدينة أن آخى بين الانصار والمهاجرين فكان الانصارى يشاطر المهاجرى فى ماله وكل شئ هو له حتى زوجاته فكان من نتائج ذلك الحسنة ان عات كلمة الدين وكلمت سعادة المسلمين وفتحوا الفتوحات ومصرفوا الأمصار ودوخوا الممالك وتقيؤوا ظلال العمران وأتوا من جلائل الاعمال بما يهر العقول ويحير الألباب وكان مما شرع الله لعباده المؤمنين فروض حتم على البعض أن يفعلها مباشرة وعلى الباقين أن يهيمنوا على فعلها حتى اذا لم يقوم بآدائها قاموا دونه والزموه الاداء واذا أهملوا ذلك وتركوا النظر فيه أثموا جميعاً (وهذا الذى يسمى بلسان الشرع فرض كفاية) ولا معنى لهذا الا ان الكل مخاطب فيما يتعلق بالمصالح الاجتماعية بما يخاطب به الفرد والفرد مخاطب بما يخاطب به الكل ولولا ذلك لما أثم الكل عند ترك البعض له

(ومن نظر فى تاريخ الأمم ووقف على أحوال رقيهم ومنبعث سؤددهم ومجدهم لم يجد أهم الاسباب فى ذلك ولا أعظم الوسائل فيه الا هذا التكافل ولذا يقول جل شأنه)

وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً

وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ

وذلك انه كان الواجب على غير الظالمين ان يقبضوا على أيدي الذين ظلموا ويحولوا دونهم ودون ما به كان الظلم وحيث أهملوا أمرهم وتركوه وما يفعلون فقد شاركوه فى فعل هذا المنكر فلم تكن الفتنة قاصرة على الذين ظلموا دونهم لان الكل آثمون والله أعلم

سورة آية

﴿ الاحسان يسترق الانسان ﴾

اعلم ان الاحسان يكون في كل خير فقد يكون في العبادة كما قال صلى الله عليه وسلم (الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنه يراك) وقد يكون في الكلمة الطيبة يلقيها المرء لاخيه فتفرج من همه وتزيل من غمه وقد يكون في بذل الروء وكف اللسان عن الأذى في القول والعمل وقد يكون في بذل المال في وجوه البر وصنوف الخير مما يمد على الأمة بالسعادة والخير العظيم وقد يكون في غير ذلك مما لا حاجة بنا الى استقصائه وليس مقصودنا الذي نرمي الى تحقيقه والحث عليه والترغيب فيه الا هذا النوع الاخير وهو الاحسان بالمال وبذله في وجوه البر والخير وليس معناه بر وخير بعينه بل كل ما صدق عليه مسمى البر والخير فالانفاق فيه حسبما قرره الشرع من الاحسان الذي وعد الله ذويه بناء أموالهم اذا هم بذلوها على الوجه الشرعى المرضى وهو أصل من أصول الايمان الذى لا يكمل الايمان حقيقة الا به كما قال تعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تأتت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون اواذك هم المؤمنون حقاً) فتراه جل شأنه جعل الانفاق مما رزقهم الله من أخص اوصاف المؤمنين الذين لا يكون ايمانهم حقاً الا به

والناظر في كتاب الله الذى لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه يجد ان الله جل شأنه لم يعن أشد الاعتناء ولم يحرض كمال التحريض بشئ من أعمال البر كاعتنائه بالصدقة والانفاق في وجوه البر والخير - واليك بيان بعض ماورد فيه من الآيات وهو قليل من كثير

(قال الله تعالى في بيان أن هذا الانفاق داعية النماء والزيادة)

البقرة ٢٦٠

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ

أُنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبَلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ

يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ

سورة آية

(وقال عز وجل)

البقرة ٢٧١

وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ

(وقال تعالى)

٩٢

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ

(وقال جل ذكره)

البقرة ٢٦٢

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

وليس المراد بسبيل الله خصوص الجهاد كما قد يتوهم بل المراد به كل خير والآيات في ذلك أكثر من أن تحصر وباللغة التوفيق وله الحمد وللمنة (المسارعة الى فعل الخيرات)

اعلم ان أعظم ما يوجه الانسان همته اليه ويبدل قصارى جهده فيه ان يسعى وراء ما يعود عليه بالخير والسعادة والا كانت نفسه أحقر الأشياء اليه وأخسها وأهونها لديه واذا كانت عنده كذلك فهي عند غيره أهون وأخس وأضيع ولا يرضى بذلك الا من لا قيمة للحياة عنده — وحيث ان الخيرات ليست من الأشياء التي تغشى الانسان في جميع أوقاته وانما هي شوارد يقتنصها من نصب شراك الحرص لحصولها وحبائل التيقظ لاقتناصها كان من الواجب على كل عاقل ان يكون لها بالمرصاد حتى اذا آنس غرة الحوائل دون الحصول عليها وثوب الاسد على فريسته واغتم الفرصة في حصولها ليفوز بالخير ويحظى بالسعادة — ولذا حث جل شأنه على المسارعة الى فعل الخير والمبادرة الى حصوله

(وبنه سبحانه وتعالى على فضل الذين يسارعون في الخيرات ونوه بذكر أخص أوصافهم التي امتازوا بها عن غيرهم فقال)

آية سورة
٥٨
الزمر

إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ٥٩ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ٦٠ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ٦١ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ٦٢ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (وقال جل ذكره فيما يترتب على المسارعة في الخيرات من جزيل الفوائد وعظيم المنافع)

٥٩
الزمر

وَذَكَرْنَا إِذْ نَادَى رَبُّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ٦٠ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ

والآيات في ذلك كثيرة وفي هذا القدر كفاية والله ولي الرشدا والسداد

(تم)

فهرست كتاب الهداية الى الصراط المستقيم

صحيحة	صحيحة	صحيحة
٤ الله	٥٨ الجائز في حق الرسل عليهم	١١١ بيان من تعرفهم الزكاة
٥ الدين الاسلامي	الصلاة والسلام	١١٢ زكاة الفطر
٦ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم	٥٩ رسالة سيدنا محمد صلى الله	النوع الرابع من انواع
٧ القرآن	عليه وسلم	العبادات — الحج
٨ كيفية انزال القرآن — اول	٦١ معجزاته صلى الله عليه وسلم	١٢٠ القسم الثالث في الادب
ما نزل من القرآن	٦٣ القسم الثاني في العبادات	ومكارم الاخلاق
٩ ما يشتمل عليه القرآن —	٦٤ العبادات	١٢٢ الادب مع الله عز وجل
فائدة — اعجاز القرآن	٦٥ الوسائل التي بها تكون	١٢٥ الادب مع رسول الله
١٠ تمهيد	العبادة مرجوة القبول	صلى الله عليه وسلم
١١ القديم الاول علم التوحيد	٦٦ انواع العبادات	١٣٣ ادب المرء في نفسه
١٢ الصفة الاولى الوجود	٦٦ النوع الاول الصلاة	١٤٢ آداب المعاملة والمعاشرة
١٦ الصفة الثانية القديم	٦٧ سر الصلاة وما اشتملت عليه	مع صنوف الخلق
١٧ الصفة الثالثة البقاء	من الفوائد المتناقلة	١٤٨ الادب في الزيارة
١٨ الصفة الرابعة مخالفته تعالى	٦٩ كيفية الصلاة	١٥٢ الادب في الجلوس
للحوادث	٧٤ فصل في الآذان والاقامة	١٥٤ الادب في المحادثة
٢٢ الصفة الخامسة الحياة	٨٠ جزاء تارك الصلاة	١٥٧ الادب في الاكل والشرب
٢٣ الصفة السادسة العلم	٨٣ اوقات الصلوات المفروضة	١٦٢ ادب الولد مع والديه
٢٦ الصفة السابعة الارادة	٨٥ شروط الصلاة	١٦٨ صلة الرحم
٢٨ الصفة الثامنة القدرة	٩٠ صلاة الجمعة واجتماع	١٧١ الاتحاد والاخاء الخ
٣٢ الصفة التاسعة الوحدةانية	٩٢ صلاة التضرع	١٧٤ الاستقامة
٣٦ الصفة العاشرة السمع	٩٣ صلاة الخوف	١٧٧ الاقتصاد وما يترتب عليه
٣٨ الصفة الحادية عشر البصر	٩٤ صلاة الجنازة	من الاسعاد
٣٩ الصفة الثانية عشر الكلام	٩٥ صلاة العيدين	١٧٩ الثبات في الاعمال وقوة
٤١ الجائز في حق الله تعالى	٩٥ النوع الثاني من انواع	المزينة فيها
٤٣ ارسال الرسل عليهم الصلاة	العبادات — الصوم	١٨١ التعاون على الخیر والمساعدة
والسلام	١٠٢ فضل الصوم	على فعله
٤٧ صفات الرسل عليهم الصلاة	١٠٣ النوع الثالث من انواع	١٨٤ حب العمل وفضيلة الاجتهاد
والسلام	العبادات — الزكاة	١٨٧ التكافل العام لجميع المسلمين
٤٨ الصفة الاولى الصدق	١٠٧ فضل الزكاة	١٨٨ الاحسان يسترق الانسان
٥٢ الصفة الثانية البطانة	١٠٨ جزاء مانع الزكاة	١٩٠ المساعدة الى فعل الخيرات
٥٥ الصفة الثالثة العصمة	١٠٨٢ انواع زكاة	

obeikandi.com